دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت
٧/١٣٠
١

مفاهيم إنجيلية

أعطوا ما لقيصر لقيصر
ومقالات أخرى

الأنبا إبيفانيوس

أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

٢٤٩٠٠ / تسجيل
١/ ٧/ ١٤٣٠
٢٠١٨/ ٢٠١٧

مفاهيم إنجيلية

أعطوا ما لقيصر لقيصر

ومقالات أخرى

أنبا إبيفانيوس
أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار

مقالات سبق نشرها في مجلة مرقس

كتاب: مفاهيم إنجيلية - أعطوا ما لقيصر لقيصر ومقالات أخرى
(مقالات سبق نشرها في مجلة مرقس)
إعداد: أنبا إبيفانيوس أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار
الطبعة الأولى: ٢٠١٧
مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادي النطرون
ص ب ٢٧٨٠ — القاهرة
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٩٩٨٣ / ٢٠١٧
رقم الإيداع الدولي: ISNB 978 - 977 - 240 - 296 - 0
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

إبيفانيوس ، الأنبا
مفاهيم إنجيلية - أعطوا ما لقيصر لقيصر
ومقالات أخرى
اعداد أنبا إبيفانيوس — البحيرة:
دير القديس أنبا مقار برية شيهيت ، ٢٠١٧
٣٦٨ص ؛ سم
تدمك ٠ ٢٩٦ ٢٤٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١- التأملات (المسيحية)
أ- العنوان ٢٧٤,٢

قداسة البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

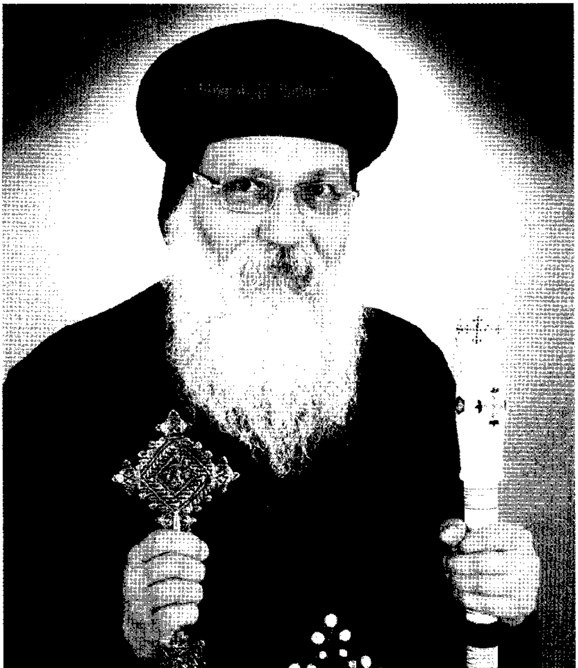

نيافة الحبر الجليل الأنبا إبيفانيوس
أسقف ورئيس دير أنبا مقار الكبير

المحتويات

مِلءُ الزَّمَانِ ٩

غصنٌ من أصل يسَّى ١٩

المسيح البكر ٢٨

المسيحُ نُورُ العَالَمِ ٤٠

تقديم الطفل يسوع إلى الهيكل ٥٢

الختان ٦٢

برية التجربة ٧٢

أنقياء القلب ٨١

اللّهُمَّ ارحمني أنا الخاطئ ٩٢

التطهيرات ١٠٣

أولاد إبراهيم ١١٢

اطلبوا الربَّ ١٢٤

آية يونان النبي ١٣١

رئيس المجمع ١٤١

تجلّي المسيح وتجلّي التلاميذ ١٥٠

أوصنّا لابن داود ١٥٧

أَعْطُوا ما لقيصر لقيصر ١٦٨

الحيَّة النحاسية ١٧٩
محاكمة يسوع أمام السنهدريم ١٩٠
الربُّ يسوع صُلِبَ من أجلي ٢٠٢
الفَرَحُ الحَقِيقيُّ ٢١١
مواهب الروح القدس ٢٢٠
التبني ٢٣٢
الكرازة ٢٤٢
الامتحان والتزكية ٢٥٣
سفير يسوع المسيح ٢٦٣
المفاهيم الروحية للرياضة البدنية ٢٧٣
تأديبات الله ٢٨٤
ذبائح الأوثان ٢٩٣
التاج والإكليل ٣٠٢
المكسب والخسارة ٣١٢
جمر نار ٣٢٢
السيدة المختارة ٣٣١
موكب نُصرة المسيح ٣٤١
البوق الأخير ٣٥١

مِلءُ الزَّمَانِ

+ «وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ» (غل ٤: ٤و٥)

*****

«لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَوَاتِ وَقْتٌ» (جا ٣: ١)، هكذا يقرِّر سليمان الحكيم في سفر الجامعة. إذ يرى أن «للولادة وقت وللموت وقت»، وأن الله «صَنَعَ الْكُلَّ حَسَناً فِي وَقْتِهِ» (جا ٣: ٢و١١). ويتكلَّم الملاك جبرائيل مع دانيال النبي عن خطة الله وتدبيره في تعيين الأوقات وتحديد الأزمنة، إذ يخبره عن الوقت الذي حدَّده الله لمجيء الرب يسوع فيقول: «سَبْعُونَ أُسْبُوعاً قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا، وَلِكَفَّارَةِ الإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بِالْبِرِّ الأَبَدِيِّ، وَلِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ، وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ» (دا ٩: ٢١-٢٤).

وهكذا نرى الرب يسوع، بعد أن اعتمد في نهر الأردن، يبدأ خدمته

قائلاً: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ» (مر ١: ١٥). والقديس بولس الرسول يؤكِّد على اكتمال الزمان هكذا قائلاً: «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ» (غل ٤: ٤).

ولكن ما معنى عبارة «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ»؟ أو ما هو قصد القديس بولس من عبارة «مِلْءُ الزَّمَانِ»؟ هل يقصد تاريخاً عشوائياً؟ أم أنه كان يرى، بالأحرى، أن العالم قد أصبح الآن مهيئاً أكثر من أي وقت مضى لتدخُّل الله ومجيء المسيَّا المنتظر؟

قد يكون من العسير أن نحيط إحاطة كاملة بما يقصده بولس الرسول من «مِلْءُ الزَّمَانِ». ولكننا إذا حاولنا دراسة أحوال العالم وقت ولادة الطفل يسوع، والأمور التي أدَّت إلى سرعة انتشار الإنجيل، أمكننا معرفة بعض المعاني التي كانت تراود فكر الرسول بولس.

الحالة الروحية:

كان الشعب اليهودي يحلم منذ قرون عديدة بالملك الذي من نسل داود، الذي سيأتي ويعيد إليهم مجدهم الضائع. ولكن بسبب خضوع اليهود المرة تلو الأُخرى للغزو العسكري من الشعوب المجاورة، تبدَّد الأمل في مجيء هذا الملك الأرضي. لذلك تولَّد عندهم أملٌ آخر في مجيء ملك له صفات إلهية، كما بشَّرهم إشعياء النبي:

+ «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشِيراً، إِلهاً قَدِيراً، أَباً أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلْسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيُعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ» (إش ٩: ٦و٧).

هذا الملك سوف يأتي في "يوم الرب"، ويدين أعداء إسرائيل، ويحقِّق السلام والعدل بين شعبه إسرائيل:

+ «لِذلِكَ يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ عَزِيزُ إِسْرَائِيلَ: آهِ! إِنِّي أَسْتَرِيحُ مِنْ خُصَمَائِي وَأَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِي ... وَأُعِيدُ قُضَاتَكِ كَمَا فِي الأَوَّلِ، وَمُشِيرِيكِ كَمَا فِي الْبَدَاءَةِ. بَعْدَ ذلِكَ تُدْعَيْنَ مَدِينَةَ الْعَدْلِ، الْقَرْيَةَ الأَمِينَةَ» (إش ١: ٢٤-٢٦).

ولم يكن إشعياء النبي فقط هو الذي بعث فيهم هذا الأمل، فقد تنبَّأ لهم حزقيال النبي أيضاً برسالة من الله يخبر فيها الشعب أن الله سينـزل بنفسه ليرعى شعبه إسرائيل:

+ «وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: يَا ابْنَ آدَمَ، تَنَبَّأْ عَلَى رُعَاةِ إِسْرَائِيلَ، تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِلرُّعَاةِ: وَيْلٌ لِرُعَاةِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ كَانُوا يَرْعَوْنَ أَنْفُسَهُمْ. أَلاَ يَرْعَى الرُّعَاةُ الْغَنَمَ؟ تَأْكُلُونَ الشَّحْمَ، وَتَلْبَسُونَ الصُّوفَ وَتَذْبَحُونَ السَّمِينَ، وَلاَ تَرْعَوْنَ الْغَنَمَ. الْمَرِيضُ لَمْ

تُقَوُّوهُ، وَالْمَجْرُوحُ لَمْ تَعْصِبُوهُ، وَالْمَكْسُورُ لَمْ تَجْبُرُوهُ، وَالْمَطْرُودُ لَمْ تَسْتَرِدُّوهُ، وَالضَّالُّ لَمْ تَطْلُبُوهُ، بَلْ بِشِدَّةٍ وَبِعَنْفٍ تَسَلَّطْتُمْ عَلَيْهِمْ. فَتَشَتَّتَتْ بِلاَ رَاعٍ وَصَارَتْ مَأْكَلاً لِجَمِيعِ وُحُوشِ الْحَقْلِ، وَتَشَتَّتَتْ. ضَلَّتْ غَنَمِي فِي كُلِّ الْجِبَالِ، وَعَلَى كُلِّ تَلٍّ عَالٍ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ. تَشَتَّتَتْ غَنَمِي وَلَمْ يَكُنْ مَنْ يَسْأَلُ أَوْ يُفَتِّشُ.

فَلِذلِكَ أَيُّهَا الرُّعَاةُ اسْمَعُوا كَلاَمَ الرَّبِّ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ ... هأَنَذَا عَلَى الرُّعَاةِ وَأَطْلُبُ غَنَمِي مِنْ يَدِهِمْ، وَأَكُفُّهُمْ عَنْ رَعْيِ الْغَنَمِ ... هأَنَذَا أَسْأَلُ عَنْ غَنَمِي وَأَفْتَقِدُهَا. كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسْطِ غَنَمِهِ الْمُشَتَّتَةِ، هكَذَا أَفْتَقِدُ غَنَمِي وَأُخَلِّصُهَا ... أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» (حز ٣٤: ١-١٥).

وحتى وقت ميلاد المسيح كان هذا الأمل نفسه قد خَفُت، على الأقل في الأوساط الكهنوتية التي لم يكن يعنيها من الدين سوى تتميم الفرائض الطقسية والتمسُّك بتقليدات الشيوخ البالية. ولم يعش هذا الأمل إلاَّ في النفوس التقية التي كانت تنتظر مجيء المسيَّا وتحيا كل يوم بهذا الرجاء. وخير مثال على هذه الفئة المتيقظة لمواعيد الرب، سمعان الشيخ الذي «كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ». فبعد أن أخذ الطفل يسوع على ذراعيه، بارك الله وقال: «عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي

أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ للأُمَمِ، وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (لو ٢: ٢٥-٣٢). وهذه امرأة أخرى تقية وهي حَنَّة بنت فنوئيل، التي عاشت على هذا الرجاء، عندما علمت بمجيء الرب: «وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ» (لو ٢: ٣٦-٣٨). أما الكهنة الذين كانت مهمتهم دراسة الشريعة ومعرفة الأزمنة والأوقات فكانوا منشغلين باهتماماتهم الخاصة، لذلك فاتهم إدراك ملء الزمان الذي حدَّده الله لافتقاد شعبه.

بَيْدَ أن الأمل في مجيء المسيَّا كان له مفهوم آخر عند البعض، فالله سيأتي في الزمان الذي حدَّده، ليس لكي يفتقد شعبه وينجيه من أيدي أعدائه فقط، بل ليصبَّ غضبه على الأشرار وينتقم من فاعلي الإثم. وها هو يوحنا المعمدان الذي أتى ليعدَّ طريق الرب، والذي كان مجيئه وظهوره في البراري إحدى الخطوات التي مهَّدت لاكتمال الزمان، ها نراه يحذِّر الشعب أن مجيء المسيَّا هو للانتقام من فاعلي الشر:

+ «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ ... أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي ... هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ ... الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ» (مت ٣: ٧-١٢).

لقد جاء يوحنا المعمدان لكي يمهِّد الطريق لمجيء المسيَّا، لكن المستوى الذي وصل إليه حال الشعب، وخاصة الكهنة وقادة الشعب، حتَّم عليه أن يبشِّرهم بسرعة مجيء الرب للانتقام. فالناموس أو التوراة التي كانت تمثِّل حجر الزاوية في جياة كل الشعب اليهودي، صارت أداة في يد الكهنة والفريسيين ليحكموا بها الشعب حسب مصلحتهم الخاصة وأهوائهم الشخصية. والشريعة التي نـزلت لتكون خادماً للشعب تعينه على الخلاص، صارت سيداً قاسياً لا يرحم. وبدلاً من أن تكون منهجاً للتوجيه والإرشاد في الطريق الروحي، صارت هي في حد ذاتها الطريق الذي به نظن أننا نترضى وجه الله.

لقد حوَّل الفريسيون الشريعة إلى حمل ثقيل أرهقوا به كاهل الشعب، ونصَّبوا أنفسهم رقباءَ على الشعب ليجبروهم على تتميم الشريعة واحترام التقاليد والتفاسير والشروحات التي فرضوها عليهم. وهكذا سلبت الشريعة بهجة الحياة، وخلقت في الشعب الإحساس بالخطيئة والذنب لعدم إمكانية تتميم متطلباتها القاسية. الأمر الذي وبَّخ عليه يسوع الفريسيين عندما قال لهم: «إِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ» (مت ٢٣: ٤). وقد كتب بولس الرسول إلى أهل غلاطية يذكِّرهم أن الناموس «قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ ... لأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ

يُحْيِيَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبِرُّ بِالنَّامُوسِ»، وأنه قبل نـزول الناموس بأربعمائة وثلاثين سنة عاش إبراهيم في سلام مع الله بالإيمان. وأن الناموس بهذه الطريقة التي مارسها الفريسيون لم يحقق للشعب سوى الوقوع تحت اللعنة والدينونة (غل ٣: ٦-٢١).

إن صراخ الشعب وأنينه نتيجة ثقل الناموس ونيره القاسي وعدم جدوى التوجيه الروحي لقادة الشعب، كان من العوامل الهامة التي مهَّدت لاكتمال الزمان ولسرعة مجيء المخلِّص، تماماً كما كان صراخ الشعب من أجل مسخِّريهم في مصر سبباً في اكتمال الزمان لتدبير خلاصهم وإخراجهم من أرض مصر وإرسال موسى النبي لإنقاذهم (خر ٣: ٧-١٠).

الواقع السياسي والثقافي:

من المحتمل أن الرسول بولس كان يقصد أيضاً بـ"ملء الزمان"، الوضع السياسي والثقافي الذي كان عليه العالم وقتئذ. فقد كان العالم ثقافياً مُمهَّداً لظهور المسيَّا. فاللغة اليونانية أصبحت هي لغة الثقافة السائدة في العالم المتحضِّر المعروف آنذاك، أي داخل حدود الإمبراطورية الرومانية. وقد ساعدت اللغة اليونانية الرسل والكارزين في سرعة انتشار الكرازة بالإنجيل، وذلك في مقابل اللغة العبرانية والآرامية التي لم تكن معروفة إلا في حدود أرض فلسطين.

أمَّا عن الوضع السياسي فقد ساد السلام الروماني أرجاء العالم، وأصبحت طرق الاتصال ممهَّدة ومتيسِّرة، بل ومأمونة أيضاً. وقد سهَّل ذلك على الرسل الانتقال برًّا وبحراً داخل حدود الإمبراطورية، بل والذهاب إلى روما نفسها لتبشيرها بالمسيح. لأنه بالرغم من الاضطهادات التي واجهها الرسل، فإن الدولة الرومانية كانت مستعدة لتقبُّل أية ديانة جديدة. بل إن الفلاسفة اليونان أنفسهم كانوا قد مهَّدوا بتعاليمهم لاستقبال الدين الجديد الذي سيحقِّق لهم السلام ويمتعهم بالحياة في "المدينة الفاضلة" التي كانوا ينادون بها[١].

أما الوضع السياسي داخل حدود الدولة اليهودية فكان يعاني من المخاض، وكان في أشد الاحتياج لظهور المسيَّا. فقد وُلِدَ المسيح في أيام الملك هيرودس الكبير، هذا الملك الذي كان يمثِّل الشر بعينه. فقد كان يستخدم سلطانه لسحق أي تمرُّد سواء كان حقيقياً أو حسب تخيلاته. وقد أراق دماء خمسة وأربعين من أعضاء المجمع اليهودي (السنهدريم) في بداية حكمه، كما أنه قتل زوجته وحماته وثلاثة من أشقائه بدافع الغيرة. حتى في موته كان قد أمر بقتل مجموعة من أعيان الشعب ليضمن أنه سيكون هناك مناحة كبيرة في المدينة يوم وفاته[٢].

---

[1] Shepard, J. W. *The Christ of the Gospels*, WM. B. Eerdmans Publishing Company, 15th printing (1971) p.iii – ix.

[2] Ibid. p. 40

ولا ننسى الإجراءات التي اتخذها بعد عودة المجوس الذين حضروا للسجود لطفل المزود، فقد أمر بقتل جميع أطفال بيت لحم حتى يتأكَّد من القضاء على هذا الطفل الملك الذي أعلمه المجوس، بل والكهنة أيضاً، أنه سيولد في بيت لحم. لقد كان هيرودس يمثِّل بالحقيقة "رئيس هذا العالم"، الذي شحذ كل قواته لقتل طفل المزود البريء. وفيه تحقَّق قول يوحنا الإنجيلي أن النور جاء إلى العالم وأنه أضاء في الظلمة والظلمة لم تدركه. إنه في حكم الملك هيرودس كان "ملء الزمان" قد اقترب ليُظهر الله قوَّته ويعلن حضوره.

التلاميذ والرسل:

يمكننا أيضاً أن نقول إن الله كان يهيِّئ لنفسه آنية سبق فأعدَّها ليكون لها دورٌ في "ملء الزمان"، كما يوضِّح لنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية: « وَلكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ، أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ» (غل ١: ١٥و١٦). لقد كانت الكرازة بالمسيح تحتاج إلى أشخاص مثل بطرس وأندراوس، ويعقوب ويوحنا، وأكيلا وبريسكلا، لكي تُنشر كلمة الخلاص وتُبشر الشعب بمجيء المسيَّا. وبالأحرى كانت تحتاج إلى شخص مثل بولس الرسول، الذي نادراً ما يجود الزمان بمثله، الذي فيه اجتمعت الديانة اليهودية والثقافة اليونانية والمواطنة الرومانية، حتى يحمل الإنجيل بلا عائق ويجول في جميع

أرجاء المسكونة ينادي لهم ببشرى الخلاص. لقد وجد الله في شاول الطرسوسي، الذي صار بولس الرسول، إناءً مختاراً ليحمل اسمه أمام أُمم وملوك وبني إسرائيل (أع ٩: ١٥).

أخيراً وليس آخراً، كان الله يعد لنفسه في ملء الزمان، فتاة عذراء قديسة، تكون أهلاً لأن يتجسَّد في أحشائها وتكون أمينة على سر التجسُّد. هذه العذراء التي سبق فرآها إشعياء النبي قبل التجسُّد بسبعمائة عام، وتنبَّأ قائلاً: «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» (إش ٧: ١٤)، والتي رآها حزقيال النبي في الرؤيا وقال: «هذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقاً (نبوَّة عن بتولية العذراء)، لاَ يُفْتَحُ وَلاَ يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُغْلَقاً» (حز ٤٤: ٢).

قد يكون هذا هو ما دار بفكر القديس بولس عندما كتب لأهل غلاطية عن "ملء الزمان"، وبالأولى بفكر الرب يسوع عندما أعلن أنه «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ». لكننا نؤمن أنه عندما وجد الله الوقت قد حان، وأنه هذا هو الميعاد المناسب والوقت المقبول، أرسل الله ابنه إلى العالم ليفتدي الذين في العالم لننال التبنِّي.

غصنٌ من أصل يسَّى

*****

مَنْ يطالع نبوة إشعياء النبي القائلة: «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ נֵצֶר (وِ نِصِر) مِنْ أُصُولِهِ» (إش ١١: ١)، يشعر أنها تتعارض - ولو سطحياً - مع الآية السابقة لها مباشرة في نهاية الأصحاح العاشر: «هُوَذَا السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ يَقْضِبُ الأَغْصَانَ بِرُعْبٍ، وَالْمُرْتَفِعُو الْقَامَةِ يُقْطَعُونَ، وَالْمُتَشَامِخُونَ يَنْخَفِضُونَ. وَيُقْطَعُ غَابُ الْوَعْرِ بِالْحَدِيدِ، وَيَسْقُطُ لُبْنَانُ بِقَدِيرٍ» (إش ١٠: ٣٣-٣٤). ففي هذه الآية يشير إشعياء النبي إلى غابات لبنان المشهورة بأشجار الأَرز الشامخة المعمِّرة، وهو يرمز بشجر الأرز إلى الدولة الأشورية بكل بهائها وعظمتها في ذلك الوقت. وهو عندما يتكلم عن قطع هذه الأشجار فإنما يرمز إلى اضمحلال الإمبراطورية الأشورية. وشجر الأرز من الأشجار دائمة الخضرة، لكنها عندما تُقطع قريباً من الأرض فإنها لا تُخرج أغصاناً، بل تجف وتموت. أما شجرة إشعياء التي يتكلم عنها (١١: ١) والتي اجتُثت من أصولها فإنها سوف تنبت من جديد ويخرج من جذرها غصنٌ.

ونبوة إشعياء النبي الخاصة بالشجرة التي ستنبت من جديد لها مفهوم نبوي خاص وليست مجرد مقارنة بين مملكتي أشور وإسرائيل. فالنبوة

تشير إلى بيت داود، وعبارة «جذع يسَّى» تُذكِّر بأن بيت داود ترجع أصوله إلى بيت لحم، حيث كان داود ابناً ليسَّى وحيث وُلد وتربى هناك. تقرر النبوة أن عائلة داود سوف يأفل نجمها وأن الملوكية سوف تزول من هذه العائلة. لكن إشعياء يتنبأ أن الحكم سوف يعود لهذه الأسرة مرة أخرى، وسوف يكون له بداية جديدة كنموٍ جديد يخرج من جذر الشجرة.

لمحة تاريخية:

يرجع سبب رسالة إشعياء النبي هذه عن بداية مملكة داود الجديدة، إلى المواجهة التي واجه بها إشعياء النبي آحاز الملك. فقد كان آحاز ملك يهوذا في ضيقة عظيمة، إذ أن ملكيْ سوريا وإسرائيل كانا قد تحالفا معاً لمواجهة جيوش الأشوريين. وعندما دعا ملكُ إسرائيل الملكَ آحاز للاشتراك معهما في التحالف ورفض، قررا الاتحاد معاً ومهاجمة أورشليم وقتل الملك آحاز وتنصيب ملك آخر على يهوذا يوافق على التحالف معهما. فلما صعد الجيشان معاً وحاصرا أورشليم، وأدرك آحاز العواقب الوخيمة التي ستحل بأورشليم وبشعبه، «رَجَفَ قَلْبُهُ، وَقُلُوبُ شَعْبِهِ، كَرَجَفَانِ شَجَرِ الْوَعْرِ قُدَّامَ الرِّيحِ» (إش ٧: ٢).

وهنا تقابل إشعياء النبي مع آحاز وأبلغه رسالةً من الربِّ، وكانت الرسالة تتكون من شقيْن: **الشق الأول**، هو تشجيع لآحاز حتى لا يخاف

من الملكين المتحالفين ضده، وهما رصين ملك الأراميين (ملك سوريا) وفقح ملك إسرائيل: فإنه «هكَذَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: (إن الخطة التي أعداها ضدك) لاَ تَقُومُ! لاَ تَكُونُ!» (إش ٧: ٧). وحتى يتيقن قلب آحاز من هذه الرسالة طلب منه النبي أن يطلب آية أي معجزة أو عجيبة من الله، لكن آحاز رفض أن يطلب آية.

أما **الشق الثاني**، من رسالة الرب، فهي تتعلق بعدم تصديق الملك لرسالة الله له، أن الله قادرٌ أن يخلِّصه من الملوك المتحالفين ضده: «إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا» (إش ٧: ٩). أما استجابة آحاز فقد كان لها صدى أبعد من ملكه الشخصي. فإن رفض أن يثق في كلام الله له، فإن مملكة داود نفسها سوف تزول. وبالرغم من تحذير الله، فقد رفض الملك تصديق مواعيده. لذلك رأى الله أن يعطيه آية من اختيار الله نفسه، آية تخص شخص الله وتتعلق بخطته الأزلية: «وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً، وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» (إش ٧: ١٤).

ثم يسجِّل إشعياء النبي في نبوَّته (الأصحاح الثامن) ميلاد طفل له، ومن خلال هذا الطفل يعود الله فيعطي تأكيداً آخر لآحاز حتى لا يرهب إسرائيل وسوريا: «لأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبِيُّ أَنْ يَدْعُوَ: يَا أَبِي وَيَا أُمِّي، تُحْمَلُ ثَرْوَةُ دِمَشْقَ وَغَنِيمَةُ السَّامِرَةِ قُدَّامَ مَلِكِ أَشُّورَ» (إش ٨: ٤).

ثم يعود إشعياء في الأصحاح التاسع ويسجِّل مرة أخرى رسالة تحذير

للملك، وهي إن رفض الملك آحاز تصديق كلام الله، فستكون نهاية مملكة داود حتمية. ثم يتنبأ النبي بميلاد ابن لبيت داود الذي سيثبِّت مملكة داود إلى الأبد:

+ « لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشِيراً، إِلهاً قَدِيراً، أَباً أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيُعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا» (٩: ٦-٧).

هنا تبدو المضادة، فقد أخبر إشعياء الملك آحاز أن مملكة داود سوف لا تثبت، لكنه في هذه الآيات يبشره بميلاد ابن لبيت داود الذي سيثبِّت مملكة داود. وتبدو هذه المضادة واضحة في الآية الأولى من الأصحاح الحادي عشر: «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ» (١١: ١). فجذع يسَّى إشارة إلى بيت داود الذي سيُقطع من أصوله، والغصن إشارة إلى استمرار المملكة مرة أخرى.

ظاهرة طبيعية:

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل كان إشعياء يتوقع حدوث معجزة من الله يحافظ بها على مملكة وعرش داود من الانقراض، أم أنه كان يتوقع استمرار المملكة كظاهرة طبيعية مثلما يحدث لنمو غصن من

أصل الشجرة؟

من الواضح أن إشعياء كان يتكلم عن ظاهرة طبيعية تستطيع بها بعض الأشجار النمو من جديد. فبالرغم من قطع هذه الأشجار فإنها تعاود الحياة عن طريق نمو أغصان جديدة من الجذر المتبقي في التربة. وهذه الظاهرة لم تكن خافية أيضاً عن أيوب، فهو يقول: «لأَنَّ لِلشَّجَرَةِ رَجَاءً. إِنْ قُطِعَتْ تُخْلِفْ أَيْضاً وَلاَ تُعْدَمُ خَرَاعِيبُهَا. وَلَوْ قَدُمَ فِي الأَرْضِ أَصْلُهَا، وَمَاتَ فِي التُّرَابِ جِذْعُهَا، فَمِنْ رَائِحَةِ الْمَاءِ تُفْرِخُ وَتُنْبِتُ فُرُوعاً كَالْغِرْسِ» (أي ١٤: ٧-٩).

ربما كان إشعياء على دراية كافية بصفات أشجار الزيتون التي كانت تنمو بكثرة في منطقة فلسطين، والتي ورد ذكرها في الكتاب المقدس أكثر من خمسين مرة. فبالرغم من أن شجر الزيتون ينمو ببطء فإنه يستطيع أن يواصل الحياة لأكثر من ألف سنة. وأشجار الزيتون تتميز بأنها حتى لو قطعت بالقرب من سطح الأرض، فإن أغصاناً جديدة تنمو من الجذر حول جذع الشجرة وتحمل ثماراً بعد ذلك من جديد. وهذه الخاصية لا يتميز بها شجر الزيتون فقط، بل نجدها أيضاً في أشجار أخرى كثيرة مثل التين والجوز والرمان، وأيضاً كروم العنب التي تقطع عندما لا تعود تحمل ثماراً طيبة. فعندما يتم سقي هذه الجذور فإنها تُخْرِج أغصاناً جديدة في العام التالي وتحمل ثماراً جيدة.

لقد استقى إشعياء درساً من الطبيعة عندما أورد نبوَّته عن نمو الغصن الذي سيسمح باستمرارية مملكة بيت داود. وهو لم يتكلم عن عملية تقليم الأشجار التي تجري كل عام لكي تأخذ الشجرة قوتها في النمو، لكنه كان يتكلم عن إمكانية بعض الأشجار على مواصلة الحياة حتى بعد أن تُجتث من على سطح الأرض.

ومع ذلك فإن رسالة إشعياء قد فُهمت على أنها رسالة من الله. وذلك لأنها اعتمدت على أمانة الله الذي وعد داود أن مملكته سوف تدوم إلى الأبد: «وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتاً إِلَى الأَبَدِ» (٢صم ٧: ١٦). وينبغي أن نلاحظ أن إشعياء لم يستنتج أو يستخرج هذه النبوة من رؤيته لظاهرة طبيعية تحدث من حوله، لكن الطبيعة أمدته بصورة توضيحية لما سوف يعمله الله حتى يثبِّت مملكة داود إلى الأبد حتى بعد زوال المُلك عن بيته. فبالرغم من أن مملكة داود ستنتهي من خلال نسل آحاز، فإن هذه المملكة ستقوم من جديد من خلال الغصن الذي سينمو من أصل يسَّى.

تحقيق النبوة:

من العجيب أن نبوَّة إشعياء النبي بكل تفاصيلها لم تتحقق إلا في شخص الرب يسوع. فقد وُلد الطفل يسوع من القديسة مريم العذراء التي من نسل داود في بيت لحم، وهي مدينة الملك داود بن يسَّى، وفيه

تحققت الآية: «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ נֵצֶר (وِ نِصِر) مِنْ أُصُولِهِ» (إش ١١: ١). ويخبرنا إنجيل القديس لوقا بالترتيب الإلهي الذي قاد القديس يوسف والعذراء مريم إلى بيت لحم حيث ولد الطفل يسوع هناك.

أما القديس متى فيخبرنا في إنجيله أنه بعد ميلاد الرب يسوع في بيت لحم، هربت العائلة المقدسة إلى أرض مصر ثم عادت وسكنت في مدينة الناصرة، لذلك دُعي يسوع ناصرياً. ويرجح علماء الكتاب المقدس أن كلمة "ناصرة" مشتقة من الكلمة العبرية "نِصِر" נֵצֶר والتي تعني "غصن". وإرميا النبي يدعو الرب يسوع صراحة "غصناً"، وذلك في نبوته التي يتنبأ فيها بقيام ملك من نسل داود تكون مهمته تثبيت مملكته إلى الأبد: «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ **غُصْنَ بِرٍّ**، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقًّا وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا، ("لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ" مت ١: ٢١) وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِناً. **وَهذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: "الرَّبُّ بِرُّنَا"**» (إر ٢٣: ٥). فمَنْ من جميع نسل داود تحققت فيه النبوة ودُعِيَ «الرَّبُّ بِرُّنَا» إلا الرب يسوع وحده: «الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً» (١كو ١: ٣٠)! هذا: «الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا» (رو ٤: ٢٥).

كما يصفه زكريا النبي أنه هو غصنُ الربِّ: «هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ:

هُوَذَا الرَّجُلُ الْغُصْنُ اسْمُهُ. وَمِنْ مَكَانِهِ يَنْبُتُ وَيَبْنِي هَيْكَلَ الرَّبِّ» (زك ٦: ١٢). وهو نفس اللقب الذي دعاه به إشعياء النبي: «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ غُصْنُ الرَّبِّ بَهَاءً وَمَجْداً، وَثَمَرُ الأَرْضِ فَخْراً وَزِينَةً لِلنَّاجِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ» (إش ٤: ٢).

وحتى لا يحتار شعب الله ويختلط عليه الأمر ويحاول أن يطبق نبوات إشعياء النبي على أي ملك يقوم من نسل داود، أوضح إشعياء، بما لا يدعو مجالاً للشك، أن هذا المولود الذي سيخرج من جذع يسَّى سوف تكون له صفات إلهية، أي أنه سيكون إلهاً وإنساناً في نفس الوقت. ولا نعرف كيف نطق إشعياء بهذه النبوة، هل كان في حالة من الصحو أم في حالة اختطاف؟ أم تراه كان قد دخل في مجال إلهي لغى كل حواسه الأرضية وإمكانياته البشرية، وأُعطِيَ له حسًّا سماوياً مرهفاً ليشعر بقوة الكلمات التي ينطق بها. اسمعه وهو يتكلم عن ابن داود الذي سيقوم بتثبيت المملكة:

+ «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ (من دمنا ولحمنا)، وَنُعْطَى ابْناً، (ابن لنا أي له نفس طبيعتنا البشرية)، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ **عَجِيباً، مُشِيراً، إِلهاً قَدِيراً، أَباً أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ**. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيُعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا» (إش

٩: ٦-٨).

نعم، إنها غيرة رب الجنود الذي أحب خاصته، بل أحبهم إلى المنتهى، فأرسل ابنه الوحيد متجسِّداً من العذراء، آخذاً طبيعتنا البشرية، حاملاً خطايانا وكل ما لنا في جسده، ليهبنا كل ما له، حتى كما صار هو ابناً للإنسان، يمنحنا أن نصير نحن أبناءً لله فيه. وكما صار هو غصناً، بل كرمة حقيقية، نصير نحن أغصاناً ثابتين فيه، مغتذين من عصارته وحاملين ثماره: «أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يو ١٥: ٥).

هذا هو الغصن الذي خرج من جذع يسَّى، ليحمل شجرة يسَّى وكل بيت داود في جسده. وبدلاً من أن يثبِّت مملكة بيت داود الأرضية، افتتح بجسده طريقاً للملكوت السماوي لكل بيت داود وذرية داود، إسرائيل الجديد، أي المؤمنين باسم ابن الله.

المَسِيحُ البِكْرُ

*****

تتكرر كلمة البكر كثيراً في الكتاب المقدس، سواء كان المقصود بها بكر الإنسان أو بكر الحيوان، أو حتى أبكار المزروعات. وكان للبكر مكانة خاصة في العهد القديم بين عائلته وأيضاً أمام الله حسب الوصايا التي أعطاها الله لأنبياء العهد القديم. وعندما كتب بولس الرسول رسالته إلى أهل كولوسي، ذكر لهم أن المسيح هو: «بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ» (كو ١: ١٥). فماذا كان يعني بولس الرسول بهذا اللقب، وكيف يكون المسيح بكر الخليقة؟

تأتي كلمة بكر في اللغة اليونانية πρωτότοκος (بروتو- توكوس) وترجمتها الحرفية «الحَمْل للمرة الأولى»، وهي من الكلمات الخاصة بالترجمة السبعينية للعهد القديم، إذ أنها لم ترد في أية نصوص يونانية قبلها، وقد وردت في السبعينية حوالي ١٣٠ مرة بمعنى «الابن البكر، أو الابن المولود أولاً». وهذه الكلمة هي ترجمة للكلمة العبرية «بوكير» ومعناها «بكر» وذلك عندما تأتي لتصف بكر الإنسان أو الحيوان، وفي الجمع

«بكوريم» ومعناها «أبكار» عندما تصف أبكار المزروعات[٣].

أما في العهد الجديد فإنها ترد ثماني مرات، مرتان منها في صيغة الجمع (عب ١١: ٨؛ ١٢: ٢٣)، أما الست مرات الباقية فتأتي في صيغة المفرد وتشير إلى الرب يسوع. وعندما نقرأ هذه الآيات، لا نجد صعوبة في فهم معناها، فمعظمها تحمل المعنى الشائع في العهد القديم لمفهوم البكر، أي الابن الأكبر، أو الابن المولود أولاً. فهي ترد في إنجيل لوقا عن ميلاد الرب يسوع من العذراء مريم: «فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ... كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوساً لِلرَّبِّ» (لو ٢: ٧،٢٣). والجدير بالملاحظة هنا أن كلمة البكر اليونانية (بروتوتوكوس) تحكم ما قبلها وليس ما بعدها، أي أنها تعطي معنى أن المولود هنا هو المولود الأول، وليس بالضرورة أنه لحقه آخرون في الولادة[٤]. كما ترد كلمة البكر أيضاً عن المسيح كبكر من بين الأموات أو كبكر بين إخوة كثيرين (رؤ ١: ٥؛ رو ٨: ٢٩).

ولكن الصعوبة في فهم كلمة البكر تقابلنا هنا في آية بولس الرسول في رسالته لأهل كولوسي، وأيضاً في الرسالة إلى العبرانيين: «وَأَيْضاً مَتَى

---

[3] Michaelis, Wilhelm, πρωτότοκος *Theological Dictionary of the New Testament,* vol. VI, p. 871-876.

[4] J. B. Lightfoot, *The Epistle of St. Paul to the Galatians*, Zondervan Publishing House, Grand Rapids, Michigan, third reprint edition (1962) p. 271.

أَدْخَلَ **الْبِكْرَ** إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ» (عب ١: ٦).

✠ إن الآيات الواردة في رسالة كولوسي (كو ١: ١٥–٢٠) تمثل ترنيمة أو قصيدة شعرية، يرى كثيرٌ من الباحثين أنها كانت تستعمل في الصلوات الليتورجية أو الطقسية في الكنيسة الأولى. وهذه القصيدة تظهر أنها تدور حول أول كلمة في العهد القديم في لغته العبرية: «في البدء (براشيت)» وهي الكلمة التي تحمل في داخلها معنى **البدء** أو **الرأس**. تنقسم هذه الترنيمة إلى جزئين، الأول منها (كو ١: ١٥–١٧) يظهر فيه المسيح كمصدر للخليقة:

«الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ،
بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ، فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ:
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ،
مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى،
سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ.
الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ.
الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ».

أما الجزء الثاني من الترنيمة (كو ١: ١٨–٢٠) فيظهر فيه المسيح كمصدر للخليقة الجديدة، أو ينبوع الفداء:

«وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ.

الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ،
لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّماً فِي كُلِّ شَيْءٍ.
لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ،
وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ،
عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ،
سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ».

وبالقراءة المدققة لجزئي القصيدة، نكتشف أنهما قصيدتان متوازيتان، أو متقابلتان في المعنى. ففي الجزء الأول يظهر المسيح أنه الصورة المنظورة لله غير المنظور، وأنه السبب في كل الخليقة المادية وغير المادية. بل أن قيام الخليقة ودوامها يعتمد عليه. أما في النصف الثاني من القصيدة يظهر المسيح أنه الوسيط الذي به تمت المصالحة بين الخليقة وخالقها. إنه أصل الكنيسة والمسئول عن وجودها وكيانها. وفي كلا الجزئين يظهر بوضوح أن المسيح ليس جزءاً من الخليقة، بل هو خالقها وموجدها من العدم، كما يظهر أنه ليس جزءاً من الكنيسة، بل هو أصلها وسبب قيامها. فالمسيح في هذه الآيات هو الله الخالق والعامل في الخليقة، والمصالح والفادي لها (كو ١: ١٥، ١٩).

مفهوم البكر في العهد القديم:

ولكي نفهم معنى كلمة البكر التي يستعملها بولس الرسول هنا، علينا

أن نرجع لمعنى هذه الكلمة كما ترد في العهد القديم:

١ - البكر في العهد القديم يعني الابن المولود أولاً، حتى وإن سبقه أخوات في الولادة، فالبكر يكون من الذكور فقط. هذا الطفل الذكر البكر يكون له مكانة رائدة في الأسرة، ويتبوأ مكان الصدارة في العائلة عند وفاة الوالد، وله الحق في نصيب اثنين في الميراث.

٢ - كان البكر يعتبر مِلكاً خاصاً لله: «قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي» (خر ١٣: ٢).

٣ - كانت البكورية أو حق الابن الأكبر ترجع إلى الوالد نفسه وليس إلى مجرد ترتيب الولادة للأطفال، وكان من حق الوالد أن يسحب حقوق البكورية من الابن الأكبر ويعطيها لطفل آخر من أولاده. فمثلاً في سفر التكوين (تك ٢٥: ٢٩-٣٤) كان من حق الابن الأكبر أن يبيع بكوريته لأخيه الأصغر منه، كما فعل عيسو وباع حق البكورية لأخيه يعقوب، ومع ذلك لم يعترف أبوهما إسحق بهذا الأمر وطلب من عيسو أن يصنع له وليمة صيد حتى يأكل ثم يباركه، متغاضياً عن الاتفاق الذي تم بين عيسو ويعقوب (تك ٢٧: ١٩).

وفي الجيل التالي لهذه الواقعة، لم يمنح يعقوب ابنه الأكبر رأوبين حق البكورية، بل أعطاها ليوسف ابن زوجته المحبوبة راحيل. وقد أفصح

عن ذلك علانية عندما صنع ليوسف قميصاً ملوناً لتمييزه على باقي إخوته (تك ٣٧: ٣-٤)، وبهذا التمييز أعطى يعقوب ليوسف حق البكورية مما أثار ضده غيرة إخوته، خاصة عندما أعطى يوسف لإخوته الانطباع برئاسته عليهم بواسطة الأحلام التي كان يقصها عليهم. وحتى يوسف نفسه المعتبر أنه بكر عندما قدم ولديه لأبيه يعقوب ليباركهما، قدم يعقوب الابن الأصغر على الابن الأكبر (تك ٤٨: ١٣-٢٠).

٤ – مرة أخرى نجد في العهد القديم أن كلمة بكر أحياناً لا تطلق على الابن المولود طبيعياً أولاً، بل الابن الذي سوف يصير قائداً أو مميزاً. عندما طلب الله من إبراهيم أن يقدم له إسحق محرقة، قال له: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ» (تك ٢٢: ٢)، مع أنه لم يكن وحيده، ولكن المقصود هنا بالابن الوحيد، وبالتالي الابن البكر، الابن المحبوب. وفي سفر ميخا وسفر زكريا نجد أن المقصود بالابن البكر الابن المحبوب من والديه أو العزيز جداً لديهم: «بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ؟ .. هَلْ أُعْطِي بِكْرِي (أي ابني المحبوب) عَنْ مَعْصِيَتِي ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟» (ميخا ٦: ٦،٧)، «وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى بِكْرِهِ (أي ابنه المحبوب)» (زك ١٢: ١٠).

٥ – معنى آخر يقابلنا في العهد القديم لمفهوم البكر، وذلك عندما دعا

الله إسرائيل بأنه ابنه البكر، وذلك في حديثه مع موسى النبي: «فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ» (خر ٤: ٢٢)، وهو نفس المعنى الذي كرره بعد ذلك إرميا النبي: «لأَنِّي صِرْتُ لإِسْرَائِيلَ أَباً، وَأَفْرَايِمُ هُوَ بِكْرِي» (إر ٣١: ٩). والمعنى الوارد في هاتين الآيتين، والذي لم يتكرر في العهد القديم بعد ذلك، لا نجد أي تلميح أن الله قد ولد إسرائيل، لكنه يقصد أن إسرائيل هو الشعب رقم واحد أو الشعب المفضل أو المختار لديه. أو الشعب القريب إلى قلبه، من يخطئ نحو هذا الشعب فكأنه يسيء إلى الله نفسه، ومن ثم عليه أن يتحمل عقوبة خطئه. ففي سفر الخروج عندما رفض فرعون أن يطلق إسرائيل، قال الرب: «أطلق ابني ليعبدني، فأبيتَ أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر» (خر ٤: ٢٣).

٦ – أخيراً، نجد أن الملك الذي سيملك على كرسي داود سوف يسمى «الابن البكر»: «هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي، أَنَا أَيْضاً أَجْعَلُهُ بِكْراً، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ» (مز ٨٩: ٢٦،٢٧). واضح هنا أيضاً أنه لا يوجد ولادة حسب الجسد لهذا الابن البكر، لكن الله سوف يجعله بكراً له، أي سيجعله أعلى من كل ملوك الأرض. فالابن البكر هنا يعني مكان الصدارة والكرامة والمجد الذي سيحتله الملك الداودي.

المسيح بكر الخليقة:

نلاحظ مما سبق أنه عندما أورد القديس بولس الترنيمة التي تذكر أن

«المسيح بكر كل خليقة»، فإنه كان يضع في اعتباره مفهوم «الرأس والبداية»، أو بمعنى آخر، مكان الصدارة والسمو فوق كل خليقة مادية وغير مادية، وكمصدر ونبع الفداء. وإذا ما استعرنا ما جاء في آية سفر المزامير السابق ذكرها، والتي تعتبر نبوة عن المسيح، يكون المسيح هو رقم واحد في عائلة الله، وأن الله جعله وارثاً وملكاً فوق كل ملوك الأرض.

وكما تذكر الآية أن المسيح هو بكر كل خليقة، تعود وتذكر أنه هو خالق هذه الخليقة: «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى».

وتعود الترنيمة وتطلق على المسيح نفس هذا اللقب «البكر» ولكن بمعنى آخر، فهو «بكر من الأموات»، فهو أول من قام من بين الأموات لحياة أبدية ليس لها نهاية. فبالرغم من أنه هناك من أقيموا من الموت قبل قيامة المسيح، ولكنهم جميعاً قاموا لحياة مؤقتة تنتهي بالموت ثانية، لكن المسيح هو الباكورة أو رأس من سيقومون من الأموات لحياة أبدية دائمة مع الله.

وهكذا نجد أن القديس بولس لا يستعمل كلمة بكر بالمفهوم الحرفي لهذه الكلمة، وهو المفهوم الأكثر شيوعاً في العهد القديم. فالمسيح هو بكر الخليقة، ليس بمفهوم أنه واحد من الخليقة، بل بمفهوم رأس الخليقة

والأول في عائلة الله، سواء الخليقة القديمة أو الخليقة الجديدة في المسيح. هو قائد كل العائلة وهو الأول في كل شيء فيها. هو ليس جزءاً من الخليقة المادية، ولا حتى من الخليقة المفتداه الجديدة، بل هو صورة الله والذي فيه يحل كل ملء اللاهوت.

بركات لقب البكر بالنسبة للخليقة الجديدة:

إن لقب البكر لا يفيد المسيح في شيء، بل يعود بالفائدة علينا نحن. فهو بكر لنا، لأنه صار أخاً لنا حسب التدبير، أي صار بكراً بين إخوة كثيرين. وهو أيضاً بكر لنا من جهة قيامته من بين الأموات، ليهيئ لنا الطريق للدخول إلى الأمجاد السماوية.

يقول القديس أثناسيوس الرسولي:

[الله الذي كان للناس خالقاً، صار لهم فيما بعد أباً، بسبب كلمته الذي سكن فيهم.

أما بخصوص الكلمة، فالأمر معكوس،

فالله وهو آب له بالطبيعة، صار له فيما بعد خالقاً وصانعاً

حين لبس الكلمة جسداً مخلوقاً ومصنوعاً وصار إنساناً ...

فحينما لبس الكلمة جسداً مخلوقاً وصار مشابهاً لنا من جهة الجسد،

فقد صار من اللائق أن يُدعَى "أخاً" لنا و"بكراً لنا".

فمع أنه قد صار من بعدنا ولأجلنا إنساناً وأخاً لنا
بسبب مشابهة جسده لأجسادنا،
لكنه مع ذلك يُدعى ويكون بالفعل "بِكْراً" لنا.
لأنه بينما كان جميع الناس هالكين بسبب معصية آدم،
فإن جسده كأولٍ بين جميع الأجساد الأخرى
قد نجا وتحرَّر لأنه كان جسداً "للكلمة" نفسه؛
ومن بعده نحن أيضاً لمّا نصير جسداً واحداً معه
نخلُص أيضاً على مثاله ...
فإنه هو "الابن الوحيد" بسبب ولادته من الآب،
وهو "البكر" بسبب تنازله إلى خليقته، واتخاذه إخوة كثيرين له]

ضد الأريوسيين ٢: ٦١ و٦٢

ويقول القديس كيرلس الكبير:

[«متى أَدْخَلَ البكر إلى العالم يقول:
ولتسجد له كل ملائكة الله» (عب ١:٦).
فمع بقائه ابن الله الوحيد (مونوجينيس) من جهة لاهوته،
إلاَّ أنه لَمَّا صار أخاً لنا،
قد دُعِيَ أيضاً بلقب البكر،
حتى يصير مثل **باكورة لتبنِّي البشرية**

ويُهيّء لنا أن نصير نحن أيضاً أبناءً لله...] تفسير لو ٢:٧

[بسبب محبة الآب لخلائقه،

قد دعا الابنُ نفسَه

بكراً لكل خليقة (١كو ١:١٥).

فهو بكر من أجلنا نحن،

حتى تصير الخليقة كلها كأنها مطعَّمةً فيه،

كما في أصل جديد غير مستهدف للموت،

فتنبت من جديد من الكائن الأزلي نفسه!] **الكنز في الثالوث ٢٥**

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

[ليتنا لا نمسك فقط بالمسيح بل لنلتصق به،

لأننا إن افترقنا عنه فإننا نهلك، كما يقول:

«الذين يبعدون عنك يهلكون» (مز ٧٣: ٢٧).

فلنلتصق إذاً به، لنلتصق به بأعمالنا، لأنه يقول:

"الذي يحفظ وصاياي فهو الذي يثبت فيَّ" (انظر يو١٤: ٢١)

وهو يوحِّدنا به بأمثلة كثيرة. فانظر:

إنه هو الرأس ونحن الجسد.

فهل يمكن أن توجد أية فجوة بين الرأس والجسد؟

إنه هو الأساس ونحن البناء.

هو الكرمة ونحن الأغصان.

هو العريس ونحن العروس.

هو الراعي ونحن الخراف.

هو الطريق ونحن السائرون فيه.

نحن الهيكل وهو الساكن فينا.

هو البكر ونحن إخوته.

هو الوارث ونحن شركاؤه في الميراث.

هو الحياة ونحن الأحياء.

هو القيامة ونحن القائمون.

هو النور ونحن المستنيرون.

كل هذه تفيد الاتحاد

ولا تترك فرصة لوجود أقل فجوة بيننا وبينه!]

العظة الثامنة في تفسير ١كو ٣: ١١

المسيحُ نُورُ العَالَمِ

*****

«ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً قَائِلاً: أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ، بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يو ٨: ١٢).

*****

العتمة تسود:

قبل مجيء المسيح واستعلانه كنورٍ للعالم، كان الظلام الروحي يعمّ الأرض، ومن جرَّاء احتجاب النور الإلهي، كان الأنين من سلطان الظلمة على الطبيعة البشرية غصة ألم مكتومة في صدور الأتقياء، حسبما يصف الكتاب المقدَّس البار "لوط" قائلاً عنه: «إِذْ كَانَ الْبَارُّ، بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، يُعَذِّبُ يَوْماً فَيَوْماً نَفْسَهُ الْبَارَّةَ بِالأَفْعَالِ الأَثِيمَةِ» (٢بط ٢: ٨).

كانت ظلمة الخطية قلعة حصينة في مدينة الموت أرض شقائنا، استطاع عدو جنسنا أن يوجِّه سهامه منها إلى الناس، كما استطاع - من طول زمان حكمه من قلعة الظلمة هذه - أن يجد لظلمته مساراً وطريقاً

داخل نفس الإنسان؛ حتى تغلغلت في كيانه كله.

ومن خلال عمل الظلمة في الإنسان، استطاعت الخطية أن تجسِّم فيه صفات الإنسان العتيق، بعد أن انطمست الصورة الإلهية داخل الإنسان.

وفي مجال الظلمة خلا الجو لسلاطين الموت لكي تبدد وتهلك قطيع البشرية، حتى ملكت وسيطرت على ميول الإنسان. وصارت هذه الميول هي المجال المحبَّب والأدوات المناسبة التي من خلالها نَفَثَ عدو الخير سموم شره في قلب الإنسان فأفسد طريقه: «وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ» (تك ٦: ١٢). حتى الأفكار والتصورات والغرائز الفطرية المجبولة حسناً في الإنسان، وضعها العدو تحت تصرُّفه، وطرح عليها نيره فأمست هي وقيد النار الذي يُشعل به لهيب الشهوة داخل كيان الإنسان: «كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ» (تك ٦: ٥).

وعلى صعيد ظلمة بني الإنسان، اكتسى وجه البشرية بعرق كدِّ السنين، وعاشت التعاسة والحرمان، وامتلأت من السآمة والملل، وعانت من العجز وفراغ النفس. وفوق ذلك فقد حفرت الظلمة لها خطوطاً عميقة في أرض النفس، ورمى العدو بذور زوانه فيها، حتى أثمرت ثمراً رديًّا.

ومن جرَّاء سيادة الظلمة، وتملُّك الخطية على الأعضاء، وسيطرة الشهوة على الغرائز تسيَّدت العتمة على الإنسان المطرود من حضرة الله، فهبط من علوِّ الشركة الحية مع الله (في الفردوس) إلى حضيض الترابيات، كقول الله لآدم، «لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تك ٣: ١٩). وقد زاد من مرارة الإنسان شعوره بالفقر والإفلاس الروحي معاً من كل ميراث روحي، إذ صارت البشرية كلها «شَعْبٌ مَنْهُوبٌ وَمَسْلُوبٌ. قَدِ اصْطِيدَ فِي الْحُفَرِ كُلُّهُ» (إش ٤٢: ٢٢). وأضحت الظلمة غماماً كثيفاً ينتشر على وجه الأرض ويغطِّي كل ساكنيها: «لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ» (إش ٦٠: ٢).

الرجاء يتجدَّد:

ومع شعور الإنسان بإفلاسه، وإحساسه بالموت يسري في كيانه، رفعت البشرية وجهها إلى فوق تترجَّى الخلاص:

فيعقوب أبو الأسباط يتنهَّد منتظراً الخلاص فيقول: «لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ» (تك ٤٩: ١٨). وظلَّ الإلحاح شديداً من قِبَل البشرية - في شخص الأنبياء - في طلب إشراق النور والخلاص: فداود النبي يصرخ: «يَا اَللهُ أَرْجِعْنَا، وَأَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ» (مز ٨٠: ٣)، ويتوسَّل قائلاً: «أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ» (مز ٤٣: ٣). ويواصل صراخه: «أَضِئْ بِوَجْهِكَ عَلَى عَبْدِكَ. خَلِّصْنِي بِرَحْمَتِكَ. يَا رَبُّ، لاَ تَدَعْنِي أَخْزَى لأَنِّي دَعَوْتُكَ» (مز ٣١: ١٦

و١٧).

استجابة الله لصراخ الإنسان:

وينظر الله إلى ظلمة الإنسان وبؤسه، فيرثي لحال كل بني المذلة، ويستجيب لصراخ البائسين. وتأتي الاستجابة على لسان الأنبياء الناطقين بروح الله، لتعلن **قرب مجيء النور** الذي سيعوِّض عن تعب السنين ومشقتها، ويبدِّل عناء الإنسان وبؤسه ومرارة عبوديته، بحلاوة عتقه من قيود الظلمة، واسترداده من بين أنياب الموت، وردّ الإنسان الغارق في ظلمة الأحزان إلى الله مصدر عزائه دفعةً أخرى:

فأيوب الصدِّيق يفرح بشروق النور على حياته، وخلاصه من حفرة الهلاك، فيقول: «فَدَى نَفْسِي مِنَ الْعُبُورِ إِلَى الْحُفْرَةِ، **فَتَرَى حَيَاتِي النُّورَ**» (أي ٣٣: ٢٨).

وإشعياء النبي يُعزِّي النفس البشرية قائلاً لها: «لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ **نُورُكِ**، وَمَجْدُ الرَّبِّ **أَشْرَقَ عَلَيْكِ**» (إش ٦٠: ١). ويبشِّر الجالسين في الظلمة قائلاً: «الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ **نُوراً عَظِيماً**. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ **أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ**» (إش ٩: ٢).

وكذلك ناحوم النبي يكرز بالدفء للقلوب التي جمَّدها صقيع البُعْد عن الله، فيقول: «فِي يَوْمِ الْبَرْدِ. **تُشْرِقُ الشَّمْسُ**» (نا ٣: ١٧).

وزكريا النبي يبشِّر البشرية التي أمسى عليها الزمان، وتراكمت عليها الظلمة وكأنها في مساءٍ دائم قائلاً: «وَقْتِ الْمَسَاءِ يَكُونُ نُورٌ» (زك ١٤: ٧).

وأيضاً ملاخي النبي يهتف فرحاً لشفاء البشرية من أمراض ظلمة الخطية وعطبها من كل برٍّ، بانسكاب أشعة شمس البر عليها قائلاً: «تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا» (ملا ٤: ٢).

استعلان النور:

وأخيراً، وفي ملء الزمان، جاء المسيح وأعلن نفسه كنور حقيقي صادر من عند الآب: «خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ» (يو ١٦: ٢٨)، تدفعه وتحرِّكه قوة الحب الكامنة فيه من جهة خلاص الإنسان من سلطان الظلمة، وتحطيم حواجزها التي نشأت من جرَّاء معصية الإنسان.

جاء المسيح كبهاء مجد الآب، ليُلاشي الضباب المتكاثف على قلوب الناس، ويحرِّرهم من سلاسل الظلمة التي أسرتهم واستولت عليهم: «كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ» (أع ٢٦: ١٨). جاء ليفكَّ عن النفوس حصار العتمة، وينير كل نفس محبوسة وراء أسوار ظلمة العبودية للشهوات: «لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ» (إش ٤٢: ٧).

جاء ليريح التعابى والمتضايقين، والذين من كثرة يأسهم تراءى لهم أن الحياة ليلٌ لا يعقبه نهار، ولكيما يحمل أثقال كل القلوب التي انسحقت تحت عبء أحمال الهموم والآلام، داعياً إياهم: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (مت ١١: ٢٨).

جاء النور الحقيقي كقوَّة حياة جديدة ليوقف تيار الإثم عن السَرَيان في كيان الإنسان، ليُقيم وينقذ كل الغارقين في بحار الظلمة ويحيي من جديد كل مَنْ جرفه تيار الموت: «اِرْحَمْنِي يَا رَبُّ. انْظُرْ مَذَلَّتِي مِنْ مُبْغِضِيَّ، يَا رَافِعِي مِنْ أَبْوَابِ الْمَوْتِ» (مز ٩: ١٣)، «أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ» (يو ١٠: ١٠).

على عتبة الإحساس بدخول النور:

طالما لم تكن هناك موانع - من جهة الإنسان - تقف في وجه النور ليدخل ويعمل، فهو يبدأ عمله حالاً، وإن كان بطيئاً وعلى مهل، ولكن أثره يكون واضحاً جلياً يوماً بعد يوم.

وإزاء دخول النور إلى القلب يبدأ الإنسان بمؤازرة روح الله حسب الآية: «إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ» (رو ٨: ١٣) في إماتة الإنسان العتيق - بكل صفاته وشهواته القديمة - لكي يترك المجال لبذرة الإنسان الجديد أن تطلع وتنمو. وعندئذ تبدأ صورة الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق أن تأخذ في الظهور. وإذ

يدخل النور إلى القلب وهو مُحمَّل بالحياة، ينساب تيار الحياة في القلب كسريان النهر المتدفِّق الذي يكتسح أمامه كل مخلَّفات الظلمة وآثارها. لذلك فهو سُمِّي "نور الحياة" أي النور الذي يحمل الحياة في أشعته، فيدخل ليُحيي من موت الخطية ويُقيم من القبور: «مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يو ٨: ١٢).

ولا يكف النور عن عمله حسب قول الرب: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (يو ٥: ١٧)؛ بل يستمر في عمله حتى يفطم النفس عن الملذات والنـزوات الماضية التي كان يشرب منها بلا ارتواء. وبفعل النور المتواصل تقل الاستجابة لإلحاح الغريزة ومتطلبات الشهوة، حتى يجيء اليوم الذي يدوس عليها الإنسان برجليه، ويشمئز من كل أعمال الظلمة: «اَلنَّفْسُ الشَّبْعَانَةُ (من عمل النور) تَدُوسُ الْعَسَلَ» (أم ٢٧: ٧). فالنفس تجد شبعها الحقيقي في كلمة الله التي هي نور، وفي وسائط النعمة المغذية لبذرة الحياة في الداخل.

ومع التسليم والخضوع لعمل النور، يبدِّد النور كل قلق ومخاوف في الداخل ليحل محلها السلام والهدوء والفرح وراحة الضمير: «سَلاَماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ» (يو ١٤: ٢٧). وبطبيعة عمل النور كنور، فهو يُضيء الطريق الروحي أمام الإنسان، ويقود خطواته في طريق السلام: «يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ» (لو ١: ٧٩)، «سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ

لِسَبِيلِي» (مز ١١٩: ١٠٥)؛ كما يتولَّى تنبيه الإنسان وتحذيره من كل المعاثر وحُفَر الهلاك: «لأَنَّ الرَّبَّ يَكُونُ مُعْتَمَدَكَ، وَيَصُونُ رِجْلَكَ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ» (أم ٣: ٢٦).

أبناء نور وأبناء نهار:

الإنسان العائش في الظلمة إمَّا أنه يحاول التملُّص من سلطان النور فيبقى في الخطية؛ وإمَّا أنه بتصميم القلب على السير في طريق النور وأمام قوة عمل النور، تبدأ الظلمة تتراجع إلى الوراء شيئاً فشيئاً حتى يملك النور على القلب ويملأ كل جوانبه، ويصير سنداً قوياً ومعيناً جبَّاراً لكل مَنْ يصارع ويجاهد ضد أباطيل ظلمة العالم.

ولا يقف عمل النور عند حدِّ المعونة والسند، بل يصير هو نفسه القائد الأول على خط النار في المعركة الضارية بين مملكة النور ومملكة الظلمة، ليصدَّ هجوم الخطية. كما يستعلن النور عمله كقوَّة إلهية فتبطل عمل الأعداء غير المنظورين، وترد السهام النارية الموجَّهة إلى أولاد الله من قوَّات الظلمة: «صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ» (لو ١: ٥١)، «اللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ» (مز ٤٦: ١)، «لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ يَأْمُرُ الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتَخْرُجُ» (لو ٤: ٣٦).

ومنذ مجيء المسيح، وإلى يومنا هذا، وحتى مجيئه الثاني سيظل الصراع قائماً والحرب بلا هدنة بين النور والظلمة. لذلك يوصينا الرب محذِّراً

إيَّانا: «سِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ» (يو ١٢: ٣٥).

ولكن من دواعي سرورنا، أنه بحضور النور الإلهي إلى عالمنا، استُعلن ملكوت الله، ملكوت النور الأبدي. أتى النور إلى أرضنا وأبى أن يفارقها؛ بل امتد وتعمَّق حتى تغلغل طبيعة الإنسان ذاته فولده من جديد، وبدأت ملامح النور تتكامل داخل الإنسان حتى تشكَّل وتمخَّض عن إنسان جديد بطبيعة جديدة وعطايا صالحة من عند أبي الأنوار.

وباندفاق النور على أرضنا لم تَعُد الطبيعة البشرية سقيمة أو عقيمة، بل صار قمح برّها ملآناً في السنبل، أي الحياة ملآنة من ثمار الروح القدس: «محبة فرح سلام، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة تعفُّف» (غل ٥: ٢٢ و٢٣).

ومع بزوغ النور في قلوب المولودين من فوق، تنقطع الصلة التي كانت تربط قلوبهم وأفكارهم بالأرض وشهواتها؛ وتصير سيرتهم في السموات، ولا يعودون يطأطئون رؤوسهم وينحنون لنير العدو وسلطانه، ولا تعود ميولهم وعواطفهم سائبة تتجه أينما أرادت، إذ تنضبط وتخضع لعمل الله ولتتميم مشيئته: «أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ» (مز ٤٠: ٨)، «أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ» (١كو ٩: ٢٧).

ومن جرَّاء استضاءة النفوس بنور الله، رأينا من هذه النفوس قمماً

شوامخ مثل الشهداء الأبرار الذين فرَّطوا في حياتهم ولم يفرِّطوا في النور الذي احتواهم ومَلَكَ عليهم. كما رأينا أشجاراً فارعة ظليلة، استظلَّ تحت غصون برِّها كثيرون.

وهكذا مع استعلان النور في عالم الإنسان، انحسر عنه سلطان ملاك الظلمة وتضاءل نفوذه: «اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ خَارِجاً» (يو ١٢: ٣١)، وصار رأس الظلمة ورئيسها فاقداً قوَّته أمام كل السائرين في طريق النور كأبناء نور وأبناء نهار.

يقول القديس كيرلس الكبير:

[إن كلمة الله يُنير كلَّ إنسان آتٍ إلى العالم
ليس عن طريق التعليم، كما يفعل الملائكة مثلاً أو الناس،
ولكنه عن طريق الخلق كإله يبثُّ في الذين يدعوهم إلى الوجود
بذرة الحكمة والمعرفة الإلهية، ويغرس فيهم أصل الفهم،
وهكذا يجعل الكائن الحيَّ عاقلاً، وشريكاً لطبيعته الخاصة،
إذ يشع في ذهنه إشعاعات من النور الأسنى بالكيفية التي يعلمها هو،
وأعتقد أن الكلام الكثير غير جائز في هذه الأمور...
والخليقة حينما تستنير بشركة هذا النور،
فإنها تُدعى بل وتكون نوراً (مت٥: ١٤)،
وترتقي إلى ما يفوق طبيعتها الخاصة،

بنعمة الذي يُمجِّدها ويُكلِّلها بكافة الكرامات...
فالرب يتعطَّف حقاً على الصغار، الأدنياء بحسب طبيعتهم الخاصة،
ويجعلهم عظماء وجديرين بأن يُتعجَّب منهم بسبب إحسانه عليهم،
لأنه كإله أراد أن يسبغ علينا خيراته الخاصة بسخاء،
ولذلك يدعونا آلهةً (يو١٠: ٣٤)، ونوراً (مت٥: ١٤)،
وأي الخيرات لم يَدْعُنا إليها؟!] **شرح إنجيل يوحنا ١: ٩**

ويتأمل الآباء في نور قيامة المسيح:

[الآن أضاءت علينا إشعاعات من نور المسيح المقدس،
وأشرقت علينا أضواء صافية من الروح القدس النقي،
وانفتحت علينا كنوز سماوية من المجد والألوهة.
لقد ابتُلِع الليل الكثيف الحالك،
وانقشع الظلام الدامس واختفى ظل الموت الكئيب.
الحياة امتدَّت وشملت كل واحد، وامتلأ الجميع من النور غير المحدود.
الفجر الجديد أشرق على الجميع،
والمسيح العظيم القوي غير المائت
الذي قبل كوكب الصبح (مز١٠٩: ٢) بل وقبل كل الأجسام المنيرة،
صار يُضيء الآن على الجميع أكثر من الشمس.
بسبب ذلك أوجد لنا نحن المؤمنين به
يوماً جديداً مُضيئاً عظيمًا أبديًا لا ينقص نوره،

إنه الفصح السرِّي

الذي كانوا يحتفلون به رمزيًا في الناموس،

ولكنه الآن اكتمل بالتمام في المسيح.

إنه الفصح العجيب، إبداع فضيلة الله وفعل قوته،

العيد الحقيقي والتذكار الأبدي الذي فيه نَبَعَ انعدام الآلام من الألم،

وعدم الموت من الموت، والحياة من القبر،

والشفاء من الجروح، والقيامة من السقوط،

والصعود إلى أعلى (السموات) من النزول إلى أسفل (الجحيم)].

عظة فصحية من القرن الثاني، محفوظة ضمن كتابات ق. يوحنا ذهبي الفم

تقديم الطفل يسوع إلى الهيكل

*****

بعد ميلاد الرب يسوع في بيت لحم، وبعد أن انتهت احتفالات الميلاد والختان، يخبرنا القديس لوقا عن حادثة تقديم الطفل يسوع في الهيكل قائلاً: «وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوساً لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ، زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ» (لو ٢:٢٢-٢٤)[٥].

يذكر القديس لوقا في هذه الآيات حادثتين هامتين منفصلتين، وإن كان لهما علاقة جوهرية ببعضهما البعض. الأولى هي شريعة تطهير المرأة بعد الولادة؛ والثانية تقديس الطفل البكر.

أولاً: شريعة تطهير المرأة:

تنص شريعة موسى على أنه: «إِذَا حَبِلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَراً، تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ ... ثُمَّ تُقِيمُ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ يَوْماً فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا». وإذا ولدت أنثى تكون فترة التطهير ضعف هذه الفترة، أي تكون نجسة

[٥] تحتفل الكنيسة بدخول الطفل يسوع إلى الهيكل في اليوم الأربعين من ولادته، الذي يوافق ٨ أمشير الموافق ١٦/١٥ فبراير من كل عام.

أربعة عشر يوماً ثم تلبث ستة وستين يوماً في دم تطهيرها. «وَمَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا ... تَأْتِي بِخَرُوفٍ حَوْلِيٍّ مُحْرَقَةً، وَفَرْخِ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، إِلَى الْكَاهِنِ، فَيُقَدِّمُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ وَيُكَفِّرُ عَنْهَا، فَتَطْهُرُ». وإن كانت فقيرة ولا تقدر على تقديم خروف كمحرقة، كما حدث في حالة العذراء مريم، فإنها «تَأْخُذُ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ، الْوَاحِدَ مُحْرَقَةً، وَالآخَرَ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، فَيُكَفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ فَتَطْهُرُ» (لاويين ١٢).

يشير القديس لوقا بوضوح في إنجيله أن القديس يوسف والعذراء مريم كانا ملتزمَيْن تماماً بتنفيذ كل وصايا العهد القديم، وأنهما كانا بلا لوم من جهة متطلبات الشريعة، فقد كرر عبارة "شريعة موسى" أو "ناموس الرب" ثلاث مرات في الثلاث آيات الخاصة بتقديم الطفل يسوع إلى الهيكل (٢:٢٢-٢٤)، وعاد وكررها مرة أخرى في الآية ٢٧: «لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ».

ولم تكن العذراء في حاجة إلى تقديم ذبيحة لأجل تطهيرها، فقد أورد القديس لوقا قول الملاك لها يوم أن بشَّرها بالحبل الإلهي: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ» (لو ١: ٣٥). وهل بعد حلول الروح القدس يحتاج الإنسان إلى تطهير؟ لكنها في تواضعها التزمت بكل أحكام الناموس من جهة نفسها ومن جهة طفلها الإلهي، حتى

يكمِّلا كل وصايا الناموس وأحكامه: «لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ» (غل ٤: ٤و٥).

لقد أوصت شريعة موسى على تقديم ذبائح المحرقة والخطية كفَّارة عن المرأة حتى تطهر، ولكن يرى القديس بولس أن مثل هذه الذبائح كانت تطهِّر الجسد فقط: «إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ» (عب ٩:١٣). لقد كان مفهوم النجاسة في العهد القديم مفهوماً جسدياً صرفاً. فالمرأة التي تلد كانت تُعتبر نجسة إلى حين، والرجل المريض بالبرص كان يُحسَب نجساً (لاويين ١٣و١٤)، ومَنْ لمس ميتاً يصير نجساً (لاويين ٢٢)، ومَنْ تعرَّض لإفرازات الليل يُعتبر نجساً (لاويين ١٥)، ومَنْ لمس حيواناً أو حشرة نجسة يصير نجساً (لاويين ١١)؛ بل وأكثر من ذلك، فإن البيت أو الثوب الذي تظهر فيه بقع بيضاء - برص المنازل أو الثياب - يُعتبر نجساً وكل مَنْ لمسه يصير نجساً (لاويين ١٤). أما في العهد الجديد فقد أوضح الرب يسوع أن الذي ينجِّس الإنسان هو ما يصدر من القلب من أفكار شريرة وليس شيء من خارج الإنسان يقدر أن ينجِّسه (مت ١٥: ١٨-٢٠)، لأن غسل اليدين لا يُطهِّر الإنسان، ما دام القلب من الداخل مملوءًا اختطافاً ودعارة.

لذلك بعد تقديم الرب يسوع ذبيحة نفسه كفَّارة عن كل العالم، أبطل

كل ذبائح العهد القديم وشرائعه الطقسية وأحكامه التطهيرية، لأن هذه الذبائح والممارسات الطقسية كانت رمزاً لذبيحة الصليب. وصار الإيمان بدم المسيح والميلاد الجديد من الماء والروح كافيَيْن لتقديس الإنسان وتطهيره في عينيْ الله:

+ «فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عب ٩: ١٤).

+ «وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يو ١: ٧).

+ «أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ» (أف ٥: ٢٥و٢٦).

+ «وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، (أي امرأة نجسة حسب الناموس، وكل مَنْ مسَّها يصير نجساً - لا ١٥:١٩)... جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ مَنْ وَرَاءٍ، وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ ... فَلِلْوَقْتِ جَفَّ يَنْبُوعُ دَمِهَا ... فَقَالَ لَهَا (يسوع): «يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ» (مر ٥: ٢١-٣٤).

هكذا كل مَنْ يلمس الرب يسوع بإيمان يصير طاهراً حتى لو كان نجساً في نظر الناس والناموس.

ثانياً: تقديس الابن البكر:

١ ـ شريعة التقديس:

كان أمر الرب لموسى النبي هكذا: «قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي» (خر ١٣: ٢). وقد جاء هذا الأمر من الرب لموسى بعد حادثة عبور الملاك المُهلِك على بيوت المصريين وقتل أبكارهم «مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بِكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلْفَ الرَّحَى، وَكُلُّ بِكْرِ بَهِيمَةٍ» (خر ١٢: ٢٩). ثم عاد وكرر الرب هذا الأمر بعد أن عبر الشعب البحر الأحمر، قائلاً لهم: « أَنَّكَ تُقَدِّمُ لِلرَّبِّ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَكُلَّ بِكْرٍ مِنْ نِتَاجِ الْبَهَائِمِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ. الذُّكُورُ لِلرَّبِّ. وَلكِنَّ كُلَّ بِكْرِ حِمَارٍ تَفْدِيهِ بِشَاةٍ. وَإِنْ لَمْ تَفْدِهِ فَتَكْسِرُ عُنُقَهُ. وَكُلُّ بِكْرِ إِنْسَانٍ مِنْ أَوْلاَدِكَ تَفْدِيهِ» (خر ١٣: ١٢و١٣).

ثم عاد الرب وعمل تعديلاً في هذه الشريعة عند تطبيقها لأول مرة، إذ اختار سبط لاوي من بين أسباط إسرائيل الاثني عشر، وطلب تقديسهم للرب كفدية عن كل أبكار بني إسرائيل. وأخذ جميع بهائمهم بدلاً من أبكار بهائم بني إسرائيل: «وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: خُذِ اللاَّوِيِّينَ بَدَلَ كُلِّ بِكْرٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَهَائِمَ اللاَّوِيِّينَ بَدَلَ بَهَائِمِهِمْ، فَيَكُونَ لِي اللاَّوِيُّونَ. أَنَا الرَّبُّ» (عد ٣: ٤٤و٤٥). وكان أن عدد أبكار بني إسرائيل زاد عن ذكور سبط لاوي بمقدار ٢٧٣ شخصاً، فأمر الرب أن ما زاد عن

العدد يكون فداؤه بخمسة شواقل من الفضة لكل رأس (عد ٣: ٤٦و٤٧). وصارت هذه هي شريعة تقديس الابن البكر، أن يُقدَّم باسمه إلى الهيكل خمسة شواقل من الفضة كفدية، على أن يتم تقديم هذه الفدية عندما يبلغ الطفل شهره الأول: «كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، يَكُونُ لَكَ غَيْرَ أَنَّكَ تقْبَلُ فِدَاءَ بِكْرِ الإِنْسَانِ ... وَفِدَاؤُهُ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ تَقْبَلُهُ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ فِضَّةً، خَمْسَةَ شَوَاقِلَ» (عد ١٨: ١٥و١٦).

ولم يكن هناك أمرٌ بتقديم هذه الفدية في هيكل أورشليم، بل كانت تقدَّم لأي كاهن، لأن أمر تقديس الابن البكر كان سابقاً على إقامة خيمة الاجتماع في البرية (خر ١٣: ٢)، وبالتالي سابقاً على بناء هيكل أورشليم. وكان طقس تقديس الطفل يتَّسم بالبساطة إذ كان يتم هكذا: يُقدَّم الطفل إلى الكاهن ثم تُدفع الفدية. وكان عندما يتسلم الكاهن الطفل أنه يشكر الله أولاً على شريعة فدية الابن البكر التي وضعها في الناموس، ثم يشكر الله ثانياً على بركة إنجاب طفل بكر ذكر[6].

ولكن لم يذكر القديس لوقا أنه تم فداء الطفل يسوع بدفع الفدية - أي الخمسة شواقل فضة - كما أنه لم يذكر أن يوسف النجار ذهب إلى

---

[6] J.W. Shepard, *The Christ of the Gospels,* WM. B. Eerdmans Publishing Company (1971) p. 34.

الهيكل عندما بلغ الطفل شهره الأول ليقدِّم عنه الفدية. هنا يدخل في تقديم الطفل يسوع إلى الهيكل عنصر جديد وهو تكريس أو تقديس الطفل لله، وهو الأمر السابق على شريعة دفع الفدية. وهذا ما حدث تماماً في العهد القديم عندما تم تقديم الطفل صموئيل للرب: «فَصَلَّتْ (حنة) إِلَى الرَّبِّ، وَبَكَتْ بُكَاءً، وَنَذَرَتْ نَذْراً وَقَالَتْ: يَا رَبَّ الْجُنُودِ، إِنْ نَظَرْتَ نَظَراً إِلَى مَذَلَّةِ أَمَتِكَ، وَذَكَرْتَنِي وَلَمْ تَنْسَ أَمَتَكَ بَلْ أَعْطَيْتَ أَمَتَكَ زَرْعَ بَشَرٍ، فَإِنِّي أُعْطِيهِ لِلرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ» (١صم ١:١١). وكان أن الرب وهبها طفلاً فأسمته صموئيل. ولما طلب زوجها أن يصعدوا إلى الهيكل لتقديم الذبيحة السنوية، قالت له: «مَتَى فُطِمَ الصَّبِيُّ آتِي بِهِ لِيَتَرَاءَى أَمَامَ الرَّبِّ وَيُقِيمَ هُنَاكَ إِلَى الأَبَدِ» (١صم ١: ٢٢). وهكذا لم يتم فداء الطفل صموئيل بالفضة، بل تكرَّس نهائياً للرب. وهذا ما تم مع الطفل يسوع[٧]، إذ يتضح من تقديم الطفل في الهيكل، وليس أمام أي كاهن، ومن عدم تقديمه بعد مرور شهر من ولادته، ومن عدم ذِكر دفع الفدية؛ أن الطفل يسوع لم يتم فداؤه بالفضة، بل تقدَّس نهائياً للرب. ويمكننا أن نلمس صدى هذا التكريس عندما بلغ عامه الثاني عشر وذهب إلى هيكل أورشليم مع القديس يوسف والعذراء مريم، وكان لما تخلَّف عنهما في طريق العودة، وعادا يطلبانه قال لهما: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا

[7] J.A. Fitzmyer, *The Gospel According to Luke,* The Anchor Bible, Vol.28, p. 421.

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟» (لو ٢: ٤٩).

٢ ـ الابن البكر:

كان الابن البكر هو الذي يُقدَّم للهيكل سواء لتكريسه للرب أو لفدائه بالفضة. وكان فداء هذا البكر يتسحَّب بالضرورة أو يسري مفعوله على باقي إخوته من الذكور والإناث، مثلما كان قتل الابن البكر لفرعون والمصريين فداءً عن قتل بقية أولاد المصريين. وكما كان أيضاً تكريس سبط لاوي فداءً عن تكريس كل أبكار بني إسرائيل.

وحسب ما جاء في وصية الرب لموسى النبي: «قدِّس لي كل بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل»، فإن المقصود هنا الطفل الذكر ـ كل فاتح رحم ـ الذي يولَد أولاً للمرأة، فهو بكر المرأة بالدرجة الأولى قبل أن يكون بكر الرجل. لذلك كان يُطلق على أول طفل مولود: "الابن البكر"، بغض النظر هل وُلِد له إخوة بعد ذلك أم لا. فالقديس لوقا يذكر أن العذراء مريم «وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ» (لو ٢: ٧). كما يذكر القديس متى أن يوسف البار أخذ امرأته مريم ولم يعرفها حتى «وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ» (مت ١: ٢٥).

هذا الأمر يتطرق بنا إلى نقطة جانبية، ولكن لها أهميتها الخاصة. فمَنْ هم إخوة الرب الذين ذُكِروا في الإنجيل (مت ١٣: ٢٥؛ ٥٦)؟

يذكر سنكسار الكنيسة القبطية ـ وهو الكتاب الطقسي الذي يضم سيرة قديسي وقديسات الكنيسة ـ أن إخوة الرب هؤلاء هم أولاد القديس يوسف النجار من زوجة سابقة. إذ أن يوسف كان شيخاً ماتت زوجته تاركة له أربعة أولاد "يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا"، غير ثلاث بنات لم يذكر الإنجيل أسماءهن. وتؤمن بهذا الرأي الكنائس الأرثوذكسية عامة من قبطية وسريانية ويونانية. كما يرجع هذا التقليد إلى الكنيسة الأولى، إذ ذُكِر في بعض الكتابات الشعبية التي كانت متداولة بين مسيحي القرن الأول والثاني الميلاديين، والمسمَّاة إنجيل بطرس وإنجيل يعقوب. كما ذكرها كثيرٌ من آباء الكنيسة ومعلِّميها فيما بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين، أمثال: القديس كليمندس الإسكندري[٨]، والعلامة أوريجانوس[٩]، والأسقف يوسابيوس القيصري[١٠]، والقديس هيلاري أسقف بواتييه[١١]، والقديس غريغوريوس النيصي[١٢]، والقديس إبيفانيوس[١٣]، والقديس أمبروسيوس، والقديس كيرلس الكبير[١٤]. بَيْدَ أنه يوجد رأي آخر ظهر متأخراً نوعاً ما والذي نادى به هو

---

8 *Hypotyposeis*, preserved in a Latin translation by Cassiodorus.

9 *In Joann.* ii. 12(Catena Corder. P. 75).

10 *Hist. Eccl.* ii. 1.

11 *Comm. in Matth.* i. 1, p. 671, ed. Bened.

12 *Christ. Resurr.* ii. Opp. III. Pp. 412, 413, ed. Paris, 1638

13 *Haeres*. Lxxviii, lxxix. (also, p. 1034-1057, 115, 119, 432, 636 ed. Petav.).

14 *Glaphyr. In Gen.* lib. Vii. P. 221

القديس جيروم، وهو أن إخوة الرب هم أولاد خالته، وقد اعتنقت الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية هذا الرأي[١٥].

وعلى أي حال، فلم يكن تقديم الطفل يسوع إلى الهيكل حدثاً يخصه هو في حدِّ ذاته، بل كان يخصنا نحن بالدرجة الأولى. فكما أن تقديس الطفل البكر كان فداءً عن باقي إخوته، هكذا افتتح الطفل يسوع طريق الفداء وهو ما زال بعد رضيعاً، لأنه صار: «بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رو ٨: ٢٩).

كما أن تكريس الطفل يسوع وتقديسه للرب لم يكن حدثاً يحتاج هو إليه، لأنه دُعِيَ "قدوساً" منذ ولادته (لو ١: ٣٥)؛ بل إن تقديسه للرب يمتد مفعوله لكل مَنْ يؤمن به: «لأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ» (يو ١٧: ١٩).

---

[15]. Lightfoot, *The Epistle of St. Paul to the Galatians*, pp. 252-291.

جميع شواهد أقوال الآباء مأخوذة من كتاب Lightfoot، انظر أيضًا سنكسار الكنيسة القبطية المعروف باسم: الصادق الأمين في أخبار القديسين، تحت يوم ٢٦ أبيب.

الختان

"بين يهود الشتات حتى زمن المسيح"

«وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ
سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ
أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ» (لو ٢: ٢١)

*****

يُعتبر الختان علامة مميِّزة لليهود منذ أيام إبراهيم أبي الآباء. وهي علامة العهد الذي تم بين الله وإبراهيم عندما طلب الله منه أن يختتن هو وجميع الذكور من عائلته. وكان إبراهيم وقت ختانته يبلغ من العمر تسعة وتسعين عاماً، وإسماعيل ابنه كان في الثالثة عشرة (تك ١٧: ٩-٢٧). وبالرغم من ارتباط الختان بالشعب اليهودي، فلم يكن هو الشعب الوحيد الذي مارس هذه الفريضة، فشعوب كثيرة من المحيطة بأرض فلسطين كانت تحافظ على ختان الذكور. وهناك نقش بارز على إحدى المقابر الفرعونية من الأسرة السادسة (حوالي عام ٢٣٠٠ ق.م.) يمثِّل عملية ختان تُجرى لفتى يبلغ من العمر حوالي ثلاث عشرة سنة[١٦].

أما القصد من اختيار الله لعملية الختان بالذات لتكون علامة عهد

---

16 Jones Lynn, *Circumcision Among Jews of the Dispersion*, in Biblical illustrator, Spring 1986, p. 24.

بينه وبين إبراهيم، فربما يرجع إلى عدَّة أسباب. فأولاً، غالبية العهود المتبادلة التي كانت تتم قديماً كانت مرتبطة بسفك الدم. وثانياً، لم يكن إبراهيم قد أنجب بعد أولاداً من سارة، فأراد الله أن يوضِّح له بصورة رمزية أن مقدرة إبراهيم على إنجاب نسل، إنما تعتمد أساساً على الله، وبالتالي كل مستقبل حياته. وثالثاً، لأن ممارسة الجنس كانت تبدو وكأنها علامة على الخطية، صار الختان في لحم الغُرلة رمزاً للطهارة وللتكريس من أجل الله.

ومهما كانت الأسباب، فإن الختان صار رمزاً للعهد مع الله. فكان على موسى النبي أن يختتن هو وولداه قبل عودته إلى مصر (خر ٤: ٢٤-٢٦). وقد أمر يشوع بختان كل شعب إسرائيل كاستعداد لدخولهم أرض الميعاد (يش ٥: ٢-٧). وصارت هذه العلامة الخارجية رمزاً للعلاقة الداخلية العميقة مع الله: «وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلبَكَ وَقَلبَ نَسْلِكَ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، لِتَحْيَا» (تث ٣٠: ٦).

وقد زادت أهمية الختان بين اليهود بعد تشتتهم خارج فلسطين. فبعد أن تبنَّى يهود الشتات ثقافة وعادات الشعوب التي عاشوا بينها، صار الختان علامة مميِّزة لهم. بل إن في فلسطين نفسها حدث تصادم من أجل هذه الفريضة. ففي عام ٣٣٢ ق.م. غزا اليونان، بقيادة الإسكندر الأكبر، أرض فلسطين، وحكموها حتى عام ١٤٢ ق.م. (كان الحكام من أسرة

السلوقيين التي حكمت سوريا في ذلك الوقت). وفي هذه الفترة كانت الديانة اليهودية عامة، وممارسة الختان خاصة، تواجه ضغوطاً شديدة. وكانت الضغوط مباشرة وغير مباشرة.

وقد أتى الضغط المباشر على ممارسة الختان أولاً عن طريق أنطيوخس إبيفانس الذي حكم من عام ١٧٥ ق.م. حتى عام ١٦٣ ق.م. فقد أرسل أنطيوخس تعليمات بمنع اليهود من ممارسة كثير من طقوسهم الدينية. وقد نص صراحة على أنه يجب «أن يتركوا بنيهم دون ختان» (١مكابيين ١: ٤٨). وقد تم توقيع العقوبات الرادعة على مَنْ لم يمتثل لهذه الأوامر «ومن ذلك أن أحدهم وشى بامرأتين خَتَنَتَا أولادهما، فعلَّقوا أطفالهما على أثدائهما، وطافوا بهما في المدينة علانية، ثم رموا بهما عن السور» (٢مكابيين ٦: ١٠).

وبالرغم من أن هذا الضغط المباشر لم يدم طوال الحكم اليوناني، فإن الضغط غير المباشر بسبب تغلغل الثقافة اليونانية استمر فعَّالاً. فهذه الثقافة المسمَّاة الهللينية أحضرت معها لغة جديدة وفلسفات جديدة وانحرافات جديدة. وكان من هذه الانحرافات دخول بعض الألعاب الرياضية التي كانت تتم في الساحات العامة وفي صالات الجمنازيوم. ولأن معظم هذه الرياضات كان يمارسها الرياضيون وهم عراة (فكلمة جمنازيوم مشتقة من الكلمة اليونانية جيمنوز γυμνός التي تعني

عريان)، لذلك أصاب اليهود الذين مارسوا هذه الألعاب الحرج لأنهم كانوا مختونين. لذلك حاول بعض الرياضيين اليهود إخفاء علامة الختان بعملية جراحية: «فبنوا ملعباً في أورشليم على حسب تقاليد تلك الأمم وحاولوا ستر ختانتهم. فخانوا بذلك العهد المقدَّس مع الرب إلهم واندمجوا بتلك الأمم وقاموا بأعمال حرمتها شريعة الله» (١مكابيين ١: ١٤ و١٥).

لم يندفع عامة اليهود في فلسطين وراء هذه الانحرافات الجديدة، بَيْدَ أن عدداً ليس بقليل منهم أهمل عادة ختان الأولاد. وقد قام اليهود بثورة ضد القهر اليوناني عام ١٦٧ ق.م. بزعامة المكابيين. وكما يخبرنا سفر المكابيين (وهو من الأسفار القانونية الثانية) أن متثيا المكابي وأصحابه جالوا في أرض إسرائيل «وختَّنوا بالقوَّة كل مَنْ وجدوه فيها غير مختون من الأطفال. ختنوا بعزيمة صادقة» (١مك ٢: ٤٦).

أثَّرت تلك الأحداث التي تمت زمن المكابيين تأثيراً فعَّالاً في حياة اليهود. فالضغط اليوناني على اليهود دفعهم أن يفكروا ويهتموا بكل ما هو يهودي، لذلك نظروا للختان على أنه علامة مميِّزة لإيمانهم. وعلَّمتهم الخبرة أن يحافظوا على هذه الممارسة في الأمم التي تشتَّتوا فيها، وإن كانت قد جرَّت عليهم متاعب كثيرة.

ترجع بداية تشتت اليهود من فلسطين إلى زمن السبي البابلي الذي بدأ

عام ٥٨٧ ق.م، ولكن عاد الكثير منهم إلى فلسطين فيما بعد. غير أنه في القرن الثاني قبل الميلاد زاد عدد اليهود خارج فلسطين زيادة مضطردة. ويرجع سبب هذه الزيادة في العدد إلى عدة أسباب؛ منها أن بعض اليهود الذين أُخذوا كأسرى خارج بلادهم (كما في السبي البابلي) لم يعودوا إلى فلسطين وهناك تناسلوا وزاد عددهم؛ كما أن انتشار الفقر في منطقة فلسطين وزيادة الضرائب على الشعب دفع كثيراً منهم إلى الهجرة والاستيطان في بلاد أخرى. كذلك كان هناك عملية تبشير واسعة بالديانة اليهودية بين الأمم مما أدَّى إلى إيمان البعض - الذين سموا دخلاء - وانضموا إلى الشعب اليهودي، وقد أشار الرب يسوع إلى ذلك في حديثه مع الفريسيين عندما قال لهم: «تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسِبُوا دَخِيلاً وَاحِداً» (مت ٢٣: ١٥).

وقد تركَّز تشتُّت اليهود في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط. وفي زمن أغسطس قيصر (٣٠ ق.م. - ١٤م.) بلغ عدد اليهود داخل الإمبراطورية الرومانية حوالي أربعة ملايين ونصف، منهم حوالي نصف مليون فقط يعيشون في فلسطين وحوالي مليون شخص يعيشون في مصر (حسب رواية فيلو اليهودي)[١٧]، وقد ذكر سفر أعمال الرسل مدناً كثيرة وبلداناً متعددة أتى منها اليهود للاحتفال بعيد الخمسين، مما يُظهِر مدى

---

[17] Philo. *In Flaccum 43.* cited by A. F. Walls, *Dispersion,* in *New Bible Dictionary,* Inter-Varsity Press, second edition,(1982), p. 286.

تشتُّت اليهود خارج فلسطين (أع ٢: ٩-١١)[١٨].

لم يكن هناك أي انفصال بين يهود فلسطين ويهود الشتات، فقد كانت هناك روابط وصلات وشيجة بينهما، كانت من الأهمية بمكان حتى إنها حافظت على عدم انصهار اليهود في شعوب الأرض. فيهود فلسطين ويهود الشتات كانا يخضعان معاً لتأثير الحضارة اليونانية. وكان يهود فلسطين على اتصال دائم بجميع أجزاء العالم الهلليني من خلال التجارة والرحلات. وكان يربط اليهود في العالم كله بهيكل أورشليم ضريبة نصف الشاقل المفروضة على كل يهودي. وكان يهود الشتات يزورون أورشليم بأعداد كبيرة كل عام في الأعياد اليهودية كما تنص على ذلك الشريعة: «ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ يَحْضُرُ جَمِيعُ ذُكُورِكَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ» (تث ١٦: ١٦). كما كان هناك مجامع يهودية في جميع مدن الإمبراطورية التي كان يسكنها يهود. هذه الأمور ساعدت على وحدة اليهود داخل وخارج فلسطين[١٩].

وبدراسة كتاب العهد الجديد يتضح لنا كيف حافظ يهود الشتات على الممارسات اليهودية وخاصة على شريعة الختان، فبولس الرسول المولود

---

18 Lohse, Eduard, *The New Testament Environment*, Nashville, Abingdon (1976) p. 122.

19 William D. Davies, *Paul and Rabbinic Judaism: Some Rabbinic Elements in Pauline Theology*, Fortress Press, Minneapolis (1980), p. 5-7.

في إحدى مدن الشتات وهي مدينة طرسوس في كيليكية (جنوب شرق آسيا الصغرى) قد خُتن في اليوم الثامن من ولادته (في ٣: ٥)، تماماً مثلما خُتن الطفل يسوع وهو من مواليد بيت لحم اليهودية في اليوم الثامن لولادته (لو ٢: ٢١). وقصة تقابل بولس الرسول مع تيموثاوس تُظهر لنا تمسك يهود الشتات بشريعة الختان. فتيموثاوس وهو من يهود الشتات، إذ أنه وُلِدَ في مدينة لسترة جنوب آسيا الصغرى، لم يكن مختوناً لأن أباه كان يونانياً، أما أُمه فكانت يهودية، وربما يكون أبوه قد عارض في أمر ختانه. لذلك عندما أراد بولس أن يصطحبه معه في الكرازة: «أَخَذَهُ وَخَتَنَهُ مِنْ أَجْلِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي تِلْكَ الأَمَاكِنِ، لأَنَّ الْجَمِيعَ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَبَاهُ أَنَّهُ يُونَانِيٌّ» (أع ١٦: ٣). مما يثبت أن اليهود الساكنين في تلك النواحي كانوا يحافظون على شريعة الختان، وربما كانوا يشعرون بالضيق بسبب تواجد أحد اليهود بينهم غير مختون.

وفي مدن الشتات بشَّر اليهود بالدين اليهودي بين الأمم. فالاعتقاد بوجود إله واحد، والأخلاق التي تحتمها الشريعة، والوعد بميراث الحياة الأبدية، فتحت الباب أمام بعض الأتقياء من الأمم للدخول إلى حظيرة الإيمان اليهودي. ولكن شرط المرور من بوابة الختان جعلت الكثيرين يحجمون عن أن يصيروا يهوداً كاملين، أي دخلاء. وهكذا سُمِحَ لكل مَنْ يحفظ ناموس موسى ولكنه لا يخضع لشريعة الختان بالصلاة داخل

المجمع اليهودي، وكان يُطلق على هذه الفئة اسم "خائفي الله".

وبسبب عدم مناداة المسيحية بممارسة الختان، كان خائفو الله من أكثر المستجيبين للإيمان بالإنجيل، كما في إيمان كرنيليوس على يد بطرس الرسول (أع ١٠). وقد واجهت المسيحية في بدء انتشارها مشكلة صعبة وهي إصرار بعض المسيحيين الذين كانوا من أصل يهودي على ممارسة الأمم لشريعة الختان قبل إيمانهم بالمسيح. وقد دفع هذا الرسل إلى عقد مجمع في أورشليم لحل هذه المشكلة (أع ١٥). وكان من أهم قرارات المجمع عدم إلزام الأمم الداخلين إلى الإيمان بممارسة الختان.

وقد عبَّر بولس الرسول عن مفهوم الختان في العهد الجديد قائلاً: «وَبِهِ أَيْضاً خُتِنْتُمْ خِتَاناً غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ» (كو ٢: ١١ و١٢). أي أن الختان الذي كان علامة عهد بين الله وإبراهيم في القديم، كان رمزاً لختان العهد الجديد، أي المعمودية. وكما أن الختان كان هو الباب لدخول أي إنسان إلى الإيمان اليهودي، صارت المعمودية - أي الولادة من الماء والروح، وخلع جسم خطايا البشرية - هي الطريق للمسيحية ولنوال الحياة الأبدية: «أَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (يو ٣: ٥). وصارت وصية الرب الأخيرة لتلاميذه: «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ

وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (مت ٢٨: ١٩).

ويشرح القديس كيرلس الكبير هذا الأمر قائلاً:

[لأنه فيما يتعلَّق بطبيعة هذا الأمر، أعني ذلك الذي يُجرَى في الجسد، فإنه لا يفيد شيئاً البتة. ولكنه يحمل في طياته الرمز لسر ممتلئ نعمة، أو بالحري يتضمَّن الاستعلان لحقيقة مختفية. لأنه في اليوم الثامن (أي يوم الأحد) قام المسيح من بين الأموات وأعطانا الختان الروحي، وذلك بمقتضى ما أمر به الرسلَ القديسين: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩). ونحن نؤكِّد هنا أن الختان الروحي يتم أساساً في المعمودية المقدَّسة، حيث يجعلنا المسيح شركاء أيضاً في الروح القدس ...

لقد أُلغي طقس الختان بعد ختانة المسيح، وذلك بدخول المعمودية التي كان طقس الختان رمزاً لها. لذلك فنحن لا نختتن بعد، لأن الختان - حسب ما يبدو لي - كان يخدم ثلاثة أغراض:

ففي المقام الأول: خص ذرية إبراهيم بنوع من العلامة أو الختم لتمييزهم عن بقية الشعوب الأخرى.

وثانياً: كان الختان في ذاته رمزاً سابقاً لنعمة المعمودية الإلهية

وفاعليتها، لأنه كما كان كل مَنْ يُختن في القديم يُحسب ضمن شعب الله بهذا الختم، هكذا أيضاً مَنْ يعتمد الآن يكون قد حصل في نفسه على المسيح الختم، فيُدرَج بذلك ضمن بيت أهل الله المتبنين.

وثالثاً: فإنه يرمز للمؤمن الذي تأسس في النعمة، قاطعاً عنه بل ومميتاً لكل ثورات الملذات الجسدية والشهوات الجامحة بجراحة الإيمان القاطع، وليس بقطع اللحم، وإنما بالممارسات النسكية وتطهير القلب، بختان الروح لا الحرف، الذي مدحه لا يحتاج، كما يقول بولس الرسول، إلى حكم بشري ولكنه يعتمد على شهادة من فوق (رو ٢: ٢٩)] [٢٠].

[20] St. Cyril of Alex. *On Luke,* 2: 27.

برية التجربة

*****

عندما بدأ يوحنا المعمدان خدمته الكرازية، نادى في برية اليهودية قائلاً: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ» (مت ٣: ١).

وبعد أن اعتمد الرب يسوع من يوحنا المعمدان، اقتاده الروح القدس إلى البرية ليجرَّب من إبليس، وهناك صام أربعين يوماً وأربعين ليلة (مت ٤: ١).

لم تكن برية التجربة أرضاً صحراء قاحلة، مغطاة بالرمال، وتنتشر فيها الكثبان الرملية؛ بل كانت منطقة جبلية وعرة، تكتنفها الهضاب والتلال، وتأوي إليها الوحوش والطيور الجارحة.

وإذا عدنا إلى النص اليوناني للعهد الجديد نجد أنه يستعمل كلمة واحدة، وهي ἔρημος (إريموس) عندما يريد أن يصف أي منطقة برية. أما النص العبري للعهد القديم فإنه يستعمل عدة كلمات مختلفة يمكن ترجمتها إلى "برية"، ولكن كل منها يعطي وصفاً مختلفاً لتلك البرية.

وعموماً فإن المقصود بكلمة برية في الكتاب المقدس، عدة مناطق

جغرافية تحيط بمنطقة إسرائيل قديماً، وهذه المناطق تقع إلى الجنوب، وإلى الجنوب الغربي، وإلى الشرق من المنطقة التي كانت مأهولة بالسكان في إسرائيل، والتي يقابلها جغرافياً شبه جزيرة سيناء وصحراء النقب وعبر الأردن. أما البرية التي قضى بها الرب يسوع الأربعين المقدسة فهي تختلف عن تلك البراري، وهي تقع على المنحدرات الشرقية لجبال الأردن، والتي غالباً ما كانت تُعرف باسم: "يشيمون" والتي تترجم إلى "القفر".

والكلمة اليونانية "إريموس" التي تُرجمت إلى "برية" في العهد الجديد، يأتي معناها الأساسي من معنى "التخلية والهجران". فهي تستعمل للأشخاص عندما يهجر إنسانٌ أهله وذويه؛ وتستعمل للأماكن عندما يهجر إنسان مكان سكناه أو معيشته؛ كما تستعمل أيضاً عندما يتخلى إنسان عن فكرة أو رأي معين. وعندما تُستعمل للأماكن فهي لا تعني بالقطع معنى "الصحراء"، لكنها تشير فقط إلى أي مكانٍ خالٍ أو غير آهل بالسكان كالمدن المهجورة والمقاطعات التي يندر وجود المقيمين بها.

وترتبط البرية في أذهان الشعوب القديمة في الكتاب المقدس بالمكان الذي تعيش فيه العقارب والحيات والوحوش المفترسة، لذلك فهي تُعدُّ من الأماكن الخطرة والمخيفة: «الَّذِي سَارَ بِكَ فِي الْقَفْرِ الْعَظِيمِ الْمَخُوفِ، مَكَانِ حَيَّاتٍ مُحْرِقَةٍ وَعَقَارِبَ وَعَطَشٍ حَيْثُ لَيْسَ مَاءٌ» (تث ٨:١٥).

والتقليد اليهودي يرى أن البرية هي المأوى المفضَّل للشياطين والأرواح الشريرة:

+ «لأَنَّهُ أَمَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ مُنْذُ زَمَانٍ كَثِيرٍ كَانَ يَخْطَفُهُ، وَقَدْ رُبِطَ بِسَلاَسِلٍ وَقُيُودٍ مَحْرُوساً. وَكَانَ يَقْطَعُ الرُّبُطَ وَيُسَاقُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَى الْبَرَارِي» (لو ٨: ٢٩).
+ «مَتَى خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ، يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ يَطْلُبُ رَاحَةً» (لو ١١:٢٤).
+ «هُنَاكَ يَسْتَقِرُّ اللَّيْلُ (أو الغول) وَيَجِدُ لِنَفْسِهِ مَحَلاًّ» (إش ٣٤: ١٤).

وهناك يكتنف الظلام البرية وتنقطع فيها سُبُل الحياة:

+ «... أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، الَّذِي سَارَ بِنَا فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضِ قَفْرٍ وَحُفَرٍ، فِي أَرْضِ يُبُوسَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ» (إر ٢: ٦)[٢١].

الأهمية التاريخية:

ترجع أهمية البرية تاريخياً إلى ارتباطها برحلة خروج بني إسرائيل من أرض مصر. فخبرة الخروج من أرض مصر تربط أولاً بين البرية والعناية الإلهية، عندما قاد الله شعبه في البرية وصنع به قوات وعجائب عظيمة

---

21 S. Talmon, *Wilderness*, in *The Interpreter's Dictionary of the Bible,* supp. vol. (1976), p. 946.

إلى أن أدخله أرض الميعاد. كما أنها تربط ثانياً بين البرية وعصيان شعب الله. ففي برية سيناء اختبر الشعب قدرة الله عندما أعطاه المن والسلوى، وعندما أخرج له الماء من الصخرة، وعندما قاده بعمود النار ليلاً وبالسحاب نهاراً. ومع ذلك فقد كان رد الشعب التذمُّر على الله عدة مرات والتمرُّد على موسى النبي: «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ كَمَا فِي الإِسْخَاطِ، يَوْمَ التَّجْرِبَةِ فِي الْقَفْرِ، حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمُ » (عب ٣: ٧-٩).

وفي البرية مال الشعب إلى مشورة الجواسيس العشرة الذين ذهبوا ليتجسسوا أرض كنعان ورفضوا مشورة يشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة. وكنتيجة لذلك عاقبهم الله في البرية بأن أفنى ذلك الجيل كله الذي خرج من أرض مصر ،ولم يدخلهم أرض الميعاد بسبب تمرُّدهم على الله وعصيانهم، وعدم تصديقهم لمواعيده: «اخْتَبَرُونِي وَأَبْصَرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. لِذلِكَ مَقَتُّ ذلِكَ الْجِيلَ، وَقُلْتُ: إِنَّهُمْ دَائِماً يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي. حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي» (عب٣: ٩-١١).

الأهمية اللاهوتيــة:

ابتداءً من أسفار الأنبياء في العهد القديم، ومروراً بأسفار ما بين العهدين (الأسفار القانونية الثانية) حتى نصل إلى زمن العهد الجديد،

نجد أن البرية بدأت تحتل أهمية خاصة ومعنى رمزياً أغنى عند الشعب اليهودي، وذلك بصفتها المكان الذي منه سيخلِّص الله شعبه.

ففي الفترة الزمنية الواقعة بين خروج بني إسرائيل من مصر وعصر الأنبياء، وهي فترة تقدَّر بعدة مئات من السنين، اختفت الذكريات المرَّة والأليمة المرتبطة برحلة الخروج. وبدأ الأنبياء يرون أن عبادة كنعان الوثنية كانت هي السبب وراء متاعب شعب إسرائيل. كما أن الذكريات الطيبة المتبقية من رحلة الخروج ألهمت الكُتَّاب بأن يذكروا البرية بتعبيرات عظيمة ومجيدة. فعلى سبيل المثال صار لمعجزة نزول المن في البرية معنىً مسيَّاني، إذ أنه ارتبط في أذهانهم ببركات العصر المسياني المرتقب. بل وصار هناك توقُّع في المستقبل أن الله سوف يُخْرِج شعبه مرة ثانية إلى البرية حتى يتم تجديده لخروج جديد مماثل لخروجه من أرض مصر:

+ «لكِنْ هَأَنَذَا أَتَمَلَّقُهَا وَأَذْهَبُ بِهَا إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَأُلاَطِفُهَا، وَأُعْطِيهَا كُرُومَهَا مِنْ هُنَاكَ، وَوَادِي عَخُورَ بَاباً لِلرَّجَاءِ. وَهِيَ تُغَنِّي هُنَاكَ كَأَيَّامِ صِبَاهَا، وَكَيَوْمِ صُعُودِهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ» (هو ١: ١٤و١٥).

+ «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلهِنَا. كُلُّ وَطَاءٍ يَرْتَفِعُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَيَصِيرُ الْمُعْوَجُّ مُسْتَقِيماً، وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلاً. فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعاً،

لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ» (إش ٤٠: ٣-٥).

+ «حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ ... أُخْرِجُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَأَجْمَعُكُمْ مِنَ الأَرَاضِي ... وَآتِي بِكُمْ إِلَى بَرِّيَّةِ الشُّعُوبِ ... وَأُمِرُّكُمْ تَحْتَ الْعَصَا، وَأُدْخِلُكُمْ فِي رِبَاطِ الْعَهْدِ» (حز ٢٠: ٣٣-٣٧).

وقد أخذ هذا التقليد ينمو إلى زمن العهد الجديد حتى ساد الاعتقاد أن الخلاص الأبدي سوف يبدأ من البرية، وأن المسيَّا سوف يظهر أولاً في البرية[٢٢]. وهذا التقليد يفسِّر لنا قول الرب يسوع لتلاميذه عن المجيء الثاني للمسيح: «فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ فَلاَ تَخْرُجُوا!» (مت٢٤: ٢٦). ونتيجة لهذا التقليد ظهرت بعض حركات التمرُّد المسيَّانية، وخاصة بين فئة الغيورين، واتجهت إلى البرية لتبدأ من هناك حركة التمرُّد ضد روما. وقد وجَّه قائد الكتيبة الرومانية هذه التهمة لبولس الرسول: «أَفَلَسْتَ أَنْتَ الْمِصْرِيَّ الَّذِي صَنَعَ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ فِتْنَةً، وَأَخْرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعَةَ الآلاَفِ الرَّجُلِ مِنْ الْقَتَلَةِ؟» (أع ٢١: ٣٨)، حتى صار هذا التقليد يُعرف عند مفسِّري الكتاب المقدس بـ "تقليد البرية".

ولم يختفِ هذا التقليد تماماً بعد مجيء الرب يسوع بالجسد، فيصف

---

22 G. Kittel, ἔρημος in: *Theological Dictionary of the New Testament.* Vol. II, WM. B. Eerdmans (1987) p. 657-660.

لنا سفر الرؤيا المرأة المتسربلة بالشمس التي حاول التنين أن يبتلع ولدها متى ولدت. فبعد أن ولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصاً من حديد، حدث أن المرأة هربت إلى البرية حيث لها موضع مُعد من الله لكي يعولها هناك (رؤ ١٢: ١-٦). فعلى كنيسة الله أن تظل مختفية في برية هذا العالم حتى مجيء المسيح الثاني لينهي على مملكة إبليس.

وقد أشار الإنجيليون عدة مرات إلى البرية ليوضحوا أن الخروج الجديد للبرية المعد لشعب الله قد تم بمجيء المسيح. فكما أن الرب عال شعبه في البرية إذ أطعمهم المن من السماء، هكذا أطعم الرب يسوع الجموع في البرية (مر ٨: ١-٩). لكن الأكل من المن الأول تبعه موت لجميع الشعب، أما الأكل من المن الجديد أو المن الحقيقي، الذي هو جسد المسيح، فيتبعه حياة أبدية: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ» (يو ٦: ٤٨-٥٠).

وكما رفع موسى الحية النحاسية في البرية حتى يعطي نجاة وقتية للشعب الذي هاجمته الحيات المحرقة نتيجة لتمرده، هكذا رُفع المسيح على الخشبة حتى يعطي حياة أبدية لكل مَنْ يؤمن به:

+ «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ، هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣:

١٤و١٥)

وكما شرب الشعب من الماء الذي خرج من الصخرة في البرية بعد أن كاد يهلك من العطش، هكذا أعطى المسيح شعبه ماء الحياة الذي كل مَنْ يشربه لن يعطش إلى الأبد:

+ «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضاً. وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو ٤: ١٣و١٤).

أما عن خروج الرب يسوع نفسه إلى البرية فيشرحه القديس كيرلس الكبير - في تفسيره لإنجيل القديس لوقا - موضِّحاً أن خروجه كان مكسباً لنا ومن أجلنا. فقد خرج بنا، وهذا هو الخروج الجديد الذي انتظرته البشرية، لكي يعطينا النصرة على الشيطان، ويكلِّل في نفسه الطبيعة البشرية بأسرها:

[لقد سكن الربُّ في البرية تاركاً مساكن المدن، وهناك في البرية صام وتجرَّب من الشيطان. هناك انتصر من أجلنا. هناك سحق رؤوس التنين. هناك كما يقول داود الطوباوي: «اَلْعَدُوُّ تَمَّ خَرَابُهُ إِلَى الأَبَدِ. وَهَدَمْتَ مُدُناً» (مز ٩: ٦)، أي هدمت أعوانه الذين كالأبراج والمدن. لذلك فبعد ما تسلَّط على الشيطان وكلَّل في نفسه طبيعة الإنسان بالانتصارات التي أحرزها عليه، رجع بقوة الروح،

سالكاً بقوة وسلطان، وعاملاً معجزات كثيرة جداً أثارت اندهاش الكثيرين][23].

[23] شرح لو ٤: ١٤؛ PG 72, 536A.

أنقياء القلب

*****

ما أن بدأ الربُّ يسوع عظته المشهورة على الجبل، حتى ظهر الفرق الشاسع بين تعاليمه وبين تعاليم الفرِّيسيين. فبقدر ما اصطبغت تعاليم الفرِّيسيين بصبغة الرياء والمظهرية، القائمة على التدقيق في حفظ التقاليد مع التقيُّد بالظهور بمظهر التقوى والتديُّن؛ بقدر ما كان تركيز الرب في تعاليمه على تنقية القلب. فقد نادى الرب في تعاليمه بأنَّ على مَنْ يرغب في أن يكون من مواطني ملكوت السموات، ويتطلَّع إلى مُعاينة مجد الرب، عليه أن يتغيَّر من الداخل وأن يتحلَّى بنقاوة القلب: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٥: ٨).

فما هي النقاوة؟ وما هو المقصود بالقلب هنا؟

لكي نفهم عبارة: "أنقياء القلب" علينا أن نحدِّد أولاً معنى المفردات: الأنقياء، والقلب؛ كما وردت في أصلها اليوناني، وكما شاع استعمالها في لغة الكتاب المقدس.

أولاً: الأنقيــاء:

كلمة نقي καθαρός (كاثاروس) صفة تأتي في الكتاب المقدس لتفيد

عدة معانٍ[٢٤]:

١ - **المعنى الحرفي**: بمعنى نظيف أو نقي. وهذا المعنى يشرح الحالة المادية أو الطبيعية التي يوجد عليها الشيء المقصود. فمثلاً يُقال كأس نقية بمعنى نظيفة: «نَقِّ أَوَّلاً دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّفْحَةِ» (مت ٢٣: ٢٦)، وكتّان نقي: «فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ» (مت ٢٧: ٥٩)، «وَهُمْ مُتَسَرْبِلُونَ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ» (رؤ ١٥: ٦)؛ وماء نقي، أي ماء نظيف طاهر صالح للاستعمال: «وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ» (عب ١٠: ٢٢).

كما يصف الكتاب المقدس المعادن كونها نقية خالية من الشوائب، فيُقال فضة أو ذهب نقي: «وَتَصْنَعُ مَنَارَةً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ» (خر ٢٥: ٣١)؛ كما يُطلق على الزجاج والبلور بمعنى شفاف: «وَكَانَ بِنَاءُ سُورِهَا مِنْ يَشْبٍ، وَالْمَدِينَةُ ذَهَبٌ نَقِيٌّ شِبْهُ زُجَاجٍ نَقِيٍّ... وَسُوقُ الْمَدِينَةِ ذَهَبٌ نَقِيٌّ كَزُجَاجٍ شَفَّافٍ» (رؤ ٢١: ١٨و ٢١)؛ كما يُطلق على الخبز بمعنى خبز خالص بدون أية إضافات: "أنا قمح الله أُطحن تحت أضراس الوحوش لأُخبز خبزاً نقيًّا للمسيح" (القديس الشهيد إغناطيوس في رسالته إلى أهل رومية ٤:١).

٢ - **المعنى الديني الطقسي**: وهو يصف الشيء الطاهر بالمفهوم الطقسي، أي المسموح باستعماله في الأغراض الدينية، وبالتالي يكون

---

24 W. Bauer, *A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature*, p. 388,389.

مناسباً أن نُقدِّمه لله. وهذا المعنى شائع الاستعمال في العهد القديم ليصف الخطوات الطقسية لتطهير المنازل والملابس والمرضى (مثل مرضى البَرَص)، كما يصف الأطعمة الطاهرة أي التي سمح الله لشعبه بتناولها. وهذا المعنى الطقسي هو الذي ورد في رؤيا القديس بطرس: «رَأَى السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً ... وَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتٌ: قُمْ يَا بُطْرُسُ، اذْبَحْ وَكُلْ. فَقَالَ بُطْرُسُ: كَلاَّ يَا رَبُّ، لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئاً دَنِساً أَوْ نَجِساً. فَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتٌ ثَانِيَةً: مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ!» (أع ١٠: ١١-١٥)، وكما قال بولس الرسول: «لاَ تَنْقُضْ لأَجْلِ الطَّعَامِ عَمَلَ اللهِ. كُلُّ الأَشْيَاءِ طَاهِرَةٌ» (رو ١٤: ٢٠)، «كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ» (تي ١: ١٥).

٣ ـ **المعنى الديني الأخلاقي**: بمعنى طاهر أو نقي أو خالي من الخطية. وهذا المعنى يشير إلى الأشخاص عامةً: «كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ» (تي ١: ١٥)، «الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ ...» (يو ١٣: ١٠)، «أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ» (يو ١٥: ٣). كما يشير هذا المعنى أيضاً إلى مكوِّنات الإنسان الجسدية والنفسية: «بِسَلاَمَةِ قَلْبِي وَنَقَاوَةِ يَدَيَّ فَعَلْتُ هذَا» (تك ٢٠: ٥)، «وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ ...» (١تي ١: ٥)، «اتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ» (٢تي ٢: ٢٢)، «لَهُمْ سِرُّ الإِيمَانِ بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ» (١تي ٣: ٩).

وهكذا نجد أن هذه الكلمة καθαρός (كاثاروس) تصف الشخص أو الشيء النظيف الذي مر بعملية تطهير، أو النقي لعدم امتزاجه أو اختلاطه بأي شيء غريب عن طبيعته.

ثانياً: القلب:

كلمة قلب καρδία (كارديا) هي أيضاً تحمل عدة معاني. فقلب الإنسان - في مفهوم الكتاب المقدس - ليس هو مجرد ذلك العضو العضلي الموجود داخل القفص الصدري، بل هو مركز الحياة الروحية والطبيعية والعقلية. وهذا القلب هو المسئول عن النشاطات الآتية[٢٥]:

١ - **ملكة التفكير**: يُعتبر القلب في مفهوم الكتاب المقدس أنه المسئول عن عملية التفكير، ومنه تصدر الأفكار، وعليه مهمة الفهم والإدراك: «من فَضْلة القلب يتكلّم الفم» (مت ١٢: ٣٤)، «لأَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ، وَآذَانَهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ» (مت ١٣: ١٥)، «وَلَمَّا كَمِلَتْ لَهُ (موسى) مُدَّةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، خَطَرَ عَلَى بَالِهِ (καρδία) أَنْ يَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» (أع ٧: ٢٣)، «بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ (καρδία) إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كو ٢: ٩).

25 Ibid, p. 404,405.

٢ ـ **قرارات الإرادة**: والقلب ليس هو عضو التفكير فقط، بل إن إرادة الإنسان وكل ما يصدر عنها من قرارات يُعتبر القلب هو المسئول عنها في مفهوم الكتاب المقدس: «كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ» (٢كو ٩: ٧)، «ضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا، لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَماً وَحِكْمَةً» (لو ٢١: ١٤و١٥)، «وَعَظَ الْجَمِيعَ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الرَّبِّ بِعَزْمِ الْقَلْبِ» (أع ١١: ٢٣).

٣ ـ **الاختيارات السلوكية**: فالقلب هو المسئول عن التمييز بين الخير والشر، وهو المسئول عن إصدار قرارات الاختيار بين الفضائل والرذائل: «نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ» (يع ٤: ٨)، «... إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ» (أع ١٥: ٩)، «وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنَ الْقَلْبِ يَصْدُرُ، وَذَاكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ...» (مت ١٥: ١٨و١٩).

٤ ـ **العواطف والرغبات والشهوات**: فمنه تصدر العواطف النبيلة والمشاعر السامية، وأيضاً الرغبات والشهوات سواء الروحية أو الجسدية. فها هي عواطف النبي إرميا الجيَّاشة وبكاؤه على شعبه الذي لم يعرف الرب: «أَحْشَائِي، أَحْشَائِي! تُوجِعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي. يَئِنُّ فِيَّ قَلْبِي. لاَ أَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ» (إر ٤: ١٩). أما عن الشهوات فيقول الكتاب: «لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ

اللهُ أَيْضاً فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ» (رو ١: ٢٤)، أي تركهم ورفع معونته عنهم، فساروا وراء شهوات قلوبهم، «إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (مت ٥: ٢٨).

من هذه الاستعمالات لكلمتيْ النقاوة والقلب في الكتاب المقدس يمكننا فهم بعض المعاني المقصودة من تعبير الرب لتلاميذه: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ». فأنقياء القلب الذين يُشير إليهم الرب هنا هم أولئك الذين هيَّأوا أنفسهم لأن يكونوا أطهاراً تماماً من أية شوائب لا تتوافق مع طبيعة الله. لقد سمحوا لأفكارهم وإرادتهم ومبادئهم الأخلاقية وعواطفهم، أي لكل جوانب شخصيتهم الإنسانية، أن تخضع لعملية تنقية وتطهير شاملة ودقيقة بواسطة عمل الروح القدس داخلهم. فأنقياء القلب أيضاً هم المختارون لأن يكونوا أمناء لتنفيذ إرادة الرب والسير في طرقه، ولم يعطوا لأنفسهم أيَّ حقٍّ في أن يملك على حياتهم أيُّ سيدٍ أو إلهٍ آخر غير الرب الإله. أولئك هم المُعيَّنون لخدمة ملكوت الرب والمستحقون لمعاينة مجده.

لقد أشار الرب يسوع في التطويبات أن أنقياء القلب سوف يرون الله. هذا المفهوم كان في غاية الأهمية بالنسبة لبني إسرائيل، فهم يعرفون أن موسى رأى الرب «وجهاً لوجه» (خر ٣٣: ١١)، وأن داود الملك طلب من الله أن يمنحه «قلباً نقياً» حتى يسكن في داخله الروح القدس (مز ٥١:

١٠و١١)، وأن إشعياء النبي استحق أن يدخل إلى الأقداس العُليا ويرى الله (إش ٦: ٥). فالتلاميذ والجموع الذين استمعوا إلى عظة الرب يسوع كان لديهم الاشتياق للوجود في حضرة الله، أو بمعنى آخر أن يُعاينوا مجد الله، كما عاينه من قبل أنبياؤهم العِظام. وهذا ما عبَّر عنه التلاميذ على لسان فيلبُّس قائلين: «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا» (يو ١٤: ٨).

بَيْدَ أن بني إسرائيل كانوا يدركون أيضاً أن هناك أساسيات ضرورية يجب توفّرها في مَنْ يود معاينة الله. فقد ناقش صاحب المزامير متطلبات المثول في حضرة الله عندما قدَّم سؤاله: «مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟» (مز ٢٤: ٣)؟ والإجابة التي أعطاها كانت: «اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلاَ حَلَفَ كَذِباً» (مز ٢٤: ٤). فالطهارة الخارجية والنقاء الداخلي يشيران إلى حالة القداسة التي يجب توفّرها في مَنْ هو مدعو للمثول في حضرة الله. وهي نفس الدعوة تقريباً التي قدَّمها الرب يسوع لمستمعيه. فهم كأبناء المواعيد والمواريث التوراتية يدركون شروط التواجُد في حضرة الله، والتي أجملها الرب يسوع في شرط واحد يجمع في داخله كل مفاهيم الطهارة الداخلية والخارجية: نقاوة القلب.

وبالرغم من أن هذه الدعوة لم تكن غريبة عن آذان الشعب الدارس للتوراة والعامل بوصاياه، إلاَّ أنها كانت تمثِّل تحدِّياً صارخاً لمتطلبات البرِّ

التي كان يُنادي بها معلِّمو الناموس والفرِّيسيون. فقد كانت تعاليم هذه الفئة تنصبُّ على المظهر الخارجي للبر، والتي عبَّر عنها الرب في قوله: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوآنِ اخْتِطَافاً وَدَعَارَةً!» (مت ٢٣: ٢٥). إنكم عندما تصبغون حياتكم بالرياء والتديُّن الخارجي الكاذب، فإنكم تظهرون في أعين الشعب أطهاراً. ولكن هيهات أن تُعاينوا مجد الرب أو تروا وجهه.

لقد وقف الفرِّيسي مغطَّى تماماً بأعمال البر الكاذبة، وأخذ يُعدِّد فضائله أمام الله: «أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ» (لو ١٨: ١٢)، لكنه خرج من أمام الرب مُداناً وليس مبرَّراً. لذلك ركَّز الرب يسوع تعاليمه لتلاميذه على الداخل، وأعطاهم المفتاح الذي بواسطته يستطيعون أن يروا وجه الله، وهو نقاوة القلب.

إذن، فمَنْ هم أنقياء القلب، ذوو العيون المفتوحة، الذين يستطيعون مُعاينة مجد الرب؟

١ ـ هم الذين هيَّأوا أنفسهم لتخضع لعملية تطهير داخلي. فكما أن معنى كلمة καθαρός (كاثاروس) حسب المفهوم الكتابي تفيد: "نظيف بعد الاغتسال، طاهر بالمفهوم الطقسي أو نقي من كافة الشوائب"، هكذا فإن نقاوة القلب ليست حالة سلبية في مقابل النجاسة؛ بل هي حالة

إيجابية تحتاج إلى إرادة وعمل وتسليم كامل وخضوع للروح القدس. فتلميذ المسيح يحتاج أن يأتي إليه كل يوم معترفاً بنقائصه ليُطهِّره الرب باستمرار: «فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى الأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ ... لِنَتَقَدَّمْ **بِقَلْبٍ صَادِقٍ** فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ» (عب ١٠: ١٩و٢٢). كما أن عليه أن يملأ قلبه كل يوم باشتياقات إلى الرب فلا يوجد في قلبه مكان لشيء غريب: «أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ ... لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ» (أف ٣: ١٦-١٩). ثم عليه أيضاً أن يظل ساهراً على حراسة قلبه حتى لا تجتذبه أية شهوات رديئة: «فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ» (أم ٤: ٢٣).

فكما أن الذهب النقي يمر بعدة مراحل حتى تُنقَّى منه جميع الشوائب ويصير ذهباً نقياً مصفًّى بالنار، هكذا تلميذ الرب عليه أن يُنقِّي من داخله جميع الشوائب ليصير قلبه نقياً فيُعاين مجد الرب.

٢ ـ أنقياء القلب هم أصحاب القلوب الصافية الشفافة. فكما أن تعبير نقي καθαρός كان يُستخدم لوصف الأشياء الصافية الشفافة مثل قولنا: زجاج أو بلّور شفاف، حيث يمكن الرؤية من خلاله بسهولة ودون أية عتامة؛ هكذا أصحاب القلوب النقية، فهم يتمتعون بالصفاء والشفافية أمام الله حتى أنهم لا يخفون أي شيء عن عينيه.

طبعاً هناك استحالة أن نخفي شيئاً عن عيني الله، مثلما يقول المُرنِّم: «لأَنَّهُ هُوَ يَعْرِفُ خَفِيَّاتِ الْقَلْبِ» (مز ٤٤: ٢١)، لكننا في ضعفنا نحاول مرات كثيرة إخفاء أجزاء من أنفسنا لنُملِّك عليها سيداً آخر، سواء كان هذا السيد شهوة جسدية أو رغبة نفسية. أما أصحاب القلوب الصافية الشفافة فإنهم يكشفون كل ذواتهم أمام الله ليستخدمهم لمجد اسمه.

طوبى لأولئك الخاضعين بكلِّيتهم لعيني الله، لأنهم في وقوفهم في حضرته يرونه وجهاً لوجه: «وَنَحْنُ جَمِيعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كو ٣: ١٨).

٣ ـ أنقياء القلب هم أصحاب القلب الواحد غير المنقسم. فكما أن كلمة القلب καρδία في الكتاب المقدس تشير إلى الإنسان بكامله بما فيه من إرادة ورغبات وعواطف، هكذا فإن أنقياء القلب هم الذين سلَّموا هذا القلب الكلِّي أو الشامل إلى الرب، فاستحقوا أن يُعاينوا مجده: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ» (مر ١٢: ٣٠).

عندما تقدَّم الشاب الغني إلى الرب يسوع سائلاً إياه: «مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ» (مر ١٠: ١٧)، كان ردُّ الربِّ عليه أنه ينبغي أن يبيع كلَّ ما له ويعطيه للفقراء ثم يأتي ليتبعه (مر ١٠: ٢١)؛ لأن الرب رأى أن

محبة المال مسيطرة على قلب هذا الشاب وتقف عقبة في طريق ميراثه للحياة الأبدية، ويظهر ذلك من قول الكتاب: «فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِيناً، لأَنَّه كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ» (مر ١٠:٢٢). فكان احتياج الشاب الرئيسي من أجل تنقية قلبه لكي يتأهَّل لميراث الملكوت، هو أن يبيع كلَّ ما له ويُعطيه للفقراء. ربما لو كان الرب يسوع قال له: أن يأتي ويتبعه ومعه ماله الذي يحبه، لكان الشاب وافق ولو في الظاهر على إتمام الصفقة. ولكنه ما كان في استطاعته أن يُكمِّل إذا سمع قول الرب: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» (لو ٩: ٥٨). فأنقياء القلب هم أولئك الذين يُسلِّمون كل قلبهم لله، وليس كل قلبهم تقريباً!

لقد أمر الرب قائلاً: «يَا ابْنِي، أَعْطِنِي قَلْبَكَ، وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي» (أم ٢٣: ٢٦). فإن أعطيناه قلبنا كله، فستنفتح أعيننا لنراه ونُعاين طرقه ومشيئته من نحونا.

اللّٰهُمَّ ارحمني أنا الخاطئ

*****

أثناء رحلة الرب يسوع الأخيرة إلى أورشليم، تقابل مع مجموعة من الفريسيين الذين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم أبرار. وكيف لا؟ وهم المتمسِّكون بناموس موسى، الحافظون لشريعة الآباء، الغيورون على تقاليد الشيوخ! فوجد الرب يسوع الفرصة سانحة ليلقِّنهم درساً فيمَنْ هو البار ومَنْ هو الخاطئ، فقال لهم هذا المَثَل:

«إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اللّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ» (لو ١٨: ٩-١٣).

ثم علَّق على هذا المثل موضِّحاً لهم أن البار في عيني الله ليس هو مَنْ يكمِّل أحكام الناموس ومتطلِّباته، ويحتقر الآخرين، كما أن الخاطئ ليس هو مَنْ يقول الناس عنه أنه خاطئ.

مَنْ هو الخاطئ؟

لكي نفهم تعاليم وأقوال الرب يسوع وتلاميذه، يلزمنا أن نضع في الاعتبار الزمان الذي عاشوا فيه. فإذا فهمنا المناخ الاجتماعي والثقافي والسياسي لذلك العصر، أمكننا معرفة لماذا كان يُعتبر البعض خطاة، سواء في نظر أنفسهم أو في نظر المجتمع الذي يحيون فيه.

لقد كان ليهود القرن الأول الميلادي مفاهيم سامية عن الله وعن قيمة الفرد. أما حالتهم الدينية العامة وممارساتهم اليومية فكان يعتريها النقص، ولم يكن هذا في المحيط اليهودي فقط، إذ كان المستوى الأخلاقي للعالم كله آخذاً في الانحدار. في ذلك العصر كان هناك مفهوم خاطئ عند اليهود، وهو أن الله قد توارى بعيداً، ولم يعُدْ يهتم بأمور الناس ومشاكلهم[٢٦]. وهكذا انصبَّ جلّ اهتمامهم على المظاهر الخارجية للتقوى والتديُّن، وهي التي تجد قبولاً عند الناس، دون النظر إلى حياة التقوى الداخلية. لذلك صار الخاطئ هو مَنْ لا يستطيع أن يتمِّم الفرائض والواجبات العامة التي تفرضها الجماعة. وقياساً على ذلك ترسَّخت لدى الشعب بعض المقاييس التي بها يحكمون على الإنسان كونه خاطئاً أم لا. إذ كانوا يعتبرون الإنسان خاطئاً إذا انتمى إلى إحدى هذه الفئات: مخالفي الشريعة، المنحرفين أخلاقياً، الخارجين عن رعوية إسرائيل، والمعوَّقين

---

[26] L. M. Hankins, *Deciding Who Was a Sinner*, Biblical Illustrators, winter 1994, p. 24.

جسدياً أو عقلياً.

(أ): مخالفو أحكام الشريعة:

الخطية في المفهوم اليهودي هي التعدِّي على الناموس، والخاطئ ليس هو المذنب أمام الله فحسب، بل وأيضاً المذنب أو المتعدِّي على تقليد آبائه. إن فئة الخطاة المتعدِّين للناموس، وخاصة الذين لا يحفظون الشرائع والتقاليد الطقسية، يُعدُّون أردأ أنواع الخطاة، وخطيئتهم هي أشنع الخطايا. لذلك عندما لاحظ الفريسي الذي دعا الرب يسوع ليتغذى عنده، أن الرب لم يُمارس طقس الغسلات التطهيرية قبل الغذاء، تعجَّب وقدَّم اعتراضه على ذلك. لأنه من الأمور المرعية عند اليهودي المتشدِّد أن يصب ماءً على يديه قبل الأكل حتى يتطهَّر من النجاسة التي لحقته من التعامل مع الخطاة. وهنا صحَّح له الرب مفهوم الطهارة والخطيئة، أن الطاهر ليس هو مَنْ تطهَّر من الخارج بينما داخله مشحون بالخطيئة والمكر: «أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافاً وَخُبْثاً» (لو ١١: ٣٩).

أمَّا خطيئة التلاميذ الذين كانوا يقطعون السنابل ويأكلونها وهم يفركونها بأيديهم أثناء مرورهم بين الزروع، فلم تكن هي الأكل من مزروعات لا تخصهم (لو ٩: ١-٥)، إذ أن الشريعة كانت تسمح لعابري السبيل الأكل من أي حقل لسد الجوع (تث ٢٣: ٢٥). بل كانت خطيئتهم

أنهم كانوا يفركون السنابل، وهذا يُعد من الأعمال المحرَّمة يوم السبت. لذلك أوضح الرب للفرّيسيين أن عمل الرحمة تلبية لاحتياجات الإنسان تسمو على حفظ الوصية، مثلما عمل داود النبي عندما أخذ خبز التقدمة الذي لا يحل أكله إلا للكهنة وأعطى الذين معه الذين كانوا قد أعيوا من شدة الجوع (١صم ٢١: ٣-٦).

ولم يكن مخالفو الناموس فقط هم الذين يُعدون خطاة، بل كل مَنْ يخالف تفسير الشيوخ والفرّيسيين لأحكام الناموس يُعد خاطئاً. وإذا طبَّقنا هذه القاعدة فسيُحسب كل إنسان خاطئاً. وقد اتهم الفرّيسيون الرب يسوع أنه كان دائماً يخالط مثل هؤلاء الخُطاة: «وفيما هو متكئٌ في بيت (لاوي) كان كثيرون من العشَّارين والخطاة يتكئون مع يسوع وتلاميذه ... وأما الكتبة والفرّيسيون فلما رأوه يأكل مع العشَّارين والخطاة، قالوا لتلاميذه: مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (مر ٢: ١٥-١٧).

(ب): المنحرفون أخلاقياً:

مما لا شك فيه فإن مَنْ ينحرف عن جادة الصواب يُعتبر خاطئاً. ولكن الذي يعنينا هنا أن المجتمع اليهودي في القرن الأول الميلادي لم يتمتع بالمرونة الكافية حتى يتسامح ويقبل التائبين العائدين من أولئك

الخطاة. فحالما يُشاع عن شخص ما أنه يسلك سلوكاً منافياً للآداب، حتى تلطخه وصمة الخطية بقية أيام حياته. ولا ننسى راحاب التي استضافت الجاسوسَيْن أيام يشوع بن نون، فبالرغم من انتسابها بعد ذلك إلى التسلسل اليهودي المقدَّس (مت ١: ٥)، فما زالت تُذكر في العصر الرسولي باسم "راحاب الزانية"، إلا أن بولس الرسول شهد لإيمانها: «بِالإِيمَانِ رَاحَابُ الزَّانِيَةُ لَمْ تَهْلِكْ مَعَ الْعُصَاةِ، إِذْ قَبِلَتِ الْجَاسُوسَيْنِ بِسَلاَمٍ» (عب ١١: ٣١).

ومن الطبيعي فإن مَنْ يُشارك أو يرافق مثل أولئك الأشخاص كان يُدعَى خاطئاً. لذلك عندما تقدَّمت المرأة الخاطئة وقبَّلت قدمي يسوع ومسحتهما بالطيب، مُعبِّرة بذلك عن ندمها وتوبتها واعترافها بخطيئتها، أدان الفرِّيسيُّ يسوعَ وتشكك في كونه نبيًّا: «لَوْ كَانَ هذَا نَبِيًّا لَعَلِمَ مَنْ هذِهِ الامْرَأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ» (لو ٧: ٣٦-٣٩). ومن ثمَّ وصف الفريسيون الربَّ يسوع أنه «مُحِبٌّ لِلعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ» (مت ١١: ١٩).

ويظهر بوضوح رفض المجتمع لأولئك الخُطاة حتى بعد توبتهم في قصة الابن الضال، متمثِّلاً في الابن الأكبر الذي عاب على والده مسامحته لأخيه بعد عودته، وذلك لأنه بدَّد أمواله "مع الزواني". ومن هذه القصة يظهر أيضاً اتساع قلب الله المحب في قبول توبة الخاطئ وإعادته إلى

رتبته الأُولى، رتبة البنوية، إذ أن هذا الابن يشبه إنساناً كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجِد (لو ١٥: ١١-٣٢).

لذلك علَّم الرب يسوع مراراً أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً (في أعين أنفسهم) لا يحتاجون إلى توبة. كما كتب القديس بولس الرسول إلى أهل كورنثوس يُناشدهم قبول توبة الخاطئ وإعادته إلى شركة الكنيسة حتى لا يقتله الحزن أو يفترسه اليأس: «مِثْلُ هذَا يَكْفِيهِ هذَا الْقِصَاصُ الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِينَ، حَتَّى تَكُونُوا - بِالْعَكْسِ - تُسَامِحُونَهُ بِالْحَرِيِّ وَتُعَزُّونَهُ، لِئَلاَّ يُبْتَلَعَ مِثْلُ هذَا مِنَ الْحُزْنِ الْمُفْرِطِ. لِذلِكَ أَطْلُبُ أَنْ تُمَكِّنُوا لَهُ الْمَحَبَّةَ» (٢كو ٢: ٦-٨).

(ج): الخارجون عن رعوية إسرائيل:

وهنا نتقابل مع جميع الأُمم، يُعتبرون خطاة ليس بسبب أخلاقهم أو عباداتهم، ولكن لكونهم ليسوا يهوداً وحسب. إذ كيف يُحسب الإنسان باراً وهو لا يندرج تحت رعوية "شعب الله المختار". ويُعبِّر بولس الرسول عن وجهة النظر الضيقة هذه قائلاً: «نَحْنُ بِالطَّبِيعَةِ يَهُودٌ وَلَسْنَا مِنَ الأُمَمِ خُطَاةً» (غل ٢: ١٥).

ويخبرنا بطرس الرسول أن اليهودي كان يرى أن الأُممي ليس خاطئاً وحسب، بل ونجساً أيضاً: «فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُلٍ يَهُودِيٍّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيٍّ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ

أَنْ لاَ أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ» (أع ١٠: ٢٨).

من هنا نفهم رد الرب يسوع على المرأة الكنعانية التي طلبت شفاء ابنتها، فقد قال لها: «لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ» (مت ١٥: ٢٦). معبِّراً عن وجهة نظر اليهود نحو جميع الأُمم.

يُضاف إلى هذه الفئة من الخطاة كل مَنْ يقبل من اليهود أن يعاون الأمم أو يشترك معهم في العمل، مثل فئة العشَّارين أو جُباة الضرائب، الذين صارت مهنتهم علامة تدل على الخطيئة والخطاة، حتى استعمل الرب يسوع نفسه هذا التعبير ليؤنِّب الشعب اليهودي المتزمِّت المتمسِّك بحرفية الناموس: «إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ» (مت ٢١: ٣١). لذلك نرى الرب يسوع يختار تلاميذه من العشَّارين، وهو متى العشَّار، الذي صنع للرب وليمة في بيته (مت ٩: ٩ و١٠)، وقَبِلَ أيضاً أن يدخل إلى بيت زكا العشَّار ولم يلتفت إلى لوم اليهود القائلين: «إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ». فقال لهم الرب: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ» (لو ١٩: ٢-١٠).

أمَّا السامريون وهم الشعب الخليط من اليهود والأُمم، فكانوا يلاقون نفس المعاملة. بل وأكثر من ذلك استُخدم لقب سامري كشتيمة واستهزاء: «فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ (ليسوع): أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَناً: إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ؟» (يو ٨: ٤٨). لذلك اضطر الرب يسوع أن يشرح

لهم في مثل السامري الصالح أن ذلك السامري مقبول عند الله أكثر من رجال الدين اليهود أنفسهم (لو ١٠: ٢٥-٣٧)، وأن إيمان المرأة الكنعانية الأُممية من العظمة حتى إنه استدرَّ مراحم الله (مت ١٥: ٢٨)، وأن إيمان قائد المئة الأُممي ليس له مثيل عند كل الشعب اليهودي (لو ٧: ٩)؛ بل ومدح السامري الأبرص الذي نال الشفاء، كونه عاد شاكرًا الله، دون باقي اليهود، ولم ينسَ أن يُذكِّرهم برأيهم فيه أنه غريب الجنس: «أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجِعُ لِيُعْطِيَ مَجْداً لِلَّهِ غَيْرُ هَذَا الْغَرِيبِ الْجِنْسِ؟. ثُمَّ قَالَ لَهُ: قُمْ وَامْضِ. إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ» (لو ١٧: ١٢-١٩).

لذلك يلخِّص القديس بطرس موقف المسيحية في تعاملها مع الأُمم، وذلك بعد حادثة إيمان كرنيليوس قائد المئة، قائلاً: «بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ، بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ ... هذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ ... (الذي) لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا» (أع ١٠: ٣٤-٤٣).

(د): المعوَّقون جسديًّا أو عقليًّا:

ذكر الربِّيون القُدامى في تعاليمهم أن هناك علاقة بين خطية الإنسان وبين المرض الجسدي الذي يصيبه، وقد بنوا رأيهم هذا على بعض آيات العهد القديم التي كانت تربط بين الخطية والمرض الجسدي. وخير مثال على ذلك مرض البَرَص الذي أصاب جيحزي تلميذ أليشع النبي نتيجة

الجشع والطمع والجري وراء الملذات الأرضية (٢مل ٥: ٢٧). وقد شاع هذا الاعتقاد عند يهود القرن الأول الميلادي، الذين كانوا يعتقدون أن إصابة الإنسان بأي مرضٍ جسدي أو بأي خلل في وظائف الجسم منشؤه حكم الله العادل على هذا الإنسان نتيجة خطيئته.

يتضح ذلك من قول التلاميذ للرب يسوع عن الإنسان الذي وُلِدَ أعمى: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟»، وهو نفس الكلام الذي كرره اليهود على مسامع هذا الرجل بعد ذلك: «أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ، وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا!» (يو ٩: ١ و٣٤). وقد كان رد الرب يسوع عليهم: «لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه»، وذلك حتى يرفع من ذهنهم إدانة أي إنسان مريض ووصفه بأنه خاطئ. بل وأكثر من ذلك، فقد أوضح لهم أنه لا المرض الجسدي أو الكوارث والمصائب علامة على خطيئة الإنسان، ولا الصحة الجسدية علامة على قداسته، وذلك أثناء تعليقه على بعض الأحداث التي جرت في أيامهم:

+ «وَكَانَ حَاضِراً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هذَا؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ. بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ

تَهْلِكُونَ. أَوْ أُولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ! بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ» (لو ١٣: ١-٥).

ويوضِّح لنا القديس بولس أنه أحياناً يكون المرض ليس عقاباً من الله نتيجة لخطيئة الإنسان؛ بل تزكية من الله وصوناً للإنسان يحميه من الخطيئة ومن الكبرياء. وهنا يصير المرض الجسدي ليس سبباً للخزي والعار، بل فرصة للافتخار. فبعد أن ذكر أنه يأتي إلى مناظر الرب وإعلاناته، وأنه اختُطِفَ إلى السماء الثالثة، يقول:

+ «لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ. مِنْ جِهَةِ هذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ. فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ» (٢كو ١٢: ٧-٩).

لذلك جال الرب يسوع بين أولئك المرضى والمعوَّقين حتى يعيد لهم الصحة، ويرفع عنهم تهمة الخطيئة التي وصمهم بها المجتمع: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ، وَتَنْظُرَانِ: اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ

يُبَشَّرُونَ» (مت ١١: ٤و٥).

إن الرب يسوع في حياته على الأرض لم يكن ليثير اهتمامه أيٌّ من هذه المفاهيم الخاطئة عن مَنْ هو الخاطئ؟ فبالرغم من قداسته المطلقة التي أوضحها في قوله: «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ» (يو ٨: ٤٦)، إلاَّ أنه لم يحاول أن يدين أيَّ إنسان أو يحكم عليه، حتى المرأة الزانية التي أُمسِكَت في ذات الفعل قال لها: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضاً» (يو ٨: ١١). لقد كان يدرك تماماً أن زمن الدينونة لم يأتِ بعد، وأن الوقت لم يحن لتقسيم شعب الأرض إلى أبرار وخطاة، فـ«الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا» (رو ٣: ١٢)، وأن الزمان الآن هو زمن رفع الخطية وإلغاء سطوتها وجبروتها. لذلك ارتضى أن يضم نفسه إلى جميع هذه الفئات المحكوم عليها بالخطية، حتى يحرِّرها من الخطية، سابغاً عليها من قداسته الخاصة: «لأَنَّهُ (الله) جَعَلَ (المسيح) الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ» (٢كو ٥: ٢١).

التطهيرات

*****

الطهارة والقداسة مطلب أساسي من مطالب الله للإنسان، سواء في العهد القديم أو العهد الجديد. ففي العهد القديم يخاطب الله شعبه المختار قائلاً: «وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً» (خر ١٩: ٦)، «كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (لا ١١: ٤٥، ١٩: ٢). وفي العهد الجديد يؤكِّد الله مطالبته لنا بالقداسة: «لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ» (عب ١٢: ١٠)، «لأَنَّ هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ» (١تس ٤: ٣).

مفهوم "الطاهر والنجس" عند الشعوب البدائية:

تستند ممارسة طقوس التطهير في كثير من المجتمعات القديمة على فكرة التمييز بين ما هو طاهر وما هو نجس. وكان الكثير من الشعوب البدائية يعتقدون بوجود قُوَى غامضة تحل في النبات أو الحيوان أو حتى الجماد، مما يجعلها ضارة أو مؤذية للإنسان[٢٧]. ومن هنا بدأ التمييز بين الأشياء المحرَّمة أو النجسة، والأشياء المحللة أو الطاهرة. وهذا هو ثمرة الأكل من الشجرة المحرَّمة: شجرة معرفة الخير والشر. فبعد أن كان كل

---

27 Hauck and Meyer, καθαρός in *Theological Dictionary of the N.T.* III. pp. 413-431.

شيء طاهراً للإنسان عندما خلقه الله لينعم به، صارت الخليقة في عيني الإنسان ذات وجهين: طاهر ونجس ...

مفهوم "الطاهر والنجس" في العهد القديم:

تختلف نظرة الشعب العبراني في التمييز بين ما هو طاهر وما هو نجس عن نظرة كثير من الشعوب البدائية القديمة، لأن الله في تعامله مع شعب إسرائيل في وضعه البدائي وإدراكه الحسّي المرتبط بطبيعته الجسدية، وضع لهم أحكاماً وفرائض ووصايا تتعلّق بالتمييز بين الطاهر والنجس، بُنيَت أساساً على اعتبار كل عبادة غير عبادة الله نجسة، وكل مَنْ يعبد إلهاً غير الله فهو نجس، وكل ما تمارسه الشعوب الوثنية من عادات وتستعمله في عباداتها فهو نجاسة وهو محرَّم على شعب الله، حتى إن الله كان يحرِّم كل مدنهم وغنائمهم في الحرب، فكان يأمر شعبه أن يحرقها بالنار. لذلك كان العبراني ينظر إلى كل الأشياء أو الممارسات التي تهدد كيانه الديني أو الاجتماعي على أنها نجسة له. فعلى سبيل المثال، كانت الحيوانات التي تُقدَّم ذبائح لآلهة غريبة تُعتبر نجسة. فكان العبرانيون يعتبرون الخنزير نجساً - بالرغم من أن بعض الشعوب الأخرى المجاورة كانت تقدِّسه مثلما كان في بابل وقبرص وسوريا - وربما يرجع

ذلك لأنه كان يُقدَّم بكثرة كذبيحة للآلهة الوثنية[٢٨].

طقوس التطهير في العهد القديم:

بالرغم من أن كثيراً من طقوس التطهير والتفريق بين النجس والطاهر لها أصول قديمة وتاريخ طويل، إلا أنها أخذت شكلها الديني بعد تأسيس الكهنوت اللاوي. وصار مفهوم الطهارة هو الابتعاد عن الأشياء التي حرَّمها الله في الشريعة، والتي وصفها أنها: "مكرهة للرب" (لا ٧: ٢١، ١١: ١٠). وكان على الإنسان العبراني الذي يريد أن يتطهَّر أن يجوز سلسلة معقَّدة من طقوس التطهير تبدأ بعزله عن الجماعة فترة محددة، يقوم بعدها بتقديم ذبيحة دموية في الهيكل. أما المادة التي كان يتطهَّر بها فكانت تتمثَّل في الماء كعنصر للاغتسال والنقاوة الجسدية الخارجية، والدم الذي يُرش على المتطهِّر من دم الذبيحة التي يقدِّمها. وأحياناً كانت تُستعمل النار في تطهير الأشياء والأدوات التي كانت تحتاج إلى تطهير[٢٩].

مفهوم "الطاهر والنجس" في العهد الجديد:

يستعمل كتاب العهد الجديد الفعل "يطهِّر" καθαρίζω (كاثاريزو) ومنه الصفة "طاهر" καθαρός (كاثاروس)، وهما نفس الكلمتين اللتين استعملتهما الترجمة السبعينية للعهد القديم. ولكن ما مدى تشابه

---

28 L.E. Toombs. *Clean and Unclean*, in *Interpreter Dictionary of the Bible*. Vol. I. p. 641.

29 C.L. Feinberg. *Clean and Unclean*, in *New bible Dictionary*, pp. 215-217.

المعاني في كلا الحالتين؟ يمكننا أن نتعرَّف بسهولة على موقف العهد الجديد من التطهيرات الطقسية اليهودية ومن مفهوم "الطاهر والنجس" من هذا الموقف الذي واجه فيه الرب يسوع الكتبة والفريسيين. فقد «اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ ... وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضاً مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ دَنِسَةٍ، أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ، لاَمُوا. لأَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ وَكُلَّ الْيَهُودِ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ بِاعْتِنَاءٍ، لاَ يَأْكُلُونَ، مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ الشُّيُوخِ» (مر ٧: ١-٧). هنا أوضح لهم الرب يسوع بكل جلاء أن «لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ ... لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ ...» (مر ٧: ١٥و٢١). وكان هذا الكلام بمثابة تغيير كلِّي للمفاهيم اليهودية بخصوص الطاهر والنجس من الأطعمة، حتى إن التلاميذ قالوا للرب: «أَتَعْلَمُ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمَّا سَمِعُوا الْقَوْلَ نَفَرُوا؟ ... اُتْرُكُوهُمْ. هُمْ عُمْيَانٌ قَادَةُ عُمْيَانٍ» (مر ١٥: ١٢و١٤).

ويأتي تطبيق هذا الكلام في الرؤيا التي رآها بطرس الرسول عندما كان جائعاً: «فَرَأَى السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِنَاءً نَازِلاً عَلَيْهِ مِثْلَ مُلاَءَةٍ عَظِيمَةٍ ... وَكَانَ فِيهَا كُلُّ دَوَابِّ الأَرْضِ وَالْوُحُوشِ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. وَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتٌ: قُمْ يَا بُطْرُسُ، اذْبَحْ وَكُلْ. فَقَالَ بُطْرُسُ: كَلاَّ يَا رَبُّ، لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئاً دَنِساً أَوْ نَجِساً. فَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتٌ ثَانِيَةً: مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ

أَنْتَ!» (أع ١٠: ١٠-١٥).

لقد احتدم النقاش في الكنيسة الأُولى حول مدى التـزام المؤمنين الجُدد بحفظ ما أمرت به الشريعة اليهودية من طقوس التطهير والاغتسالات الجسدية وحفظ السبت والختان والمحلَّل والمحرَّم من الأطعمة. ولكن مجمع أورشليم بقيادة الرسل طلب من المؤمنين الامتناع فقط عن كل ما ذُبِحَ للأوثان والمخنوق والدم والزنا (أع ١٥: ٢٠ و٢٩). وبذلك رفع عن عاتقهم متطلبات الناموس التي أوضح القديس بطرس أنه «لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ» (أع ١٥: ١٠).

لذلك كتب القديس بولس لأهل رومية قائلاً: «إِنِّي عَالِمٌ وَمُتَيَقِّنٌ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ نَجِساً بِذَاتِهِ، إِلاَّ مَنْ يَحْسِبُ شَيْئاً نَجِساً، فَلَهُ هُوَ نَجِسٌ ... كُلُّ الأَشْيَاءِ طَاهِرَةٌ، لكِنَّهُ شَرٌّ لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَأْكُلُ بِعَثْرَةٍ» (رو ١٤: ١٤ و٢٠).

المفهوم الروحي للتطهيرات في العهد الجديد:

لقد أوضح الرب يسوع أن الطهارة الخارجية لا تُفيد، ولا تؤكدها طقوس التطهيرات والاغتسال، بل منبعها الحقيقي هو قلب الإنسان. فأنقياء القلب هم الذين يرثون ملكوت السموات (مت ٥: ٨). فنقاوة القلب تسمو بلا قياس على الاغتسالات الجسدية التي كان ينادي بها الفريسيون. لذلك نجد كتابات العهد الجديد تركِّز على الطهارة الداخلية

أكثر من التطهير الخارجي. وقد أبانت الوسائل التي بها يتطهَّر الإنسان، وهي الكلمة والماء والدم.

أ. **الكلمة**: كانت عملية التطهير جزءًا من رسالة الرب يسوع الذي طهَّر تلاميذه بكلمته المحيية: «أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ» (يو ١٥: ٣). لذلك كان إيمان الأُمم بكلمة الكرازة كفيلاً بأن يطهِّرهم ويجدِّد إنسانهم الداخلي. وهذا ما أوضحه القديس بطرس في مجمع أورشليم: «... اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ ... وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ» (أع ١٥: ٧-٩).

ليس ذلك فقط، بل والطعام نفسه يتقدَّس بكلمة الله. نرى ذلك واضحاً في رسالة بولس الرسول إلى تيموثاوس: «... أَطْعِمَةٍ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِتُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ ... لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ، لأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ وَالصَّلاَةِ» (١تي ٤: ٣-٥).

ويشرح القديس كيرلس الكبير دور الكلمة في التطهير في مقابل الاغتسالات اليهودية في تفسيره للآية: «أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ» (يو ١٥: ٣) على لسان المسيح قائلاً:

[هلموا اطرحوا عنكم ثقل العوائد الباطلة وفساد هذا العالم، وكونوا مستعدين لتُثمروا ثماراً مرضية لله. جنِّبوا أنفسكم شرائع

اليهود الباطلة وغير النافعة ولا تلتفتوا إليها بعد ذلك. فكلمتي قد طهَّرتكم، لذلك لا تُخضِعوا حياتكم بعد لناموس موسى أو لأية شرائع أخرى. لا تظنوا أن قداستكم تنبع من الأكل أو الشرب أو الاغتسالات، ولا حتى من الذبائح الكفَّارية. لكن ثقوا أنكم متأسِّسون على إيمان ثابت، وجدُّوا حتى ترضوا الله بأعمالكم الصالحة ...

إن الإسرائيليين عندما آمنوا بي، والتصقوا بي كما الأغصان في الكرمة، فقد نالوا نقاوة الذهن بواسطة كلمتي، عندئذ لم يتركوا أنفسهم لخدمة "الحرف" مرَّة أخرى، ولم يفتِّشوا بقلوبهم عن "الظل والمثال". لكنهم عملوا ثمار خدمة الله الحقيقية والروحية. لأن الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا (يو ٤: ٢٤)].

ب. **الماء:** وكما كان الماء في القديم وسيلة للطهارة الخارجية، فقد أصبح ماء المعمودية في العهد الجديد، وسيلة لتطهير الإنسان وولادته من جديد خليقة جديدة مطهَّرة ومقدَّسة، وذلك لأنه لم يعد ماءً ساذجاً، بل صار يحمل قوة الكلمة والروح القدس: «أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ» (أف ٥: ٢٦ و٢٧). ولم يعد

دور الماء مجرَّد إزالة أوساخ الجسد بل تنقية الضمير ونقل مفاعيل قيامة المسيح إلينا: «الَّذِي مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الآنَ، أَيِ المَعْمُودِيَّةُ. لاَ إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بط ٣: ٢١).

ويوضِّح القديس أُغسطينوس أنه ليس الماء في حد ذاته هو الذي يمنح التطهير، بل قوة الكلمة الحالة على الماء، ففي تفسيره لإنجيل يوحنا (١٥: ٣) يقول:

[«أنتم الآن أنقياء بسبب الكلمة التي كلمتكم بها»، لماذا لم يقل: "أنتم أنقياء بسبب المعمودية التي بها اعتمدتم"، بل: «بسبب الكلمة التي كلَّمتكم بها»؛ إلا لأنه في الماء أيضاً الكلمة هي التي تنقِّي. أقصِ الكلمة فلا يكون الماء أكثر أو أقل من ماء. فالكلمة تُضاف إلى عنصر الماء فينشأ السر، وكأن الماء نفسه صار بمثابة كلمة مرئية. والرب قال أيضاً في هذا المعنى عندما كان يغسل أرجل تلاميذه: «الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ» (يو ١٣: ١٠). ومن أين للماء بهذه الفاعلية المتَّسعة، إذ حالما يلمس الجسد تتطهَّر النفس، إلا بعمل الكلمة وذلك ليس بمجرَّد نطقها ولكن بالإيمان بها].

ج. الدم: وكما كان الدم في القديم وسيلة لطهارة الجسد، صار دم

المسيح وسيلة للتطهير والتقديس وغفران الخطايا: « لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ ... يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عب ٩: ١٣ و١٤). لذلك يوصينا يوحنا الحبيب قائلاً: «إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يو ١: ٧).

لأجل ذلك يصلِّي الكاهن في القداس الإلهي قائلاً:

[اجعلنا مستحقين كلنا يا سيِّدنا أن نتناول من قدساتك (جسدك المقدَّس ودمك الكريم) طهارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا].

يبقى لنا أن نتمسَّك بهذه الوسائط للتطهير والتقديس، فهي قادرة على ملء قلوبنا بالثقة في نوال الملكوت المعد لنا، متمسِّكين بالرجاء الذي لا يخزى لأن الذي وعد هو أمين: «فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى الأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ ... لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ. لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخاً، لأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ» (عب ١٠: ١٩-٢٣).

أولاد إبراهيم

*****

يتكرر اسم إبراهيم أبي الآباء في العهد الجديد مراراً كثيرة، وفي إنجيل القديس يوحنا بمفرده يتكرر إحدى عشرة مرة، تقع جميعها في الأصحاح الثامن منه (٣١ـ٥٨). وإذا عرفنا وجهة نظر اليهود أيام المسيح حول علاقتهم بإبراهيم أمكننا فهم الحوار الذي دار بين المسيح واليهود والذي ورد ذكره في إنجيل يوحنا (٨: ٣١ـ٥٨).

لقد بارك الله إبراهيم وأعطاه الوعد قائلاً: «أَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكُكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تك ١٢: ٢و٣). وأضاف الله على هذا الوعد بعد ذلك قائلاً: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ» (تك ١٢: ٧). ثم تأكَّد هذا الوعد عندما وعده الله بميلاد إسحق: «انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ» (تك ١٥: ١-٦). ثم تأكَّد الوعد مرة أخرى عندما غيَّر الله اسم إبراهيم من أبرام إلى إبراهيم، وكان الختان هو علامة هذا الوعد (تك ١٧: ١-١٤).

على هذا الأساس الكتابي صارت شخصية إبراهيم ممجدةً جداً في

التقليد اليهودي المتأخر بسبب مآثره وشخصيته المثالية[٣٠].

وقد كال له اليهود المديح لأنه تمم أقصى متطلبات الحياة الفاضلة كما كان ينادي بها فلاسفة اليونان. فيصفه المؤرخ اليهودي يوسيفوس أنه: "إنسان فائق الكمال من جهة جميع الفضائل"[٣١]. أما كتاب المشنا، وهو مجموعة تعاليم الربِّيين اليهود والتي أشار إليها الإنجيل تحت اسم: "تقليد الشيوخ" (مر ٧: ٣)، فإنها في تعليقها على آية سفر التكوين: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي» (تك ٢٦: ٥)، تقول: "إن أبانا إبراهيم قد حفظ جميع أحكام الشريعة قبل أن تُعطى الشريعة"[٣٢]. كما تعتبره أول من أدان عبادة الأوثان بسبب إيمانه بالله. إذ يقرر يوسيفوس أن السبب الوحيد لترك إبراهيم منطقة ما بين النهرين هو العداوة التي لاقاها من جراء رفضه لعبادة الأوثان[٣٣].

وبسبب هذه الكرامة التي أُسبِغَتْ على شخصية إبراهيم، نسجت أيدي الخيال حوله القصص، وقد تسجَّلت هذه القصص في بعض كتابات اليهود المتأخرة مثل كتاب: "رؤيا إبراهيم"، وكتاب: "عهد إبراهيم"؛

---

30 J. Jeremias, *Abram, Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. I, p. 8.

31 *Antiq.,* 1:256.

32 *Kiddushin* 4:14, cited by Jeremias, op. cit.

33 *Antiq.,* 1:7:1.

وهي تحوي تاريخ حياة إبراهيم كما ورد في سفر التكوين بالإضافة إلى أساطير الربِّيين التي تخيَّلت إبراهيم في تعامله مع الملائكة، والرؤى التي شاهد فيها الله، ورحلاته في عالم السماويات"[٣٤].

أما قمة المديح لإبراهيم فنجده في التقليد اليهودي الذي يقرر أن إيمان وطاعة إبراهيم كانا من العظمة بمكان حتى إنهما ـ بالإضافة إلى بر إسحق ويعقوب ـ يُعتبران كنزاً عظيماً لما يُسمَّى بـ "استحقاقات الآباء". هذا الكنز من بر وتقوى الآباء كان أكثر من احتياجهم لكي ينالوا الخلاص. لذلك فقد كانوا يعتقدون بأن الله يسمح بانتقال هذا البر للشخص اليهودي عندما يحتاج إليه لكي يكفِّر عن خطاياه. وبالرغم من أن بعض الربِّيين اليهود قد عارضوا هذا الرأي، إلاَّ أن وجوده يوضِّح الكرامة التي نالتها شخصية إبراهيم[٣٥].

لقد جاء شعب إسرائيل من نسل إبراهيم، وبالتالي فهو الشعب المختار الذي تحققت فيه الوعود والبركة التي منحها الله لإبراهيم، وإن كانت كل هذه الوعود والبركات لم تتحقق إلاَّ في المسيَّا الآتي من نسل إبراهيم. لذلك كان اليهود يلقِّبون إبراهيم دائماً في كتاباتهم بلقب "أبينا

---

34 Emil Schürer, *The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ,* Vol. III, p. 761.

35 H.S. Songer, *Sons of Abraham, Biblical Illustrator,* Winter 94, pp. 61-64.

إبراهيم". ويقابلنا نفس هذا اللقب أيضاً في كتابات العهد الجديد:

+ «الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا، أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا نَعْبُدُهُ» (لو ١: ٧٣-٧٤).

+ «ظَهَرَ إِلَهُ الْمَجْدِ لأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ قَبْلَمَا سَكَنَ فِي حَارَانَ» (أع ٧: ٢).

+ «فَمَاذَا نَقُولُ إِنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَدِ؟... وَأَباً لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً يَسْلُكُونَ فِي خُطُواتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ» (رو ٤: ١و١٢).

+ «أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ» (يع ٢: ٢١).

حتى الرب يسوع نفسه استخدم هذا اللقب في مَثَل الغني ولعازر، فيقول على لسان الغني بعد أن انتقل إلى الهاوية: «فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبِعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي...» (لو ١٦: ١٩-٣١). لذلك كان يُطلق على اليهود عادة لقب "أولاد إبراهيم" (يو ٨: ٣٩)، و"ذرية إبراهيم" (يو ٨: ٣٣)، و"ابن إبراهيم" (لو ١٩: ٩)، و"ابنة إبراهيم" (لو ١٣: ٦).

هذه الإشارات المتكررة في كتابات القرن الأول لاعتبار إبراهيم أباً

لليهود، وأن اليهود هم ذرية إبراهيم، تحتاج إلى فحص دقيق، فربما تحمل معنى مغايراً تماماً للمعنى المقصود. فهل تكرار هذا اللقب يشير إلى أية امتيازات أو استحقاقات لليهود، أم أنه يؤكِّد على واجبات والتزامات مفروضة على مَنْ يحمل هذا اللقب؟

كلا هذين الاتجاهين ـ أي الامتياز والالتزام ـ واضحان في رواية سفر التكوين. فالوعود الممنوحة لإبراهيم في سفر التكوين مرتبطة بإيمان إبراهيم وطاعته:

فالوعد بالبركة في الأصحاح الثاني عشر مرتبط بأمر الله لإبراهيم: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ» (تك ١٢: ١).

كما أن التأكيد على البركة وإضافة الوعد بميراث الأرض (تك ١٢: ٢و٣) يحمل في طياته بصورة متلازمة الوجهين: العطية والالتزام؛

فالوعد بإنجاب الوريث يتطلب الإيمان (١٥: ١-٦)، والوعد بميراث الأرض يتطلب تقديم ذبيحة (١٥: ٧-٢١).

وتأكيد الوعد بعلامة الختان (١٧: ٢-١٤) سبقها الوصية: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً» (١٧: ١).

وحتى بعد أن منحه الله إسحق الذي وعده بأن يكون هو الوارث للمواعيد والبركة، فلكي يتثبَّت له وعد الله وبركته، تطلَّب هذا امتحاناً

لإيمانه عندما طلب منه الله أن يقدِّم إسحق ذبيحة. وكان هذا هو الامتحان: هل يؤمن أن الله قادر أن يقيم له إسحق من الموت، هذا الذي تقبَّل فيه المواعيد، وحيده (تك ٢٢: ١-١٨)؟

وإذا فحصنا مفهوم البنوَّة لإبراهيم في الفترة التي واكبت مجيء المسيح بالجسد، نجد كلا المفهومين - أي الامتياز والالتزام - موجودَيْن، ولكن التركيز بالأكثر كان على مفهوم الامتياز دون الالتفات كثيراً إلى متطلبات البنوة. فمن أقوال الربِّيين اليهود المعاصرين لتلك الفترة، نلاحظ الإشارة إلى امتيازات البنوة لإبراهيم وكأنها حقٌّ واجب غير مشروط بأية شروط. فيذكر الرابِّي مير Meir أن: "الإسرائيليين هم دائماً أولاد إبراهيم، سواء ضايقوه بأعمالهم أم لا، سواء فسدوا في حياتهم أم لا، وسواء عصوا الله أم لم يعصوه". (*Sifra on Deut.* 32.5)

هذا المفهوم كان شائعاً في زمن المسيح، وكان اليهود يرون أنهم ما داموا أولاد إبراهيم فلهم حق ميراث الوعود وميراث الأرض والمستقبل المجيد. وقد ذكر القديس يوستينوس الشهيد في حواره مع تريفو أن اليهود - كأولاد إبراهيم - كانوا يتوقعون نوال ملكوت الله بغض النظر عن سلوكهم في الحياة[٣٦]. وقد واجه القديس يوحنا المعمدان هذا المفهوم

36 *CXL 2, PG* 6:797.

الخاطئ عندما بدأ البعض يقبلون رسالة التوبة التي نادى بها:

+ «وَكَانَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ الَّذِينَ خَرَجُوا لِيَعْتَمِدُوا مِنْهُ: يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. ولاَ تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَباً. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ اللهَ قَادِرُ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَداً لإِبْرَاهِيمَ. وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ» (لو ٣: ٧-٩؛ مت ٣: ٩و١٠).

فهنا كان يوحنا يذكِّر سامعيه أن البنوَّة لإبراهيم لا تلغي أمر الله لكل إنسان: «سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً».

بَيْدَ أن هناك بعض الربِّيين المعتدلين الذين فهموا البنوة لإبراهيم بمفهوم الالتزام والمسئولية تجاه متطلباتها. وقد نادى أولئك بضرورة التشبُّه بأخلاقيات وفضائل إبراهيم. ففي كتاب المشنا نجد هذا المفهوم: "إن مَنْ يمتلك هذه الخِصال الثلاث، فهو تلميذ لأبينا إبراهيم، أما مَنْ يوجد فيه تلك الصفات الثلاث الأخرى فهو تلميذ لبلعام الشرير. فمَنْ فيه هذه الخِصال الثلاث وهي العين البسيطة (القنوعة) والروح الوديعة والنفس المتضعة، فهذا هو تلميذ لأبينا إبراهيم. ومَنْ فيه هذه الصفات الثلاث وهي العين الشريرة (الطمَّاعة) والروح المنتفخة والنفس المتعالية فهو من تلاميذ بلعام الشرير... فتلاميذ أبينا إبراهيم يتمتعون بالعالم

الحاضر ويرثون الحياة الآتية... أما تلاميذ بلعام فيرثون جهنم وينحدرون إلى هاوية الهلاك". (*Aboth* 5:19)

هذه الفقرة المقتبسة من تعليم الربِّيين توضِّح أنه كان هناك من قادة إسرائيل الروحيين مَنْ نادى بأن مصير الإنسان إنما يحدده سلوكه الروحي وليس مجرد انتسابه إلى ذرية إبراهيم. وهذا المفهوم هو ما أكَّد عليه الرب يسوع عند مقابلته لزكا رئيس العشارين. فبعد أن أعلن زكا توبته والتزامه بالعطف على المساكين وإنصاف المظلومين، والكفِّ عن أعمال الظلمة التي كان يمارسها، أجابه الرب يسوع قائلاً: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ» (لو ١٩: ٩). وقد أكَّد بولس الرسول على هذا المفهوم في رسائله، إذ نادى في تعاليمه أن "في المسيح" ليس هناك أهمية روحية لأصل الإنسان سواء كان يهودياً أم أممياً (غل ٣: ٢٨)، وأن الإنسان لا يحسب يهودياً إن كان يهودياً من الخارج فقط، أي بسبب انتمائه فقط إلى ذرية إبراهيم، والختان لا يحسب ختاناً إن كان مصنوعاً في الجسد فقط. أما اليهودي الحقيقي فهو اليهودي من الداخل، أي الذي يسير على خطوات إيمان إبراهيم (رو ٢: ٢٨و٢٩).

يمكننا الآن أن نتتبَّع الحوار الذي دار بين الرب يسوع واليهود في إنجيل يوحنا الأصحاح الثامن، لنرى انعكاس وجهات النظر المختلفة حول مفهوم البنوَّة لإبراهيم. فعندما أخبرهم يسوع بحاجتهم إلى الحرية:

«وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (٨:٣٢)، أجابوه من وجهة نظر الربِّيين التي تُنادي بامتيازات البنوة لإبراهيم: «إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ» (٨: ٣٣)، وهو الرأي الذي يرى أن جميع اليهود هم أحرار - بالرغم من أنهم في ذلك الوقت كانوا تحت عبودية الدولة الرومانية - "حتى الأفقر في إسرائيل فجميعهم أحرار، وإن فقدوا جميع ممتلكاتهم، وذلك لأنهم أولاد إبراهيم وإسحق ويعقوب" (*Mishna Baba Kamma* 8.6)

لقد استثار المسيح في هؤلاء اليهود - الذين أظهروا في البداية قبولاً لكلام المسيح - أفكارهم الدفينة المترسِّبة عَبْر الأجيال والدهور، القائمة على الغُلُوِّ في الوطنية السياسية المصبوغة من الخارج بالعبادة، والموضوع عليها شعار يَهْوَه، لتصبح السياسة المقدسة التي لا يستطيع أن يمسَّها أحد. فكيف لهذا المعلم أن ينفي عنهم الحرية وهم قد أخذوا السيادة على العالم بكل شعوبه وأممه، بوعد وتعهُّد من الله لأبيهم إبراهيم! وإن كانت بلادهم وأرضهم اجتاحتها جيوش أعداءٍ على مر السنين، مصريين وبابليين وأشوريين ورومان، فكما جاءوا هكذا رحلوا دون أن يمسوا ميراثهم أو تراثهم أو عوائدهم أو عبادتهم. لقد خرج اليهود من نيْرِ الأَسْر وهم أحرار كما كانوا، بوعد أبيهم إبراهيم. فكيف يَعِدُهم هذا

بالحرية وهم في حريتهم قائمون[٣٧]؟

لقد أقرَّ الرب يسوع ببنوتهم الجسدية لإبراهيم: «أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ» (٨: ٣٧)، لكنه أضاف أن لهم أباً آخر: «أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ» (٨: ٣٨). لقد كان بهذا الكلام يستفزُّهم لكي يؤكِّدوا على ادِّعائهم بالبنوة الجسدية لإبراهيم: «أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ» (٨: ٣٩). وهنا فنَّد الربُّ مزاعمهم مستنداً إلى تعاليم اليهود التي تنص على أن أولاد إبراهيم الحقيقيين هم أبرار. فبالمقارنة بين ما فعله إبراهيم وبين ما يفعلونه هم يظهر أنهم ليسوا أولاد إبراهيم: «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ» (٨: ٣٩و٤٠). أي أن إبراهيم لم يكن قتَّالاً للناس، وأنتم تريدون أن تقتلوني، وإبراهيم لم يكن معانداً للحق، وأنتم تقاومونني لأنني كلَّمتكم بالحق، وإبراهيم كان مطيعاً لكلام الله، وأنتم تعصون الكلام الذي أخبرتكم أنني سمعته من الله.

وبالإجمال، فإن إبراهيم قَبِل الرسل الذين أرسلهم إليه الله واستضافهم

---

[٣٧] عن كتاب: "شرح إنجيل القديس يوحنا" ـ الجزء الأول، للأب متى المسكين، الطبعة الأولى ١٩٩٠، ص ٥٤٤.

وأطاع كلمتهم، أما أنتم فإنكم ترفضون: «الَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ» (يو ١٠: ٣٦). فالأعمال التي تعملونها أنتم لم يعملها إبراهيم. إذاً، بنوتكم لإبراهيم لا تفيدكم شيئاً.

وهنا أحس اليهود أنهم قد بلعوا الطُعم الذي ألقاه لهم وأنه تفوَّق عليهم في هذه الجولة. لذلك تركوا تمسُّكهم ببنوتهم لإبراهيم ونادوا بأنهم ليس لهم أب إلا الله: «لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ» (٨: ٤١)، مستندين إلى نبوة إشعياء النبي: «فَإِنَّكَ أَنْتَ أَبُونَا وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْنَا إِبْرَاهِيمُ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِنَا إِسْرَائِيلُ. أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا، وَلِيُّنَا مُنْذُ الأَبَدِ اسْمُكَ» (إش ٦٣: ١٦).

وهنا اعترض الرب يسوع بشدة على ادِّعائهم البنوَّة لله. فالبنوة لله أيضاً لها واجبات ومتطلبات كثيرة. وربما كان الرب يسوع أيضاً يشير إلى نبوة إشعياء النبي: «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ... وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ، نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ، (وليسوا أولاد الله)، أَوْلاَدِ مُفْسِدِينَ!» (إش ١: ٣و٤). فحسب ما يراه الرب يسوع أمامه، فأولئك ليسوا أولاد الله، بل لهم أب آخر هو إبليس: «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ» (يو ٨: ٤٤). وفي هذا الهجوم أيضاً كان الرب يسوع يشير إلى نبوة إشعياء النبي: «أَنْتُمْ أَوْلاَدُ الْمَعْصِيَةِ،

نَسْلُ الْكَذِبِ» (إش ٥٧: ٤).

لقد أراد الرب يسوع أن يؤكِّد أن مجرد الانتساب الجسدي لإبراهيم لن يُجدي نفعاً ما دام الإنسان لا يسير في إثر خطوات إبراهيم: «إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ» (مت ٨: ١١و١٢). حتى الانتساب لله إن لم يحفظ الإنسان متطلباته، فالله نفسه سينكر هذا الانتساب: «اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ! ... إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ!» (مت ٧: ٢٣). أما إذا صنع الإنسان مشيئة الله، فإنه لا يصير فقط ابناً له، بل يدعوه المسيح: «أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي» (مت ١٢: ٥٠).

اطلبوا الربَّ

*****

في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، كانت المملكة الشمالية لإسرائيل في حالة من الفوضى الاجتماعية والسياسية والدينية. وكانت مناحي الحياة الثلاثة هذه، وما زالت، مرتبطة ببعضها البعض بطريقة معقدة. فالمشاكل الاجتماعية والسياسية في أيام عاموس النبي – أي في تلك الفترة – أثرت تأثيراً مباشراً في الحياة الدينية. وكانت آمال وطموحات الأمة والمواطنين، وما يطلبونه ويبحثون عنه، السبب الرئيسي في تفاقم مشاكلهم الدينية.

وكانت الكلمات التي كتبها عاموس النبي على هذه الأمة، هي رسالة الرب لإسرائيل. فلم تكن كلمات إنسان، بل كلمات الرب القدير. الذي أعلن عن نفسه صراحة في (عاموس ٥: ٤) إنه الرب: «لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ: اطْلُبُوا (الربَّ) فَتَحْيُوا».

الكلمة العبرية التي ترجمت "الرب" هنا هي "يهوه". وهذا هو الاسم الشخصي لله. ففي سفر الخروج (٣: ١٤-١٥) عرَّف الله نفسه لموسى بهذا الاسم، عندما سأله موسى عن الاسم الذي يخبر به بني إسرائيل، قال له الله: "أهية الذي أهية"، أو "أكون الذي أكون"، أو "أنا هو الكائن

بذاتي"، أو كما قال الرب يسوع في العهد الجديد "أنا هو". وبغض النظر عن المعنى الحرفي لهذا الاسم، فهذا هو الاسم الذي استعمله بنو إسرائيل للتعريف بالإله الذي يعبدونه في مقابل الآلهة الوثنية الكثيرة التي كانت منتشرة في منطقة الشرق الأوسط قديماً. لذلك بيَّن الله لبني إسرائيل تفرده ووحدانيته في بداية الوصايا التي أمر بها شعبه، والمعروفة باسم "الشِمَاع" (من كلمة اسمع): «إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ» (تث ٦: ٤). وكلمة واحد في هذه الوصية تعني الوحدة والتفرد، والمعنى واضح، فالله واحد أي ليس هناك إله آخر غيره.

أما "طلب الرب" فهذه هي رسالة الأنبياء والكارزين على مدى العصور، فما معنى عبارة طلب الرب في أيام عاموس النبي؟

يأتي الفعل "اطلبوا" في اللغة العبرية "دَرَش darash". وهذه الكلمة تعني أكثر من مجرد الطلب. فهي تعني: يطلب بعناية وإصرار، يطلب من النبي أو الكاهن أو الرائي من أجل الحصول على قرار أو إجابة لسؤال. فمن يطلب يبحث عن حل إلهي لمشكلة ما. والطلب يستلزم عناية فائقة من الطالب. فالمعنى يتضمن الاتجاه لله في الطلب، والاستمرار في التوجه إليه وذلك كمنهج دائم للحياة. فطلب الله والبحث عنه يعني مسيرة حياة تخضع لإرادة الله، وتسير حسب توجيهاته. والشعب الذي يطلب الله، يتخلل العدل والبر كل تعاملاته، ويصبح الله هو الموجه لكل تصرفاته.

وباختصار، فإن طلب الرب هو صنع مشيئته[38].

لقد أمر الرب شعبه على فم عاموس النبي أن «اطْلُبُوا فَتَحْيُوا. وَلاَ تَطْلُبُوا بَيْتَ إِيلَ وَإِلَى الْجِلْجَالِ لاَ تَذْهَبُوا وَإِلَى بِئْرِ سَبْعٍ لاَ تَعْبُرُوا» (عا ٥: ٤-٥). فقد وُضعت بيت إيل والجلجال وبيت سبع كبديل لطلب الله. كان بيت إيل والجلجال أماكن مقدسة مشهورة في مملكة إسرائيل الشمالية. كان إبراهيم أبو الآباء هو الذي أسس بيت إيل (تك ١٢: ٨؛ ١٣: ٣-٤)، وارتبطت الجلجال بعبادة الشعب العبراني منذ أيام يشوع بن نون (يش ٤: ١٩-٢٤) وأثناء حكم القضاة (قض ٢). أما بئر سبع فتقع على الحد الجنوبي لمملكة يهوذا، على بعد حوالي ٦٤ كيلومتراً جنوب أورشليم. وقد ارتبطت هي أيضاً بإبراهيم أبي الآباء (تك ٢١: ٢٥-٣٣). وقد مثلت هذه الأماكن الثلاثة أماكن مقدسة للعبادة على مدى عدة عصور مروراً بأيام عاموس النبي.

كان عاموس النبي، المتحدث باسم الله، يأمر الشعب بالتوقف عن استشارة الكهنة والمنجمين في هذه الأماكن الثلاثة، والاتجاه لطلب الله وحده. وقراءة كلمات عاموس النبي توضح الممارسات التي كانت تجري باسم يهوه والتي كان يرفضها الله. فالنشاط الديني الذي كان يمارس في

---

38 Harris R. Laird, *Theological Wordbook of the Old Testament*, Moody Press, Chicago (1980), vol. 1, p.198

بيت إيل والجلجال اعتُبر على مستوى المعصية والتمرد على الله، بالرغم من أنه كان نشاطاً دينياً. فالشعب في محاولته لإظهار برّه الشخصي، كان يحاول أن يقدم أكثر مما هو مطلوب منه في الناموس:

«هَلُمَّ إِلَى بَيْتَ إِيلَ، وَأَذْنِبُوا إِلَى الْجِلْجَالِ، وَأَكْثِرُوا الذُّنُوبَ، وَأَحْضِرُوا كُلَّ صَبَاحٍ ذَبَائِحَكُمْ، وَكُلَّ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ عُشُورَكُمْ. وَأَوْقِدُوا مِنَ الْخَمِيرِ تَقْدِمَةَ شُكْرٍ، وَنَادُوا بِنَوَافِلَ وَسَمِّعُوا. لأَنَّكُمْ هكَذَا أَحْبَبْتُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» (عا ٤: ٤-٥).

لذلك أوضح لهم الربُّ على فم عاموس النبي رفضه لهذه الممارسات الدينية حتى ولو كانت تجري باسم الرب:

«بَغَضْتُ، كَرِهْتُ أَعْيَادَكُمْ، وَلَسْتُ أَلْتَذُّ بِاعْتِكَافَاتِكُمْ. إِنِّي إِذَا قَدَّمْتُمْ لِي مُحْرَقَاتِكُمْ وَتَقْدِمَاتِكُمْ لاَ أَرْتَضِي، وَذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ مِنْ مُسَمَّنَاتِكُمْ لاَ أَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. أَبْعِدْ عَنِّي ضَجَّةَ أَغَانِيكَ، وَنَغْمَةَ رَبَابِكَ لاَ أَسْمَعُ» (عا ٥: ٢١-٢٣).

لقد صارت عبادة الله عبادةً آلية خالية من الروح. وأصبح الاهتمام بالطقس والألحان بديلاً للعلاقة الشخصية الحية مع الله. لذلك كان صراخ النبي عاموس للشعب أن يتوقف عن مظاهر العبادة الخارجية، ويلتفت إلى عبادة الله من القلب. لقد أوضح الله مشيئته من جهة الشعب بهذه الكلمات: «وَلْيَجْرِ الْحَقُّ كَالْمِيَاهِ، وَالْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ» (عا ٥: ٢٤).

ثم يعود النبي ويوضح أكثر ما المقصود بطلب الرب، وذلك في قوله: «أُطْلُبُوا الْخَيْرَ لاَ الشَّرَّ لِتَحْيُوا» (عا ٥: ١٤). هنا يعقد النبي مقارنة، فطلب الرب يمثله طلب الخير، وطلب الشر يمثله طلب بيت إيل والجلجال وبئر سبع. فبالرغم من أن تلك الأماكن كانت في نظرهم أماكن مقدسة يقدم فيها العبادة لله، فإن الله رفض هذه العبادة، لأنها لم تكن عبادة حقيقية. لم تكن سوى عبادة شكلية، ولم يكن وجه الله هو المطلوب في العبادة، بل تتميم فرائض وطقوس خارجية باطلة.

هذه الصورة القاتمة ليست ببعيدة عنا اليوم. فالبعض يظن أن مجرد الذهاب للكنيسة، وتتميم الطقس، ودفع العشور والنذور، هو العبادة المطلوبة. في القديم نصح عاموس النبي الشعب أن يدخلوا في علاقة شخصية مع الله، لا أن يمارسوا الطقس بطريقة شكلية فقط، فالطقس في حد ذاته مطلوب، أما العبادة الحقة فلازمة. لقد وبخ الربُّ يسوعُ الكتبةَ والفريسيين الذين يعشرون النعنع والشبث والكمون، لكنهم تركوا أهم وأثقل ما في الناموس: «الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ» (مت ٢٣: ٢٣). لقد اهتموا بشدة بتنفيذ تعاليم الناموس والهيكل التي تحض على إعطاء عشر ما يقتنيه الإنسان، وهم في ذلك لم يخطئوا. بل كانت خطيئتهم أنهم نفذوا وصايا الله بطريقة شكلية دون الدخول في جوهر وصية الله: «إني إريد رحمة لا ذبيحة» (مت ٩: ١٣).

لقد كانت حياة بني إسرائيل اليومية وممارساتهم صورة حية لما يؤمنون به ويطلبونه. كانوا في حياتهم اليومية «يحولون الحق أفسنتينا» (عا ٥: ٧)، وكانوا يضايقون البار آخذين الرشوة (عا ٥: ١٢). ولم يكن العدل الاجتماعي والسياسي موجوداً في قاموس حياتهم. لذلك طالبهم النبي بالعدل الاجتماعي قائلاً: «ثَبِّتُوا الْحَقَّ فِي الْبَابِ» (عا ٥: ١٥).

ومن الغريب أن هذا الشعب البعيد عن الله، الطالب شكل العبادة دون جوهرها، كان يشتهي يوم الرب: «وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَشْتَهُونَ يَوْمَ الرَّبِّ» (عا ٥: ١٨). لقد كانوا يتوقعون أن يوم الرب سوف يأتي لهم بالعدل، وبالقضاء على أعداء إسرائيل، ولرد إسرائيل إلى مركزها المرموق بين الأمم المجاورة. وربما كانوا يظنون أن يوم الرب سوف يكون يوم عبادة للرب، يقدمون فيه عبادة نقية من قلوبهم، وبلغة اليوم كانوا يعتقدون أن يوم الرب هو الحل.

وبغض النظر عن مفهوم يوم الرب عندهم، فلقد كان للنبي عاموس وجهة نظر أخرى في يوم الرب. لقد أخبرهم أنه سيكون يوم ظلام لا نور (عا ٥: ١٨)، وقضاء الله لن يكون حسبما يتوقعون. فالنبي كان يتكلم عن دينونة الله لشعب إسرائيل. فلم يكن يوم الرب في نظر النبي يوماً مستقبلياً، بل يومٌ حاضر بينهم. ولم تكن نظرة النبي سوداوية تشاؤمية، بل كانت نظرة مفعمة بالرجاء: «اطلبوا الرب فتحيوا». وأساس طلب الرب

هو حياة التوبة والتغيير. التغيير بمعنى الاستجابة لقضاء الرب وتغيير نمط الحياة ليتوافق مع إرادة الله. ومظاهر هذا التغيير ستظهر في ترسيخ الحق في الأرض، والرحمة، والأمانة في حياة الناس. الأمور التي سيظهر تأثيرها المباشر في حياة الناس الدينية والسياسية والاجتماعية.

إن يوم الرب ليس يوماً مستقبلياً، بل هو يوم حاضر. إنه يوم نعيشه كل يوم ونحس به. ألا يأتي علينا يوم الرب في كل يوم نسمع فيه كلمته ونحس بحضرته! ألا يحل علينا يوم الرب في كل يوم نقترب من مائدته المقدسة ونتحد به. هذا هو يوم الرب، وهذا هو صراخ النبي لنا لكي نطلب الربَّ فتحيا قلوبنا، نتحد به، ونحيا معه وفيه.

آية يونان النبي

******

تمتلئ أسفار العهد القديم بالنبوءات عن الرب يسوع منذ ميلاده حتى صعوده إلى السماء، ثم مجيئه الثاني ليدين الأحياء والأموات. ولا يخلو كلام أي نبي من أنبياء بني إسرائيل من نبوَّة أو أكثر تلقي الضوء على مرحلة من مراحل حياة الرب يسوع. حتى بلعام النبي الأُممي الغريب عن شعب إسرائيل تنبَّأ عن مجيء الرب يسوع بالجسد، فقال: «أَرَاهُ وَلكِنْ لَيْسَ الآنَ. أُبْصِرُهُ وَلكِنْ لَيْسَ قَرِيباً. يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ ...» (عدد ٢٤: ١٧). وهكذا يشترك جميع الأنبياء في التنبؤ عن شخص الرب يسوع.

أما يونان النبي فقد تميَّز على كثير من الأنبياء، فهو لم يتكلَّم متنبِّئاً عن مجيء الرب فقط، بل صار هو نفسه رمزاً يشير إلى موت الرب وقيامته. هذا ما أوضحه الرب يسوع عندما طلب قوم من الكتبة والفريسيين أن يريهم آية من السماء، فرد عليهم قائلاً: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ ... لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ

نِينَوَى، كذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً لِهَذَا الْجِيلِ» (مت ١٢: ٣٩و٤٠؛ لو ١١: ٣٠).

لمحة تاريخية:

وُلِدَ يونان بن أمتاي، ومعنى اسمه حمامة، في قرية جت حافر التي تقع على حدود زبولون ونفتالي (يش ١٩: ١٣)، وهي تبعد حوالي خمسة كيلومترات إلى الشمال الشرقي من مدينة الناصرة. وتقع مكانها الآن "خربة الزورة" بالقرب من "قرية مشهد" حيث يوجد الآن "قبر النبي يونس" الذي يُعتقد أن النبي مدفون فيه، ويذكر القديس جيروم (من القرن الرابع)، أنه قام بزيارة هذا القبر[٣٩]. ولا يرد في كتاب العهد القديم أية إشارة عن هذا النبي خارج سفر يونان إلا في سفر الملوك الثاني (٢مل ١٤: ٢٥)، حيث يُذكر أنه تنبَّأ في أيام الملك يربعام بن يوآش ملك إسرائيل (٧٩٣-٧٥٣ ق.م.).

تنبَّأ يونان النبي في فترة من أصعب الفترات التي مرَّت على أُمَّتهِ. فجميع الملوك المعاصرين الذين حكموا إسرائيل كانوا أشراراً جدًّا في عيني الرب، وكان عقاب الربِّ وشيكاً أن يحلَّ بهم. وقد استخدم الله يونان النبي ليُنذر الشعب لعلَّهم يتوبون، فيعود الله ويرحمهم ويخلِّصهم من

39 Rainey A. F. Gath-Hepher, in: *Wycliffe Bible Encyclopedia,* vol. I. Moody Press Chicago (1975) p. 657.

أعدائهم. ويبدو أن تدخُّل الله ورحمته على هذا الشعب كان نتيجة كرازة النبي يونان بينهم: «لأَنَّ الرَّبَّ رَأَى ضِيقَ إِسْرَائِيلَ مُرًّا جِدًّا، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَحْجُوزٌ (عبدٌ) وَلاَ مُطْلَقٌ (حُرٌّ)، وَلَيْسَ مُعِينٌ لإِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَتَكَلَّمِ الرَّبُّ بِمَحْوِ اسْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ، فَخَلَّصَهُمْ بِيَدِ يَرُبْعَامَ بْنِ يُوآشَ» (٢مل ١٤: ٢٦و٢٧).

إن سبب الخلاص من الأعداء الذي تمَّ على يد الملك لا يرجع إلى توبة الشعب والملك، بقدر ما يعود إلى مراحم الله على شعبه. لأنه بالرغم من مناداة يونان لهم بالتوبة إلا أن الملك لم يرجع عن شرِّه ولم يقدِّم توبة للرب: «مَلَكَ يَرُبْعَامُ بْنُ يُوآشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ ... هُوَ رَدَّ تُخْمَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ، حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبْدِهِ يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ النَّبِيِّ الَّذِي مِنْ جَتَّ حَافِرَ» (٢مل ١٤: ٢٣-٢٥).

أما ملوك دولة أشور، المعاصرون لهذا الملك، والذين تاب أحدهم بمناداة يونان النبي، فهم أداد نيراري الثالث (٨١٠-٧٨٢ ق.م.)، وشلمناصر الرابع (٧٨٢-٧٧٢ ق.م.)، وأشور دان الثالث (٧٧٢-٧٥٤ ق.م.)، وأشور نيراري الخامس (٧٥٤-٧٤٦ ق.م.). وهناك بعض الشواهد التاريخية التي تثبت أنه في أيام الملك أداد نيراري الثالث حدثت ثورة دينية تبعها نوع من الإيمان بإله واحد، أو على الأقل بإله أكبر، ويربط بعض المؤرِّخين بين

هذه الثورة التوحيدية وبين مناداة يونان النبي لأهل نينوى[٤٠].

ويبدو أن أهل نينوى كانوا أشراراً جدًّا في عيني الرب، إذ تنبَّأ عليهم بالهلاك أكثر من نبي. فيقول ناحوم النبي في نبوءته: «وَيْلٌ لِمَدِينَةِ الدِّمَاءِ. كُلُّهَا مَلآنَةٌ كَذِباً وَخَطْفاً. لاَ يَزُولُ (منها) الافْتِرَاسُ ... لَيْسَ جَبْرٌ لاِنْكِسَارِكَ. جُرْحُكَ عَدِيمُ الشِّفَاءِ» (نا ٣: ١ و١٩). كما يتنبَّأ عليها صفنيا النبي قائلاً: «وَيَجْعَلُ نِينَوَى خَرَاباً يَابِسَةً كَالْقَفْرِ ... هذِهِ هِيَ الْمَدِينَةُ الْمُبْتَهِجَةُ السَّاكِنَةُ مُطْمَئِنَّةً، الْقَائِلَةُ فِي قَلْبِهَا: أَنَا وَلَيْسَ غَيْرِي» (صف ٢: ١٣ و١٥).

رسالة يونان النبي:

لكي نعرف رسالة هذا النبي، ينبغي الرجوع إلى الكتاب الذي يحمل اسمه، وهو سفر يونان النبي، لأن هذا السفر يقدِّم لنا واحداً من أهم الأسرار اللاهوتية، وهو السر الذي نادى به بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس:

+ «إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ. أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ. الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ، تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ. الَّذِي فِي

---

40 *Seventh Day Bible Commentary.* Vol. 4. p. 995-996.

أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ: **أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ**» (أف ٣: ٢-٦).

واضح أن سر المسيح هنا هو أن الله ليس لليهود فقط، بل للأمم أيضاً. لقد أراد يونان النبي أن ينقل هذه الأفكار إلى شعبه إسرائيل، وقد كان يعلم تماماً أنه من العسير عليهم قبول هذا الفكر، لأنه هو نفسه كان يرفض هذا المفهوم تماماً. لماذا؟

فكلما أخطأ شعب إسرائيل وحاد عن طريق الله، كان الله ينذرهم أنه سوف يؤدِّبهم بواسطة الأُمم. لذلك نظر بنو إسرائيل إلى الأُمم نظرة عداء شديدة وتمنوا لهم العقاب المستمر، ولم يخطر على بالهم أبداً إمكانية خلاص هذه الشعوب. وحاولوا أن يفتِّشوا في أقوال الأنبياء عن النبوءات التي تتنبأ عليهم بالخراب والدمار، وما أكثرها. أما إذا وجدوا أي تلميح في كلام الأنبياء عن إمكانية خلاص هذه الشعوب حاولوا تفسيره تفسيراً رمزيًّا غير صحيح حتى يبعدوا عن فكرهم أية إمكانية لخلاصهم[٤١].

ومن التلميحات القليلة التي تشير إلى قبول الله للأُمم، والتي ذكرها الأنبياء بصورة عرضية، قول إشعياء النبي في نبوءته عن يوحنا المعمدان:

---

41 *Pulpit Commentary.* Vol. 14. Jonah. p. II.

«صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ (أي بين الشعوب التي لم تعرف الله) سَبِيلاً لإِلهِنَا» (إش ٤٠: ٣). كما يتكلّم إشعياء أيضاً عن عودة كل الأُمم إلى حظيرة الرب: «وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتاً فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ» (إش ٢: ٢). ومن الواضح أن هذه النبوءات كانت تُشير إلى عصر مجيء المسيَّا الرب يسوع.

هكذا كانت تلميحات الأنبياء. أما يونان النبي فبدلاً من أن يقدِّم تعاليم وأقوالاً نظرية حول قبول الله لتوبة الأُمم، اضطر لأن يقص عليهم قصة تعامل الله معه هو شخصيًّا في الإرسالية التي أرسله فيها الله للأُمم ليدعوهم للتوبة. كما أوضح لهم أنه كان في البداية رافضاً لفكرة توبة الأُمم ورجوعهم إلى الله. وكيف حاول الهروب من وجه الرب حتى لا يذهب ويبشِّر الأُمم فتتوب وترجع ويصفح عنها الله. وأثناء هروبه إلى ترشيش (التي ربما تكون أحد موانئ بلاد أسبانيا الحالية)، أهاج الله عليه البحر، وكادت السفينة أن تغرق، فاضطر البحارة إلى إلقائه في اليم، حيث أعد الله له حوتاً ابتلعه وحفظه سالماً ثم لفظه على البر. فرضخ يونان لأمر الله وذهب ليكرز لأهل نينوى، الذين حالما سمعوا صوت النذير، تابوا إلى الله، مقدِّمين صوماً نقيًّا استدر مراحم الله فصفح عن إثمهم.

لقد لقَّن الله يونان درساً لن ينساه، وهو يريد الآن من إخوته اليهود أن يعوا هذا الدرس. وها هي كنيسة العهد الجديد، وقد استفادت هي أيضاً من هذا الدرس، تقنّن صوماً خاصاً على غرار صوم أهل نينوى حتى تغرس في نفوس أولادها دائماً أن الله لا يفرح فقط بتوبة ورجوع الخاطئ إليه، بل إنه أيضاً ليس إله كنيسة بعينها ولا شعب بعينه، بل هو إله الخليقة كلها «الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١تي ٢: ٤)، وأنه: «فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ» (أع ١٠: ٣٥).

وبالإضافة إلى هذا السر الذي يعلنه النبي، وهو سر قبول الله للأُمم، يؤكّد أيضاً على حياة التوبة. فهو يخبرنا عن توبة البحَّارة الوثنيين وإيمانهم بإله السماء والأرض والبحر، وفي توبتهم نذروا لله نذوراً وذبحوا ذبيحة (يون ١: ١٦). كما يقص علينا توبة أهل نينوى من كبيرهم إلى صغيرهم وعودتهم إلى الله نادمين وجالسين في المسوح والرماد (يون ٣: ٥-٩). كما يخبرنا أيضاً - ولو بإشارة خفيَّة - عن توبته هو نفسه. فإن كان النبي لم يذكر لنا صراحة أنه تاب، لكنه في كتابته لهذا السفر اعتراف صريح منه بالطريق الخطأ الذي سلكه.

وأخيراً يخبرنا عن ندم الله عن الشر الذي أراد أن يوقعه بأهل نينوى، وأن توبة هذا الشعب جعلت الله يرجع عن تهديده بفناء هذا البلد:

«فَلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ الرَّدِيئَةِ، نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ» (يون ٣: ١٠).

لقد أراد الله قديمًا أن يجد في سدوم وعمورة عشرة أتقياء فقط يردُّون غضبه ليصفح عنها، فلم يجد (تك ١٨: ٣٢). بل أكثر من ذلك أراد أن يصفح عن أورشليم إن وجد فيها باراً واحداً: «طُوفُوا فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَانْظُرُوا، وَاعْرِفُوا وَفَتِّشُوا فِي سَاحَاتِهَا، هَلْ تَجِدُونَ إِنْسَاناً أَوْ يُوجَدُ عَامِلٌ بِالْعَدْلِ طَالِبُ الْحَقِّ، فَأَصْفَحَ عَنْهَا؟» (إر ٥: ١).

أمَّا مدينة نينوى الوثنية فقد تابت ورجعت إلى لله عن بكرة أبيها، فنالت خلاصاً، واستحقت - كما شهد لها المسيح - أن تقف أمام كرسي الله لتدين المدن التي لم تتب وتقبل كلمة الله: «رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ» (مت ١٢: ٤١).

آية يونان النبي:

كيف صار يونان آيةً؟ يجيب إنجيل القديس متى قائلاً: «كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ» (مت ١٢: ٤٠). ويضيف إنجيل القديس لوقا قائلاً: «كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى، كذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً لِهذَا الْجِيلِ» (لو ١١: ٣٠).

لقد طلب الفريسيون من الرب أن يُريهم آية من السماء، متناسين كل الآيات والمعجزات التي عملها بينهم. فأظهر لهم الرب بأن هذا الجيل الشرير، الذي فاق في شرِّه أهل نينوى، يحتاج إلى نوعٍ آخر من الآيات، لأن أهل نينوى تابوا بمناداة يونان دون أن يطلبوا منه آية تُثبت صدق كلامه. لذلك رأى الربُّ يسوع أنهم في احتياج إلى الآية التي من أجلها تجسَّد ونَزَلَ إلى أرضنا، آية موته ودفنه في القبر ثلاثة أيام ثم قيامته من بين الأموات، مقيماً معه كل الذين يؤمنون به في ذلك الجيل وفي كل الأجيال: «أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أف ٢: ٦).

لقد تألَّب البحَّارةُ على يونان وألقوه في اليم، وصار له بطن الحوت بمثابة "جوف الهاوية" (يون ٢: ٢). هكذا تألَّب اليهود على الرب وصلبوه ودُفِنَ في "باطن الأرض". وكما حَفَظَ الله يونان في بطن الحوت سالماً وكان يعيش على رجاء أن ينظر هيكل الله مرَّة أخرى: «ولكني أعود أنظر إلى هيكل قُدسك» (يون ٢: ٥). هكذا قالت النبوَّة عن الرب يسوع إنه دُفِن على رجاء: «حَتَّى جَسَدِي أَيْضاً سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ. لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ تَدَعُ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَاداً» (أع ٢: ٢٦و٢٧؛ مز ١٦: ٩و١٠).

وكما خرج يونان من بطن الحوت بعد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، وذهب وكَرَزَ لأهل نينوى، هكذا قام الرب من بين الأموات في اليوم الثالث وأعلن بشرى الخلاص للخليقة كلها. والمقصود بـ"ثلاثة أيام وثلاث

ليالٍ" ليس ثلاثة أيام كاملة، لأنه في لغة الكتاب المقدَّس، وفي الأدب اليهودي القديم عامة، يُطلَق على الجزء من اليوم يوماً كاملاً (مثل ملوك الأول ٢٠: ٢٩؛ أستير ٤: ١٦، ٥: ١؛ لو ٢: ٢١).

لقد كان نزول يونان إلى بطن الحوت وخروجه سالماً آية لأهل نينوى، أعطتهم حياة بعد أن كان قد صدر حكم الموت عليهم «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً تَنْقَلِبُ نِينَوَى» (يون ٣: ٤)، هكذا صار موت الرب وقيامته سبب حياة أبدية لجميع الذين يؤمنون به، بعد أن كنا جميعاً تحت حكم الموت بسبب الحكم الذي صار على آدم ونسله: «لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ، فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضاً قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ» (١كو ١٥: ٢٢ و٢١).

رئيس المجمع

*****

بعد أن شفى الربُّ يسوع مريضَ كورة الجدريين من الأرواح الشريرة التي كانت متسلطة عليه، ركب السفينة واجتاز إلى العبر، فاستقبله جمعٌ كثيرٌ من الشعب لأنهم كانوا ينتظرونه، إذ أن نفوسهم كانت قد تعلَّقت به، خاصة بعد أن شاهدوا الآيات والعجائب التي صنعها بينهم. وهم اليوم قد أتوا ليُشفوا من أمراضهم، وليسمعوا التعاليم التي اعتاد أن يعلِّمها لهم.

وفي وسط هذا الحشد الهائل وإذا برجلٍ يجلله الحزن، قد انسلَّ في وسط الجموع وأسرع وارتمى عند قدمي يسوع. لقد كانت ابنته الوحيدة في الرمق الأخير. وبالرغم من أن اليأس كان قد تملَّكه، وفَقَدَ أيَّ أملٍ في شفائها، لكنه عندما سمع باقتراب يسوع من تلك النواحي، حثَّ الخطى لعل هذا الطبيب الشافي يستطيع أن يشفي له ابنته قبل أن يختطفها الموت منه. وفي صوت حزين قدم هذا الرجل، وكان اسمه يايرس، التماسه العاجل ليسوع (مر ٥: ٢١-٤٣).

لقد كانت لحظة تدعو إلى الأسى وتستدر الشفقة. فالرجل كان من الشخصيات الهامة التي كان لها وزن في المجتمع. فما بالنا الآن نراه راكعاً

في حضرة كل هذا الجمع الحاشد على التراب أمام يسوع، مناشداً إياه إنقاذ ابنته: «وَلَمَّا رَآهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ. وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً قَائِلاً: ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا». وكلنا يعلم بقية القصة، فقد تحنن الرب يسوع على الرجل وأقام له ابنته من الموت. ولكن ماذا نعرف عن الرجل نفسه وعن المهنة التي كان يمتهنها في المجتمع!

كان يايرس أحد رؤساء المجمع اليهودي (السيناجوج)، وكانت هذه واحدة من المهن ذات المكانة والنفوذ في المجتمع اليهودي. وبالرغم من قلة المعلومات حول هذا المنصب، فإن ما تمدنا به المصادر المسيحية واليهودية والتاريخية العامة، وخاصة النقوش المكتشفة على بعض الآثار، يكفي لكي يقنعنا بأن يايرس كان يشغل منصباً ذائع الصيت، وكان يتمتع بكرامة عظيمة واحترام زائد سواء من مواطنيه أو من رجال المجتمع عامة.

أما لقب "رئيس المجمع" فهو ترجمة للكلمة اليونانية ἀρχισυνάγωγος (أرشي سيناجوجوس)، وهذا اللقب كان مستعملاً في اللغة اليونانية القديمة ليشير إلى رئيس الاحتفالات الدينية الوثنية أو رئيس مجموعة من العمال تشكّل ما يشبه النقابة. ويحتوي الأدب اليهودي على إشارات متفرقة لهذه الوظيفة مستعملاً العبارة العبرية (روش ها ـ

كنيسيت) أي رأس الكنيسيت أو الجماعة(٤٢). وتكرِّم بعض هذه الإشارات وظيفة رئيس المجمع لارتباطها بالتوراة، لأن من يشغل هذه الوظيفة تكون إحدى مهامه الأساسية ترتيب فصول القراءات من التوراة أثناء إقامة الشعائر الدينية في المجمع[٤٣]. وهناك بعض النقوش القديمة التي تشهد أن مهنة رئيس المجمع كانت معروفة ومنتشرة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية: في فلسطين ومصر وفينيقية وسوريا وأسيا الصغرى ومقدونية وتراقيا واليونان وقبرص وإيطاليا، وأنها كانت معروفة تماماً أيام المسيح وفي عصر الكنيسة الأولى.

مهام رئيس المجمع:

تتركز مهام رئيس المجمع - بالدرجة الأولى - في نطاق الخدمات التي كانت تُجرى داخل المجمع. ولأن الهدف الأساسي من المجمع كان قراءة التوراة على الشعب وتعليم الوصايا التي نصَّت عليها الشريعة، لذلك كان العمل الرئيسي للمسئول متابعة تنفيذ هذه المهمة بكل أمانة. فكان عليه أن يتابع كل تفاصيل الخدمة في المجمع، وعليه أن يختار مَنْ يقوم بقراءة فصل التوراة المنتخب للخدمة، ومَنْ يقوم بقيادة الصلاة، وكان

---

42 W. Schrage, ἀρχισυνάγωγος, in *Theological Dictionary of the New Testament*, vol. VII, p. 845.

43 Pierson Paker, *Ruler of Synagogue*, in *Interpreter Dictionary of the Bible*. Vol. IV. p. 131.

أيضاً يدعو الشخص المناسب من بين الحضور لكي يعظ الشعب ويفسر لهم التوراة.

مهمة ثانية كانت ملقاة على عاتق رئيس المجمع، وهي الاهتمام بعمارة المجمع وتأسيسه. فهناك بعض النقوش التي تمتدح أحد رؤساء المجامع في أورشليم، وكان يُسمى ثيئودوتس، لأنه اهتم بترميم مجمعه، وآخر لأنه أنفق على إقامة أحد المجامع. وهناك نقش آخر يمتدح رئيس المجمع وابنه لأنهما اهتما بالإنفاق على ترميم المجمع بعد تعرضه لبعض الأضرار[٤٤].

ولم تكن مهام رئيس المجمع منحصرة فقط في نطاق المجمع وخدماته، بل كان أيضاً يلعب دوراً هاماً في الشئون العامة للرعية. فلأنه كان مسئولاً عن مناهج التعليم داخل المجمع، فقد مارس بالضرورة بعض السلطات في المجتمع اليهودي، لأن اليهود عامة لم يكونوا يفصلون بين الحياة الدينية والواجبات المدنية في المجتمع. فكلا المجالين كانا خاضعين لشيوخ المجتمع. وهو النظام الذي أقامه موسى النبي عندما عيَّن سبعين شيخاً تكون مهمتهم حل جميع مشاكل الجماعة. وفي بعض الأحيان يكون رئيس المجمع من جماعة الشيوخ ثم يُقام بعد ذلك

---

[44] W. Schrage, ἀρχισυνάγωγος, in *Theological Dictionary of the New Testament*, vol. VII, p. 846.

ليتولى مهام الإشراف على خدمات المجمع.

ربما لم يكن لرؤساء المجامع أي سلطات رسمية تخوِّلهم الحق للتدخل بالقوة لحل مشاكل المجتمع، ومع ذلك فقد كان يُنظر إليهم كأشخاص ذوي دراية وحنكة في شئون الحياة، فهم من أصحاب العلم والمعرفة، ومن المسئولين عن رصد أي خرق للناموس والشريعة. وقد تطور منصب رئيس المجمع بعد ذلك، حتى أصبح رئيس المجمع من المتكلمين الرسميين عن الجماعة اليهودية، وذلك حسب قوانين الإمبراطور ثيئودوسيوس في القرن الرابع الميلادي[45].

اختيار رئيس المجمع:

لا تمدنا المصادر اليهودية بقوانين محددة لاختيار رؤساء المجامع. بيد أنَّ هناك بعض النقوش التي تُظهر أن منصب رؤساء المجامع كان سارياً في بعض العائلات. فثيئودوتس الذي سبق ذكره كان ابناً وحفيداً لرئيسيْ مجمع. كما أن هناك شاهداً على أحد المقابر لطفل عمره ثلاث سنوات كان يحمل هذا اللقب، مما يثبت أن أطفال هذه العائلة كان من المتوقع أن يشغلوا هذا المنصب، مما جعل بعض الدارسين يعتقدون أن هذا المنصب كان وراثياً على الأقل في هذه العائلة. وهناك نقش آخر يتكلم عن تعيين

---

[45] Claudia J. Setzer, Rulers of the Synagogue, in: The Anchor Bible Dictionary, vol. 5, p. 842.

واختيار أحد الرؤساء[٤٦].

أما عن المدة التي كان يقضيها رئيس المجمع في منصبه فلم تكن محددة. فهناك ما يثبت أن البعض قد شغل هذا المنصب مدى الحياة، وآخرين لسنوات محدودة (سنة واحدة أو خمس سنوات)، وهذا معناه أن مدة الرئاسة كانت تخضع لظروف وعادات كل مجتمع.

وكان اختيار رؤساء المجامع يتم عادة من بين الرجال، ولم يكن للنساء حظٌّ في هذه الوظيفة، على الأقل في المجامع الكائنة داخل فلسطين. أما خارج فلسطين فيبدو أن هذه القاعدة لم تكن مرعية بكل صرامة. فهناك نقشٌ أثري من جزيرة كريت يخلد ذكرى المدعوة "صوفيا من جورتن" التي شغلت وظيفة "شيخ (برسفيتيرا) ورئيسة مجمع بلدة كيزاموس". ولا ننسى أنه فيما مضى شغلت النساء منصب "نبية وقاضية" في إسرائيل (قض ٤: ٤). ولكن يبدو أن هذا اللقب كان شرفياً أكثر من كونه لقباً رسمياً إذ أنه تم العثور أيضاً على بعض النقوش التي تحمل لقب "أم المجمع"[٤٧].

---

46 Claudia J. Setzer, Rulers of the Synagogue, in: The Anchor Bible Dictionary, vol. 5, p. 841.

47 E. Schürer, *The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ,* vol. II p. 436.

رئيس المجمع في العهد الجديد:

يأتي ذكر رؤساء المجامع في العهد الجديد في خمسة مواقف: اثنان منها في الأناجيل، والباقي أثناء خدمة القديس بولس الكرازية.

كان الموقف الأول في كفرناحوم عندما طلب يايرس رئيس المجمع من الرب يسوع أن يشفي له ابنته، كما سبق وذكرنا. والثاني تم في إحدى مدن اليهودية، فبينما كان يسوع يعلِّم في أحد المجامع في يوم سبت، نظر وإذا امرأة منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة. فتحنن عليها يسوع وأبرأها من مرضها دون أن تطلب هي منه ذلك. فاحتج رئيس المجمع واغتاظ من الرب يسوع لأنه أبرأ في يوم سبت. لقد غلَّف رئيس المجمع احتجاجه بصورة الغيرة على الناموس والتصدي لأي محاولة يُشتمّ منها خرق الشريعة أو انتهاك حُرمتها. فوبخه الرب يسوع وبيَّن له أن الشريعة التي لا تمنع الإنسان من أن يحل ثوره أو حماره يوم السبت ويمضي به ويسقيه، لا يمكن أن تعترض على شفاء امرأة قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة، وكان ينبغي أن تُحل من رباطها في يوم السبت، وإذ قال هذا أُخجل جميع الذين كانوا يعاندونه، وفرح الجمع كله بجميع الأعمال المجيدة الكائنة من يسوع (لو ١٣: ١٠-١٧).

حادثة أخرى تُظهر إحدى مهام رئيس المجمع، إذ بينما كان الرسولان بولس وبرنابا في أنطاكية بيسيدية، دخلا المجمع يوم السبت وجلسا.

وبعد قراءة بعض فصول من الناموس والأنبياء، طلب منهما رؤساء المجمع أن يقولا كلمة وعظ للشعب. وأتت دعوة رؤساء المجمع لبولس بثمارها المرجوة، إذ بعد أن أنهى بولس كلمته: «تَبِعَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالدُّخَلاَءِ الْمُتَعَبِّدِينَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا، اللَّذَيْنِ كَانَا يُكَلِّمَانِهِمْ وَيُقْنِعَانِهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا فِي نِعْمَةِ اللهِ» (أع ١٣: ١٥و٤٣).

وبالرغم من أن هذه الحادثة لا تذكر لنا هل آمن رؤساء المجمع على يدي بولس أم لا، نجد أن الموقف في كورنثوس كان أكثر وضوحاً، إذ أن بولس قد ربح للمسيح اثنين على الأقل من رؤساء المجمع. فبعد أن أخذ بولس يتناقش مع اليهود كل سبت في المجمع، وهم يقاومونه ويجدفون على تعاليمه، آمن كريسبس رئيس المجمع هو وجميع بيته «وَكَثِيرُونَ مِنْ الْكُورِنْثِيِّينَ إِذْ سَمِعُوا آمَنُوا وَاعْتَمَدُوا» (أع ١٨: ٨). والعجيب أن كريسبس هذا كان من الأشخاص القليلين الذين عمَّدهم بولس الرسول بيديه: «أَشْكُرُ اللهَ أَنِّي لَمْ أُعَمِّدْ أَحَداً مِنْكُمْ إِلاَّ كِرِيسْبُسَ وَغَايُسَ ... وَعَمَّدْتُ أَيْضاً بَيْتَ اسْتِفَانُوسَ. عَدَا ذلِكَ لَسْتُ أَعْلَمُ هَلْ عَمَّدْتُ أَحَداً آخَرَ» (١كو ١: ١٤و١٦).

أما رئيس المجمع الثاني الذي آمن على يدي بولس الرسول في كورنثوس فهو سوستانيس. فبعد أن آمن كريسبس رئيس المجمع وكثير من اليهود، ظهر الربُّ لبولس في رؤيا وقال له: «لاَ تَخَفْ، بَلْ تَكَلَّمْ وَلاَ

تَسْكُتْ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ، لأَنَّ لِي شَعْباً كَثِيراً فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ فَأَقَامَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ يُعَلِّمُ بَيْنَهُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ» (أع ١٨: ٩-١١). لم يحتمل اليهود كرازة بولس الرسول بينهم، فقاموا عليه وجروه أمام غاليون والي أخائية، ولما رفض غاليون أن يستمع لشكواهم، قاموا على سوستانيس رئيس المجمع وضربوه قدام كرسي الوالي (أع ١٨: ١٢-١٧). ويبدو أن سبب اعتدائهم عليه، أنهم أحسوا بتعاطفه مع بولس وأنه كان يميل إلى تعاليمه. وبعد مرور الأيام يكتب بولس رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ويفتتحها بهذه الآية: «بُولُسُ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَسُوسْتَانِيسُ الأَخُ، إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ». لقد كان سوستانيس رئيس مجمع كورنثوس إحدى ثمار خدمة بولس الرسول في تلك المدينة.

تجلِّي المسيح وتجلِّي التلاميذ

*****

بينما كان الرب يسوع بصحبة تلاميذه في نواحي مدينة قيصرية فيلبس، وهي مدينة بانياس الحديثة الواقعة عند سفح جبل حرمون، سأل تلاميذه: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟». وبعد أن أجابوه بما يفيد حيرة الشعب وباختلاف آرائهم، سألهم هم مباشرة: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» وهنا اعترف التلاميذ على لسان بطرس الرسول: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» (مت ١٦: ١٦).

بعد ذلك أعلمهم أن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وأن بعضاً منهم لن يذوقوا الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته. وكان بعد هذا الحديث بستة أيام أن اصطحب معه تلاميذه الثلاثة المقرَّبين: بطرس ويعقوب ويوحنا، وصعد بهم إلى جبلٍ عالٍ منفردين، وهناك تغيَّرت هيئته قدَّامهم، وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور. ثم ظهر لهم موسى وإيليا وكانا يتكلَّمان مع الرب. أما التلاميذ فلم يستطيعوا أن يحتملوا هذا المنظر وسقطوا على وجوههم خائفين (مت ١٧: ١-٨).

وقد عبَّر الإنجيليون عن مفهوم التجلِّي بالفعل اليوناني

μεταμορφόομαι (ميتامورفوأوماي). وهذه الكلمة تتكوَّن من مقطعين: المقطع الأول -μετα (ميتا)، وهو يحمل معنى التحوُّل أو التغيُّر أو التبدُّل. والمقطع الثاني مشتق من كلمة μορφή (مورفي)، ومعناه "الصورة أو الشكل أو الهيئة الخارجية التي تعبِّر عن، وتنبع من الطبيعة الداخلية". من ثمَّ يكون معنى هذا الفعل: "يتغيَّر في صورته الخارجية، حيث تصير هيئته الخارجية نابعة من طبيعته الداخلية، وتمثِّلها تماماً"[٤٨]. لذلك تُرجمت هذه الكلمة في العربية إلى "تغيَّرت هيئته".

لقد كان الرب يسوع في حياته على الأرض في صورة العبد، الذي ليس له صورة ولا منظر فنشتهيه، ومُحتقر ومخذول من الشعب. فقد جاء ليس لكي يُخدَم بل لكي يَخدم، ولكي يبذل نفسه فدية عن كثيرين (مر ١٠: ٤٥). لكن هنا على جبل التجلِّي حدث تغيُّر في هيئته أو شكله الخارجي، فقد ظهر في صورة مجد لاهوته. وهذا هو ما يحمله معنى الفعل اليوناني، فقد تغيَّرت صورة الرب الخارجية، وهي صورة العبد التي اتخذها لنفسه، وأصبحت صورته الخارجية تعبِّر تمامًا عن حقيقته الداخلية أي تعبِّر عن مجد اللاهوت الذي ظهر في الجسد.

ولكي نفهم أكثر مفهوم التغيير الذي حدث، نقارن هذا الفعل اليوناني

[48] K. S. Wuest, *Studies in the Vocabulary of the Greek New Testament,* p. 49-53.

الذي يعبِّر عن التغيير، بفعل آخر تُرجِم أيضاً إلى "يتغيَّر".

ففي الرسالة الثانية لأهل كورنثوس (١١: ١٣-١٥) يقول القديس بولس: «لأن مثل هؤلاء هم رسلٌ كذبةٌ، فعلةٌ ماكرون، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ولا عجب. لأن الشيطان نفسه يغير شكله (μετασχηματίζω ميتاسخيماتيزو) إلى شبه ملاك نور!».

الفعل اليوناني الذي ورد في هذه الآية يتكوَّن أيضاً من مقطعين: الأول -μετα وهو نفس المقطع في الكلمة الأولى والذي يحمل معنى التغيير أو التحوُّل. أما المقطع الثاني فهو مشتق من كلمة σχῆμα (سخيما)، وهي تحمل أيضاً معنى الشكل أو الهيئة. ولكن معنى الفعل هنا يضاد تماماً معنى الفعل السابق؛ فهذا الفعل يمكن ترجمته إلى: "يُغيِّر هيئته أو صورته الخارجية بأن يتخذ لنفسه شكلاً أو صورة خارجية لا تنبع من، ولا تعبِّر عن، طبيعته الداخلية"[٤٩].

ويمكن ترجمة هذا الفعل في كلمة واحدة وهي: "يتنكَّر"، أي يلبس وجهاً أو قناعاً تنكرياً يخفي به هيئته. فطبيعة الشيطان مظلمة، وعندما يظهر في شبه ملاك نور، فإن منظره الخارجي فقط هو الذي يتغيَّر، وتبقى طبيعته مظلمةً كما هي دون أي تغيير. هكذا أيضاً خدَّامه فهم يغيِّرون

---

[٤٩] استعمل القديس بولس هذا الفعل بالمعنى الإيجابي مرة واحدة في رسالته لأهل فيلبي (٣: ٢١): الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ.

شكلهم الخارجي ليصيروا على هيئة رسل المسيح، وهم في طبيعتهم الداخلية كما هم، فعلة ماكرون، وذلك لكي يخدعوا قلوب البسطاء. فالفعل الأول يعبِّر عن التغيير الداخلي، والفعل الثاني يعبِّر عن التغيير الخارجي[50].

إن تجلِّي الرب يسوع على جبل التجلِّي وظهوره في صورة مجده، يمكن أن يُفهم من التسبحة التي أوردها القديس بولس في رسالته لأهل فيلبي، والتي يشرح فيها كيف أن الرب يسوع الذي هو في صورة الله، اتخذ لنفسه صورة العبد، حتى يفدي ذلك العبد. ونتيجة لطاعته المطلقة لله، رفَّعه الله وأعاده إلى صورة مجده:

«فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ ... وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (في ٢: ٥-١١).

---

50 W. E. Vine, *Vine's Complete Expository Dictionary of Old and New Testament Words*, Thomas Nelson Pubishers (1985), p. 639.

تجلّي القديسين:

يتكلَّم القديس بطرس الرسول عن تجلِّي الرب يسوع على الجبل، وظهوره في صورة مجده الحقيقي، ويصف هذا المجد بالعظمة: «إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْداً، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ، وَنَحْنُ سَمِعْنَا هذَا الصَّوْتَ مُقْبِلاً مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ» (٢بط١: ١٦-١٨).

أمَّا القديس بولس الرسول فإنه يوصي جميع المؤمنين أن يتغيَّروا، أي أن يصيروا في حالة تجلٍّ كما حدث للرب يسوع. ففي رسالته إلى أهل رومية (١٢: ٢) يطلب إلى المؤمنين قائلاً: «وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ».

في هذه الآية يستعمل القديس بولس الفعلين السابق الحديث عنهما. فالفعل الأول: "لا تشاكلوا" هو نفس الفعل الذي ورد في (٢كو ١١: ١٥) عن الشيطان الذي يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور. هنا يستحث القديس بولس المؤمنين أن لا يُشاكلوا هذا الدهر، أي أن لا يكونوا على شاكلته. بمعنى أن لا يتغيَّروا عن شكلهم الخارجي بصورة لا تنم ولا تنبع من

طبيعتهم الداخلية. فهو ينهاهم عن التنكُّر في صورة خارجية تماثل أبناء هذا الدهر، ولكنها لا تعبِّر عن «الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ» (أف ٤: ٢٤)[٥١].

وفي باقي الآية يأمرهم أن يتغيَّروا عن شكلهم، وهو هنا يستعمل نفس الفعل الذي ورد في حادثة التجلِّي. أي أنه يأمر المؤمنين أن يصيروا في حالة تجلٍّ، أو أن يظهروا بمظهرهم الخارجي الذي يعبِّر عن الطبيعة الجديدة الحقيقية التي يعيشونها، هذا المظهر الذي يُظهر صورة المسيح المنطبعة على قلوبهم: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (١كو ١٤: ٢٥).

إن وصية بولس الرسول للقديسين بأن يتغيَّروا عن شكلهم، أي أن يتجلّوا، تسندها حقيقة هامة، وهي أنه في القيامة العتيدة سيحدث تجلٍّ للقديسين، وسيصير منظرهم الخارجي معبِّراً عن طبيعتهم الجديدة التي سينالونها، وذلك عندما تتغيَّر أجسادهم لتصبح على صورة جسد مجده.

ففي (٢كو ٣: ١٨) يقول بولس الرسول: «وَنَحْنُ جَمِيعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ». وهنا يستعمل القديس بولس نفس الفعل

---

[51] K. S. Wuest, *Golden Nuggets From the Greek New Testament.* p. 26-28.

الذي يعبِّر عن التجلِّي، ولكن التجلِّي هنا سيكون في صورته الكاملة عندما تنطبع صورة الله على وجوهنا، فيحدث تغيير أو تجلٍّ لطبيعتنا، ولكن في حركة ديناميكية مستمرة لا تنقطع: «مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ» بقوة عمل الرب الروح في داخلنا.

أوصنَّا لابن داود

*****

من أبرز الآيات التي اقتُبست منها كلمة "أوصنَّا" اليونانية، ما ورد في العهد القديم في مزمور (١١٨: ٢٥) عندما أتت لتعبِّر عن صلاة توسُّل إلى الله من أجل طلب المعونة والخلاص: «آهِ يَا رَبُّ خَلِّصْ! (يهوه هوشيعا نا)، آهِ يَا رَبُّ أَنْقِذْ!». كما أن هناك تعبيرات مشابهة مثل: "يهوه هوشيعا" وردت أيضاً في المزامير عدة مرات لتحمل نفس معنى طلب العون من الله:

+ «خَلِّصْ يَا رَبُّ (هوشيعا يهوه). لأَنَّهُ قَدِ انْقَرَضَ التَّقِيُّ، لأَنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الأُمَنَاءُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ» (مز ١٢: ١).
+ «يَا رَبُّ خَلِّصْ (يهوه هوشيعا)! لِيَسْتَجِبْ لَنَا الْمَلِكُ فِي يَوْمِ دُعَائِنَا!» (٢٠: ٩).
+ «خَلِّصْ شَعْبَكَ، وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ، وَارْعَهُمْ وَاحْمِلْهُمْ إِلَى الأَبَدِ» (٢٨: ٩).
+ «لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ. خَلِّصْ بِيَمِينِكَ وَاسْتَجِبْ لِي!» (٦٠: ٥، وقد تكررت في مز ١٠٨: ٦).

وكلمة "أوصنَّا" اليونانية يقابلها كلمة في اللغة العبرية تتركب من مقطعين: الأول "هوشيعا"، ويعني "خلِّص أو انقذ أو أعِنْ"؛ والثاني "نا"،

وهو حرف يدل على شدة الاحتياج. أما استعمال الكلمة الأصلي ـ كما ورد في أفواه الذين استقبلوا المسيح عند دخوله أورشليم ـ فإنه يمكن ترجمته: "خلِّصنا الآن، يا ربُّ". ولكي نعرف أصل هذا النداء يمكننا العودة إلى طقوس بعض الاحتفالات اليهودية القديمة التي كان يتردد فيها هذا الهتاف.

كانت المزامير ١١٣ـ١١٨ تكوِّن مجموعة من المزامير يُطلَق عليها مزامير الهلِّيل، إذ أنها كانت تُرتَّل في عيد المظال وعيد الفصح، وكان على الجماعة أن تردَّ في نهاية عدة آيات أو في نهاية كل مزمور بكلمة "هلليلويا". وكانت تُرتَّل مزامير الهلِّيل بطريقة إيقاعية رتيبة جملة جملة كما يحدث اليوم في المجامع اليهودية، وكما هو متَّبع أيضاً في صلوات التسبحة في الكنائس الآن.

وفي الأيام السبعة المخصصة للاحتفال بعيد المظال، يأخذ الكهنة أغصاناً من الشجر في أيديهم ويخرجون في موكب مهيب وهم يدورون حول مذبح المحرقة صارخين مراراً: «آهِ يَا رَبُّ خَلِّصْنا! (هوشيعا نا)، آهِ خَلِّصْنا (وهوشيعا نا)!». وكان هذا الموكب يتكرر سبع مرات في اليوم السابع من العيد، وكان هتاف الشعب المتكرر يعبِّر عن الصراخ إلى الله طلباً لسقوط الأمطار. وقد أُطلِق على مجموعة الصلوات التي كانت تُتلى في موكب أو دورة عيد المظال اسم "هوشيعنات"، واليوم السابع من العيد

كان يسمَّى "يوم هوشعنا"[٥٢].

أما عادة التلويح بأغصان الشجر وفروع النخيل فترجع إلى تفسير خاص للآية: «لِيَجْذَلِ (ليفرح) الْحَقْلُ وَكُلُّ مَا فِيهِ، لِتَتَرَنَّمْ حِينَئِذٍ كُلُّ أَشْجَارِ الْوَعْرِ» (مز ٩٦: ١٢). وقد ربط أحد الربِّيين القدامى بين تحريك الأغصان بابتهاج، وبين فرحة الشعب بحصوله على التبرير أمام الله القاضي العادل. فقد كان من المعتقد أنه عندما ينزل الله لخلاص شعبه مانحاً إيَّاه الغفران والفداء، فإن الخليقة كلها سوف تشارِك في الاحتفال به، فَرِحةً بهذا الخلاص. كما أن المطر الذي يتوسَّل الشعب من أجل نزوله من عند الله سوف يبارِك شعب إسرائيل ومعه كل الخليقة.

وفي الفترة الواقعة بين العهد القديم والعهد الجديد - والتي تُسمَّى فترة ما بين العهدين - ارتبط عيد المظال بعيد التجديد الذي كان يُحتفل به في شهر الربيع احتفالاً بانتصار يهوذا المكابي في ثورته ضد أنطيوخس الرابع. ففي عام ١٦٣ ق.م، قاد يهوذا المكابي اليهودَ في تمرُّد ضد الملك السلوقي أنطيوخس الرابع، الذي قدَّم خنزيراً كذبيحة للأوثان في هيكل أورشليم، مما أثار عليه اليهود، فقاموا بثورتهم التي نجحت واستطاعوا فيها تطهير الهيكل واحتفلوا بعيد المظال. وقد منحت هذه الثورة الشعب اليهودي

---

[52] Eduard Lohse *ὡσαννά*, in: *Theological Dictionary of the New Testament*, WM. B. Eerdmans Publishing Company (1988) Vol. IX, p. 682.

فترة من الحرية السياسية والدينية، وصار يُحتفل بذكرى هذه الثورة سنوياً فيما عُرف باسم الحانوكاه أو عيد التجديد.

ومع الاحتفال السنوي بعيد التجديد، صارت كلمة أوصنَّا (هوشيعنا) هتافاً متميزاً في هذا العيد يتذكَّر بها الشعب الخلاصَ الذي قدَّمه الله لهم. وأصبحت أمنية الشعب أن يُرسل له الله مخلِّصاً - مثل يهوذا المكابي - ليمنحهم على يديه الحرية السياسية، ويقوم بتنقية العبادة من الشوائب التي لحقت بها.

أما في أيام الرب يسوع، فقد ارتبطت كلمة أوصنَّا ارتباطاً شديداً بفكرة ظهور المسيَّا، الذي سيمنح الأمة الحرية السياسية، وسيجدِّد الحرية الدينية التي نالها الشعب على يديْ يهوذا المكابي.

ومن الملاحَظ أن هتاف الشعب "أوصنَّا" للرب يسوع أثناء دخوله أورشليم سبق مباشرة تطهيره للهيكل وطرده باعة الحمام والصيارف منه. فعندما صرخ الشعب مترنِّماً بآية المزمور (١١٨: ٢٥): «أُوصَنَّا لاِبْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!» (مت ٢١: ٩)، دخل الرب يسوع إلى الهيكل وطهَّره وأعاد إليه هيبته ووقاره كمكان يصلح للعبادة لله. وكان من المعروف عند عامة الشعب وعند رجال الدين أن المزمور ١١٨ يمثِّل نبوَّة مباشرة تخص مجيء المسيَّا. لذلك كان لهتاف الشعب

صدىً مسيانيٌّ وتطلُّع لظهور المسيح - يشوع الجديد - الذي على يديه يتحقق الخلاص للأمة، والذي سيطهِّر عبادتهم وحياتهم السياسية، بل وقلوبهم أيضاً مما علقت بها من شوائب، وما أصابها من نقائص.

وبالطبع لم يكن الشعب يعرف أن الداخل أمامهم أورشليم هو المسيَّا حقاً الذي طالما انتظروا مجيئه، وتوقَّعوا ظهوره ليتحقق على يديه آمال وتوقُّعات الشعب. فلم تكن شخصية المسيح بصفته المسيَّا واضحة في أذهان الشعب أو حتى في أذهان كثير من التلاميذ، حتى إن أحدهم باعه، والآخر أنكره، والشعب كله صرخ: اصْلِبْهُ اصْلِبْهُ.

"أوصنَّا" في إنجيل القديس متى:

إذا عدنا لهتاف الشعب كما أورده القديس متى، نجد أن عبارة "لابن داود" تأتي مباشرة بعد كلمة "أوصنَّا": «أوصنَّا لابن داود»؛ مما جعلها تحمل بعض الغموض في المعنى. فإن كانت "أوصنَّا" تعني "خلِّص الآن"، فما معنى "خلِّص الآن لابن داود"؟ من المرجَّح جداً أن يكون الشعب قد ردد هذا الهتاف باللغة العبرية كنوع من الغيرة القومية، لأن اللغة العبرية كانت هي لغتهم القومية، ولغة العبادة في الهيكل. حينئذ يكون الشعب قد استعمل الحرف "لامد" العبري (وهو مثل الحرف "لام" في اللغة العربية) قبل كلمة "ابن داود"، إذ أن هذا الحرف يعطي معنى "لـ" أو "إلى". وقد أثبت بعض علماء اللغة أن هذا الحرف يمكن استعماله

أيضاً كحرف نداء "يا"، فيكون ترجمة الهتاف "أوصنَّا (خلِّصنا) يا ابن داود"، وهذا يعني أن الشعب كان قد قَبِلَ يسوع كقائد أو مسيًا سياسي، أتى ليخلِّصهم من الحكم الروماني[٥٣].

ومع ذلك ما زال النص اليوناني يحتاج إلى تفسير، فعبارة "لابن داود" اليونانية لا تحمل معنى "يا ابن داود". فلماذا أصرَّ القديس متى على ترجمة الهتاف العبري إلى هذه الصيغة اليونانية. واضح أن القديس متى كان يشير إلى الخلاص الذي أتمه المسيح على الصليب. فارتباط هتاف أوصنَّا قديماً مع النصر الذي حققه يهوذا المكابي، والاحتفال بعيد التجديد، ومع الآية: «مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ» (مز ١١٨: ٢٦) أعطى لتعبير "أوصنَّا" معنىً جديداً ، وقد أراد القديس متى إبراز هذا المعنى. وقد تجلَّى هذا المعنى بأكثر وضوح بعد صلب الرب يسوع وموته وقيامته من بين الأموات، إذ صارت كلمة "أوصنَّا" تعبِّر أساساً عن هتاف الفرحة بالخلاص الذي حققه الرب يسوع، أكثر منها هتافاً لطلب المعونة. وهنا يكون معنى عبارة القديس متى: "المجد لِمَنْ أعطانا الخلاص، المجد لابن داود"[٥٤].

---

[53] Marvin H. P. *"Hosanna, what it Really Means"*, Bib. Review 4:2.

[٥٤] أَخَذْتُ بهذا المعنى الترجمة الحديثة للكتاب المقدس، وأوردت الآية هكذا: «المجد لابن داود، تبارك الآتي باسم الرب، المجد في العُلى» (مت ٢١:٩).

فعند القديس متى تحمل كلمة "أوصنَّا" معنى أن كل التوقُّعات والآمال المسيَّانية قد تحققت في يسوع. وقارئ إنجيل القديس متى باللغة اليونانية سيفهم مباشرة معنى كلمة "أوصنَّا" دون الحاجة إلى الرجوع لمعناها التاريخي العبري، لأنه يشارك القديس متى فرحة الخلاص الذي حقَّقه الرب يسوع؛ إذ أنه يقرأ الإنجيل بعد قيامة الرب من بين الأموات، وهو قد قَبِلَ المسيح كفادٍ ومخلِّص من الخطايا، وليس كقائد ومخلِّص سياسي.

بالطبع لم يكن هذا المفهوم التسبيحي هو نفس المفهوم الذي صرخ به الشعب عند ملاقاته الرب يسوع. ولكن، كما هو متَّبع في كثير من مفاهيم العهد القديم، فقد أوضح الرب يسوع المعنى الحقيقي وراء هتاف الشعب. فبالرغم من أن أغلبية الشعب الذي رأى يسوع وسمع تعليمه وعاين معجزاته، لم يفهم المعنى الحقيقي لمجيئه، فإن الرب يسوع قد حقَّق وأكمل احتياج الشعب للخلاص بالطريقة التي أرادها هو، والتي لم يفهمها الشعب إلا بعد قيامة الرب من بين الأموات. وبعد حلول الروح القدس بدأ يزداد وعي الشعب بالخلاص الذي حققه لهم الرب يسوع؛ وأنه كان خلاصاً من الخطيئة، وتحرُّراً من سلطان إبليس، وقوةً منحها لهم الرب لكي يحيوا في حرية البنين كأولاد لله ومن أهل بيته.

"أوصنَّا" في الليتورجية والتقليد الكنسي[٥٥]:

دخل التعبير "أوصنَّا" مبكِّراً جداً في صلوات الكنيسة. وكان المعنى التسبيحي هو الذي دخل الكنيسة المسيحية، وليس المعنى التوسلي. فقد ورد في كتاب الديداخي ـ الذي ينقل لنا الصلوات الليتورجية كما مارستها الكنيسة الأولى ـ أنه في بداية الاحتفال بصلوات عشاء الرب تَرِد هذه الفقرة:

[لتأتِ النعمة، وليمضِ هذا العالم، أوصنَّا لإله داود. مَنْ هو مقدَّس فليتقدم، ومَنْ هو ليس كذلك فليتب. ماران آثا. آمين] (الديداخي ٦:٢).

وواضح أن هذه الفقرة غير مستقاة من الأناجيل، لكنها انتقلت بالتقليد الليتورجي الذي مارسه التلاميذ ولقَّنوه للكنائس الأولى.

كما دخلت نفس الكلمة في مردات القداس الغريغوري:

قدوس، قدوس، قدوس، رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدس. هوشعنا في الأعالي، مبارك الذي أتى ويأتي باسم الرب. هوشعنا في الأعالي[٥٦].

---

[55] Eduard Lohse *ὡσαννά*, in: *Theological Dictionary of the New Testament*, p. 684.

[٥٦] كتاب الخولاجي المقدس (١٩٠٢) ص ٤٧٩-٤٨٠.

كما أن كلمة "أوصنَّا" صار لها معنى اسخاتولوجي (أُخروي) في الكنيسة، وصار لها ارتباط واضح بتعبير "ماران آثا" الذي يعبِّر عن قرب مجيء الرب. فبالإضافة إلى فقرة الديداخي السابقة التي تُورِد التعبيرين معاً، يحتفظ لنا تاريخ الكنيسة للأسقف يوسابيوس القيصري بقصة استشهاد القديس يعقوب البار أخي الرب التي يظهر فيها ارتباط "أوصنَّا" بقرب مجيء الرب. فعندما أوقف اليهود الرسول يعقوب على جناح الهيكل، وقبل استشهاده مباشرة:

[أجاب بصوت مرتفع: لماذا تسألونني عن يسوع ابن الإنسان؟ إنه هو نفسه يجلس في السماء عن يمين القوة، وسوف يأتي على سحاب السماء. ولما اقتنع الكثيرون اقتناعاً كليًّا وافتخروا بشهادة يعقوب، قالوا: "أوصنَّا لابن داود"] (تاريخ الكنيسة ٢:٢٣: ١٠ـ١٥).

ويبدو أن المعنى الأصلي العبري لهتاف "أوصنَّا" اختفى مع مرور الوقت، وخاصة في الكنائس التي كانت تتكلَّم اللغة اليونانية. ففي كتاب "المربِّي" يشرح القديس كليمندس الإسكندري معنى تعبير "أوصنَّا" هكذا:

[نور ومجد وتسبيح مع تضرُّع للرب، هذا هو معنى تعبير

"أوصنا"] [57].

وكما كان في الكنيسة الأولى، فمن الممكن استعمال كلمة "أوصنَّا" في العبادة الآن بكلا المعنيين: كصلاة لطلب المعونة من الله، وكتسبيح لله الذي صار لنا خلاصاً. لقد أكمل لنا المسيح الخلاص بموته الكفَّاري على الصليب وبقيامته من بين الأموات. وهو الآن جالس عن يمين الآب ليشفع في المؤمنين به مقدِّماً الضمان لتبريرنا أمام الله: «مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ. مَنْ هو الذي يدين؟! الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً، الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا» (رو ٨:٣٣و٣٤).

إن فرحة البشرية تتجلَّى في إيمانها أن المسيح نفسه هو الذي يشفع فيها أمام الله، وكأنه يقول للآب: "أوصنَّا (خلِّص الآن) من أجل كل أولادي، أي المؤمنين باسمي". ويمكننا أيضاً القول إن الروح القدس أيضاً يقدِّم شفاعة تحمل معنى "أوصنَّا" للآب من أجلنا، لأن «الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا» (رو ٨: ٢٦).

إن صراخ "أوصنَّا" الذي استقبل به الشعب المسيح عند دخوله أورشليم كهتاف لطلب المعونة - وإن كان في ذلك الوقت على المستويين

---

[57] *Paedag.* I.5,12,5.

الجسدي والسياسي - صار هتاف الكنيسة الآن حتى يتمم الله خلاصنا، كما صار تسبيحاً وشكراً لِمَنْ صار لنا خلاصاً بموته من أجلنا: "لك القوة والمجد والبركة والعزَّة إلى الأبد، آمين. يا ربي يسوع المسيح مخلِّصي الصالح. قوتي وتسبحتي هو الرب، وصار لي خلاصاً مقدَّساً" (تسبحة الكنيسة في ليلة ويوم الجمعة العظيمة).

أَعْطُوا ما لقيصر لقيصر
وما لله لله

*****

في يوم الأحد المعروف بأحد الشعانين، دخل الربُّ يسوع أورشليم، وطرد الباعة من الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. أغضب هذا التصرف الكتبة والفرِّيسيين ورؤساء الشعب، فتقدَّموا إليه قائلين: «بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ؟» (مت ٢١: ٢٣)؟ فأجاب يسوع على سؤالهم هذا بسؤال آخر عن معمودية يوحنا، هل كانت من السماء أم من الناس؟ فلما امتنعوا عن الإجابة، بدأ توبيخهم ببعض الأمثال مِثل مَثَل الابنين (مت ٢١: ٢٨-٣٢)، ومَثَل الكرَّامين الذي قتلوا المُرسَلِين إليهم ثم قتلوا الابن الوريث (مت ٢١: ٣٣-٤٤)، ومَثَل عُرس ابن الملك (مت ٢٢: ١-١٣).

فانسحب الفرِّيسيون من الساحة وبدأوا في التشاور فيما بينهم كيف يصطادونه بكلمة. وأرسلوا إليه جواسيس «يَتَرَاءَوْنَ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ لِكَيْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ، حَتَّى يُسَلِّمُوهُ إِلَى حُكْمِ الْوَالِي وَسُلْطَانِهِ» (لو ٢٠: ٢). وابتدروه بمقدمة طويلة تحوي بعض عبارات المديح، ثم ألقوا عليه سؤالهم: «يا معلِّمُ، نَعْلَمُ أنك صَادِقٌ وَلاَ تُبَالِي بِأَحدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى

وُجُوهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ. أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ نُعْطِي أَمْ لاَ نُعْطِي؟» (مر ١٢: ١٤).

واضح أن السؤال كان مباشراً، ومن ثم يحتاج إلى إجابة مباشرة. ولكن لماذا كل هذه المقدمة إلا إذا كان السؤال يخفي في طياته فخًّا، ويحمل في داخله أمراً خطيراً؟

كان الجواسيس الذين تقدَّموا بالسؤال يتكوَّنون من فئتين متضادتين: الأولى، فئة تلاميذ الفرِّيسيين، وهم فئة اللاهوتيين المتمرِّسين على تعاليم الناموس وأحكامه، والذين لا يؤمنون إلاَّ بحكم الله، ويرفضون أي حكم أجنبي، وهؤلاء طبعاً كانوا يرفضون مبدأ دفع الجزية لقيصر.

والفئة الثانية، هي فئة الهيرودسيين المتشيِّعين لحكم بيت هيرودس، وهؤلاء بالرغم من ولائهم للأسرة الحاكمة، إلاَّ أنهم أيضاً كانوا لا يشجِّعون دفع الجزية لقيصر. وكان من تلاميذ المسيح أنفسهم واحدٌ على الأقل من شيعة الغيورين - وهو سمعان الغيور - وكانت هذه الشيعة من أكثر الفئات اليهودية تعصُّباً ضد الاحتلال الروماني، والتي ترفض بشدة دفع أية ضرائب لروما. والرب يسوع نفسه كان من الجليل، من بلدة يهوذا الجليلي الذي قاد ثورة مسلحة ضد الاحتلال الروماني.

كل هذه الظروف جعلت من السؤال امتحاناً عسيراً. فكلا الإجابتين -

سواء بالموافقة على دفع الجزية أو الرفض - تحمل مخاطر لا حصر لها. فإن أجاب الرب يسوع برفض الجزية، يكون قد حقَّق أمنية الجواسيس ليتسنَّى لهم تسليمه إلى السلطات الحاكمة بتهمة التحريض على قيام ثورة ضد روما، وهي تهمة عقوبتها الإعدام. وإن أجاب بجواز دفع الجزية يفقد تعاطف كل الشعب معه، ويضع نفسه في مواجهة مع الكتبة والفرِّيسيين ورؤساء الشعب، بل ومع بعض تلاميذه أيضاً. وهكذا أحكم الفرِّيسيون السؤال، وانتظروا الإجابة[٥٨].

لم ينخدع الرب يسوع بكلمات الإطراء والمديح، لأنه لا ينظر إلى العينين بل إلى القلب (١صم ١٦: ٧)؛ «فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ وَقَالَ: لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ» (مت ٢٢: ١٨و١٩). فقدَّموا له ديناراً، وهو من العملة التي كانت تُدفع بها الجزية، وكان يحمل صورة طيباريوس قيصر واسمه ولقبه. فسألهم: «لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ قَالُوا لَهُ: لِقَيْصَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ، وَمَا للهِ للهِ. فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا» (مت ٢٢: ٢٠-٢٢).

ولم يكن يتوقَّع الفرِّيسيون على الإطلاق هذه الإجابة، بل كانوا يظنونه سيوافق رأيهم على عدم دفع الجزية. وسبب تعجُّب واندهاش

---

[58] J.W. Shepard, *The Christ of the Gospels,* p. 497,498.

الفرِّيسيين وانصرافهم مدحورين دون أدنى تعليق أنهم فهموا قصد الرب من الإجابة. فلم تكن إجابة الرب يسوع مجرد تصريح لهم بدفع الجزية من العملة التي تحمل صورة قيصر، ثم تقديمهم لله حقه من عملة الهيكل (الشيكل اليهودي) الذي لا يحمل صورة قيصر؛ بل كان الرب يرمي إلى معانٍ أبعد من ذلك بكثير. وإلاَّ لكان من حق أحدهم أن يعترض قائلاً: إن كل ما في أيدينا هو مِلكٌ لله، حتى قيصر نفسه هو مملوك لله، فكيف نُعطي مما لا نملك لِمَنْ لا يستحق؟!

لقد أراد الرب يسوع أن يلفت نظرهم إلى خطأ شائع كان منتشراً في أيامهم في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وقد انتهز الرب هذه الفرصة لكي يصحح لهم هذا الخطأ. فقد وُلدت المسيحية في عالم تسوده عبادة قيصر، وكان يُنظر إلى قيصر على أنه إله. والإمبراطورية كانت مترامية الأطراف، وكانت تضم شعوباً ذات لغات وديانات وعادات متباينة، وكان سبب ترابط هذه الإمبراطورية ليس فقط الحاميات العسكرية الرومانية التي كانت موزَّعة على أرجاء البلاد، بل كانت الديانة الواحدة المشتركة التي فُرضت على الجميع - وهي عبادة قيصر - هي سبب الترابط، وربما بصورة أقوى.

إن الروابط السياسية والعسكرية هامة جداً، أما الروابط الدينية فهي أكثر أهمية. وقد فطنت الدولة الرومانية لذلك فعملت على نشر عبادة

قيصر. لم تحارب روما ديانات الشعوب التي انضوت تحت لوائها طالما وافقت هذه الشعوب على إضافة عبادة الإمبراطور إلى معتقداتهم، لكنها لم تتساهل مع أي شعب رفض الخضوع لمعتقداتها، وعاملته معاملة خاصة، وتوقعت منه الثورات في أي وقت.

إن عبادة قيصر كحقيقة تاريخية تُلقي الضوء على كثير من آيات العهد الجديد، ومنها آية: «أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ». كما أنها تكشف لنا عن ذلك التوازي الذي كان قائماً بين المسيحية وعبادة الإمبراطور، وشخصية الرب يسوع في الديانة المسيحية وشخصية الإمبراطور في ديانة الدولة، والألقاب التي كان يحملها كلٌّ منهما.

لقب الرب "كيريوس" Κύριος:

كلمة كيريوس اليونانية معناها: "الرب" أو "السيد"، وكان هذا هو أحد الألقاب التي أطلقوها على الإمبراطور. كما أنه كان لقباً رسمياً لربنا يسوع، لأن هذه الكلمة هي التي دخلت في العهد القديم في الترجمة السبعينية كترجمة للفظ الجلالة العبري "يهوه". لذلك فهو لقب يشير إلى الألوهية وليس مجرد لقب تكريم، خاصة إذا استُعمل للدلالة على الله، أو كما استُعمل فيما بعد للإشارة إلى الإمبراطور.

هذه الحقيقة تساعدنا جداً في فهم الآيات التي أوردها بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً، سِوَاءٌ

كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ» (١كو ٨: ٥و٦).

هذا التصريح أورده بولس الرسول في معرض حديثه عن أهمية انفصال المؤمنين عن عبادات اليونان الوثنية. فإن كان على مؤمني كورنثوس رفض أي نوع من العبادة تُقدَّم للإمبراطور، فعليهم أيضاً أن يبتعدوا عن المشاركة في أي ممارسات طقسية تُقدَّم لآلهة اليونان الوثنية. لأنه إن كان اليونان قد ملأوا السماء بأسماء آلهة كثيرة، والرومان ملأوا الأرض بعبادة ملكهم، فنحن لا نعرف لنا في السماء إلا إلهاً واحداً ـ الآب ـ مصدر كل خليقة، والذي لا ننتمي لآخر سواه. ولا نعرف إلا ربًّا واحداً ـ يسوع المسيح ابنه الوحيد ـ الذي به خُلق الكل، والذي هو واحد مع الآب[٥٩].

وقد أشار الرب يسوع إلى عادة تكريم قيصر فوق العادة عندما قال: «مُلُوكُ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ κυριεύω » (لو ٢٢: ٢٥). وكلمة "يسودونهم" لا تعني مجرد أن ملك الأمم (قيصر أو مَنْ على شاكلته) يُمارس سيادته على الشعب بحكم منصبه، بل تعني أنه يتصرَّف بينهم كرب (كيريوس).

---

[59] Werner Foerster, *Κύριος*, in: *Theological Dictionary of the New Testament*, Vol. III, p. 1091.

وهذه الكلمة نفسها هي التي أُطلقت على الرب يسوع: «لأَنَّهُ لِهذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ، لِكَيْ يَسُودَ κυριεύω عَلَى الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ» (رو ١٤: ٩)[٦٠]. وقد أوضحها بولس الرسول بقوله عن المسيح: «... الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ (حرفياً: ملك الذين يملكون)، وَرَبُّ الأَرْبَابِ (حرفياً: رب الذين يتسيَّدون)» (١تي ٦: ١٥).

ولم يكن رفض المسيحية لإطلاق لقب "الرب" على البشر وتخصيصه للرب يسوع وليد ظروف سياسية حتَّمت ذلك، أو أنه جاء كتعليم جديد في مقابل خطأ شائع؛ بل منذ فجر المسيحية عندما أعلن الملاك البُشرى للرعاة بميلاد الطفل يسوع، أخبرهم قائلاً: «أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لو ٢: ١١). فإن كان يوجد على الأرض مَنْ يطلقون على أنفسهم: "أرباباً"، فها أنا أُبشِّركم بميلاد الرب الحقيقي والوحيد.

وبعد قيامة الرب يسوع من بين الأموات كان اعتراف التلاميذ الرئيسي، والذي جاء على لسان توما الرسول، مناداة الرب يسوع بلقب «رَبِّي وَإِلهِي» (يو ٢٠: ٢٧). وكذلك القديس يوحنا عندما رأى الرب يسوع بعد قيامته على شاطئ بحر طبرية، إذ قال لبطرس الرسول: «هو **الرَّبُّ**» (يو ٢١: ٧).

---

[60] *Ibid.*, p. 1097.

ويظهر الخلط واضحاً بين ما هو لقيصر وما هو لله عند محاكمة بولس الرسول، إذ صرَّح الوالي فستوس: «لَيْسَ لِي شَيْءٌ يَقِينٌ مِنْ جِهَتِهِ لأَكْتُبَ إِلَى السَّيِّدِ (الرب Κύριος)» (أع ٢٥: ٢٦). لقد اعتبر فستوس أن الإمبراطور نيرون هو سيِّده أو ربه، إذ أطلق عليه لقب الرب أي الإله الذي يجب عليه أن يقدِّم له فروض العبادة.

وهذا اللقب نفسه هو الذي رفضه القديس الشهيد بوليكاربوس (عام ١٥٦م) عندما قدَّموه للمحاكمة. إذ سأله القائد هيرودس: "أي ضرر إن قلتَ: الرب قيصر، وقدَّمتَ له الذبائح، ونجيَّتَ نفسك"؟[٦١]. وكان نتيجة رفض الخلط بين ما هو لقيصر وما هو لله، أن نال القديس بوليكاربوس إكليل الشهادة.

لذلك يلخِّص القديس بولس رأي المسيحية في إطلاق لقب الرب بحصر المعنى على الرب يسوع وليس على آخر سواه، قائلاً: «لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً (= الاسم الذي هو) فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (في ٢: ٩-١١).

---

[٦١] يوسابيوس القيصري، "تاريخ الكنيسة" ٤:١٥:١٥.

لقب الله Θεός (ثيئوس).

ولم يكن لقب الرب فقط هو الذي ألصقه الشعب بالإمبراطور، فقد أطلقوا عليه أيضاً لقب إله Θεός (ثيئوس). فقد قيل عن أغسطس قيصر إنه "إله من إله"، وأنه الإله قيصر. ودُعِيَ الإمبراطور بصفة عامة أنه "إلهنا وسيِّدنا"[٦٢]. حتى إن الشعب تملَّق الملك هيرودس، وهو ملك اليهود، ولقبوه بهذا اللقب: «فَفِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ لَبِسَ هِيرُودُسُ الْحُلَّةَ الْمُلُوكِيَّةَ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُلْكِ وَجَعَلَ يُخَاطِبُهُمْ. فَصَرَخَ الشَّعْبُ: هذَا صَوْتُ إِلهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ!» (أع ١٢: ٢١و٢٢). وهنا يظهر بوضوح سرقة ما هو لله وإسناده للبشر. لذلك كان تدخُّل السماء سريعاً: «فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ للهِ، فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ» (أع ١٢: ٢٣).

لقب مخلِّص σωτήρ (سوتير)

كذلك أطلقوا على الملوك قديماً لقب مخلِّص (سوتير) σωτήρ باعتبار أن الملك هو الذي يخلِّص الشعب من ويلات الحروب والمجاعات والمخاطر. وقد حمل الأباطرة هذا اللقب كلقب تأليه وليس لقباً سياسياً[٦٣]. ومن بين أباطرة روما هناك ثمانية على الأقل حملوا لقب:

---

62 Ethelbert Stauffer, *Θεός*, in: *Theological Dictionary of the New Testament*, Vol. III, p. 69.

63 Bauer, *A Greek English Lexicon of the New Testament*, p. 808.

"مخلِّص العالم". لذلك أرادت السماء تصحيح هذا الخطأ، وإعادة ما لله لله، فأعلنت بلسان الملاك المبشِّر أن المولود في بيت لحم سيُدعى اسمه يسوع «**لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ**» (مت ١:٢١). ثم أعلنت للرعاة: «أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ (سوتير) هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لو ٢: ١١).

ولما بدأ الربُّ يسوع كرازته، ورأى الشعب آياته ومعجزاته، آمنوا أنه هو المخلِّص الذي أتى ليخلِّصهم من خطاياهم واعترفوا به قائلين: «هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ» (يو ٤: ٤٢).

إذن، أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله.

أعطوا لقيصر الضريبة أو الجزية من مال هذا العالم، فهو مِلكٌ لكم، والمال وما تحصلونه به من أمور أرضية هو إلى زوال: «فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ» (رو ١٣:٧). أما الله فأعطوه قلوبكم وأنفسكم وأرواحكم، فهذه ليست مِلكاً لكم: «لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ» (١كو ٦: ٢٠).

أعطوا لقيصر الاحترام والتكريم والخضوع والطاعة: «لِتَخْضَعْ كُلُّ

نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ» (رو ١٣: ١). أما الله فأعطوه العبادة والسجود: «لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مت ٤: ١٠).

أعطوا لقيصر الدينار الذي يحمل صورته، أما الله فأعطوه أنفسكم لأنكم تحملون صورة ابنه (رو ٨: ٢٩).

الحيَّة النحاسية

*****

في مجرى حديث الرب يسوع مع نيقوديموس عضو السنهدريم عن الولادة الثانية، سأله نيقوديموس عن كيفية هذه الولادة؛ وهل يستطيع الإنسان أن يدخل بطن أُمه ثانيةً وهو شيخ ويولد؟ عندئذ شرح له الرب يسوع أن الولادة الثانية ليست ولادة جسدية، لأن: «اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ» (يو ٣: ٦). ثم عقَّب الرب على هذا الحديث مباشرة، أنه «كَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ» (يو ٣: ١٤). فما هي الحيَّة التي رفعها موسى، ولماذا اتخذها الرب يسوع مثالاً لارتفاعه على الصليب؟

حيَّة موسى النحاسية:

بينما كان بنو إسرائيل مرتحلين من جبل هور في طريق البحر الأحمر (خليج العقبة) ليدوروا بأرض أدوم، وهم في طريقهم لدخول الأرض التي وعدهم الله بها، عادوا إلى عادتهم القديمة وبدأوا يتذمَّرون على الله وعلى نبيه موسى: «وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ (المن)!» (عدد ٢١: ٥).

لقد نسي الشعب المعجزات التي أجراها الله أمامهم على يدي موسى النبي منذ أن طالَب فرعون بالسماح للشعب بالخروج من مصر، مروراً بانشقاق البحر الأحمر تحت أرجلهم، ونزول المنّ لهم من السماء، والسلوى التي ساقتها إليهم الريح، والماء الذي خرج لهم من صخرةٍ صمَّاء؛ نسي الشعب ذلك كله في لحظة ضيق، وتذمروا على الله وعلى البركات التي منحها لهم. فكان عقاب الله لهم شديداً:

«فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ הַנְּחָשִׁים הַשְּׂרָפִים (ها نِحَشيم ها سرافيم)، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ» (عدد ٢١: ٦).

والاسم: "الحيَّات المحرقة"، يشير إلى نوع من الأفاعي المنتشرة في صحراء سيناء، والتي تتميَّز في شكلها ببقع حمراء لامعة وخطوط متموِّجة على جلدها. وهي من الأنواع التي كان يخشاها البدو جداً بسبب سمها المميت.

وكلمة "المحرقة" المستعملة كوصف للحيات هي نفس الكلمة التي استعملها إشعياء النبي في (إش ٦: ٢و٦) لوصف إحدى الرتب السمائية التي رآها في رؤياه، وهي تُنطق "سرافيم": «السَّرَافِيمُ שְׂרָפִים وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ ... فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَمَسَّ بِهَا فَمِي». وكلمة "سرافيم"

تصف مظهر هذه الكائنات السمائية النورانية اللامعة والتي تحيط بعرش الله؛ مما يعني أن هذه الكلمة "المحرقة" عندما استُعملت لوصف الحيات، فإنها كانت تشير إلى مظهر الحيات بلونها ذي البقع الحمراء اللامعة أكثر من وصفها لسمِّها القاتل.

عندما هاجمت الحيات القاتلة الشعب، وبدأ القتلى يسقطون فرادى وجماعات، صرخ الشعب وأعلنوا توبتهم حتى يرفع الله عنهم هذا الشر المميت:

+ «فَأَتَى الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى وَقَالُوا: قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلَّمْنَا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَيْكَ، فَصَلِّ إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ عَنَّا الْحَيَّاتِ. فَصَلَّى مُوسَى لأَجْلِ الشَّعْبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا. فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ נְחַשׁ נְחֹשֶׁת (نِحَش نِحُشِت، أي حية نحاس) وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَاناً وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا» (عدد ٢١: ٧-٩).

حاول بعض المفسِّرين إيجاد تفسير لتمثال الحية المرفوع فوق الراية، فربطوه ببعض الأفكار الوثنية القديمة المرتبطة بالحيَّات وبالشفاء، ومن بعض ما قالوه:

١ ـ هناك اعتقاد قديم عند تلك الشعوب الوثنية أنَّ كل ما له قدرة

على إحداث المرض له القدرة أيضاً على منح الشفاء، بمعنى أن فيه "الداء والدواء". وما زال هذا الاعتقاد منتشراً في بعض الأوساط الشعبية حتى اليوم.

٢ - يرى البعض في قدرة الحيات على سلخ جلدها القديم لتظهر بالجلد الجديد المتكوِّن تحته، أنَّ لها أيضاً القدرة على تجديد الحياة[٦٤].

٣ - الاعتقاد القديم أن بعض أجزاء جسم الأفاعي له القدرة على إحداث الشفاء، لذلك استعمل الأطباء القدامى أجسام الحيات في تكوين بعض الأدوية.

وأكثر الأمثلة ارتباطاً بين الحيات وبين القدرة على الشفاء، العصاة الرمزية التي كان يمسكها في يده اسكليبيوس إله الطب الإغريقي، والتي كانت عبارة عن قضيب يحيط به أفعى. وفي عصور لاحقة اختلط هذا الرمز بالعصاة التي كان يحملها الإله الإغريقي "هرمس"، والتي كانت عبارة عن قضيب يحيط به اثنان من الأفاعي، وهي تعرف باسم: "كادوسيوس Caduceus". وهذه العصا كانت ترمز إلى السلام، وليس إلى الشفاء. ونتيجة لهذا الخلط، صارت عصاة هرمس ذات الثعبانين

---

[64] *New Catholic Encyclopedia,* Vol. 13, p. 123.

رمزاً للأطباء، كما صارت شعاراً لسلاح الطب الأمريكي[65].

لا يمكن تطبيق هذه الرموز والأفكار الوثنية بأي حالٍ من الأحوال على الحيَّة النحاسية التي صنعها موسى النبي. والأساطير المرتبطة بإله الطب الإغريقي بعيدة كل البعد عن تاريخ شعب إسرائيل، لأنها من الأساطير التي نشأت بعد خروج بني إسرائيل من مصر بأجيالٍ طويلة.

كما لا يمكننا أن نبحث عن أية ممارسات وثنية تخص إقامة تمثال الحية النحاسية، وبالأخص في أيام موسى النبي، لأن أمر الله للشعب في تلك الفترة كان واضحاً جداً؛ إذ أن الوصية الثانية من الوصايا العشر نهت عن إقامة أية تماثيل أو أي صور لأي كائنٍ كان: «لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتاً صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ» (خر ٢٠: ٤). كما أن الله أيضاً أوصى الشعب وأمره بألاَّ يتمثَّل بالشعوب الوثنية المجاورة، وبعدم مجاراتهم في أية عوائد أو تقاليد يتمسَّكون بها: «مِثْلَ عَمَلِ أَرْضِ مِصْرَ الَّتِي سَكَنْتُمْ فِيهَا لاَ تَعْمَلُوا، وَمِثْلَ عَمَلِ أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا آتٍ بِكُمْ إِلَيْهَا لاَ تَعْمَلُوا، وَحَسَبَ فَرَائِضِهِمْ لاَ تَسْلُكُوا» (لا ١٨: ٣).

وأكثر من ذلك، فإن الحية النحاسية لم تكن من بنات أفكار موسى

---

[65] *The New Encyclopedia Britannica,* 2:715.

النبي، لكنها كانت أمراً مباشراً من الله لموسى النبي (عدد ٢١: ٨). لذلك علينا أن نبحث عن معنى الحية النحاسية في الكتاب المقدس وليس في الأساطير الوثنية.

حيث إن الله حذَّر الشعب قديماً من الالتفات إلى السحر أو التعاويذ أو ما شابه ذلك، فبالتأكيد لم يكن قصد الله على الإطلاق أن يفهم الشعب أن الحية النحاسية في حدِّ ذاتها لها القدرة على الشفاء من سم الأفاعي القاتلة. ومجرد النظر إلى الحية النحاسية المعلَّقة على الراية ليس له معنى سوى أن الله أمرهم أن ينظروا للحية. فالإيمان بكلام الله هو المقصود هنا، وليس الحية في حدِّ ذاتها. كل ما كان يحتاجه الشعب هو الثقة في الله. فالإيمان كان الحل الوحيد لمعاناتهم وتمرُّدهم وعصيانهم. كما أن الإيمان أيضاً هو الذي أعطى الله الإمكانية للدخول في حياتهم ومنحهم الشفاء.

كما أن طاعة الشعب للخروج والنظر إلى الحية المرفوعة على الراية يشبه طاعة المولود أعمى الذي أمره الرب يسوع أن يذهب ويغتسل في بِرْكة سلوام. فلم يكن لماء بركة سلوام القدرة على إعطاء البصر للأعمى، بل الإيمان بأمر الرب يسوع هو الذي منحه البصر (يو ٩: ٦و٧). في الحالتين كان الخروج لرؤية الحية أو الذهاب للاغتسال في البركة تأكيداً للإيمان بأمر الله، والإيمان أعطى الله إمكانية منحهم الشفاء.

حزقيَّا الملك يسحق الحيَّة النحاسية:

في أيام حزقيا ملك يهوذا، كان الشعب قد وقع فريسة لعادات وثنية كثيرة. ومن هذه العادات تقديس الآثار الدينية. وكانت الحيَّة النحاسية ما زالت موجودة حتى ذلك الوقت، فأخذ الشعب يقدِّمون لها البخور. وهكذا صارت الحية النحاسية وثناً يتعبَّد له الشعب. ففي اللحظات التي لا يحس فيها الشعب بحضور الله بينهم، يبحث له عن أية رموز بديلة، مهما كانت مقدسة، فيتقرَّب لها بالعبادة والتبجيل، ناسياً أن الله روحٌ، والسجود له ينبغي أن يكون بالروح والحق (يو ٤: ٢٤). وهكذا تحوَّل القصد تماماً من عمل الحيَّة النحاسية؛ فبدلاً من أن كانت رمزاً للشفاء والحياة، صارت سبباً للخطية والموت.

اضطر الملك حزقيَّا - وقد كان ملكاً باراً - إلى اتخاذ قرار عنيف ليوقف به هذه العبادة الوثنية: فقد «أَزَالَ الْمُرْتَفَعَاتِ، وَكَسَّرَ التَّمَاثِيلَ، وَقَطَّعَ السَّوَارِيَ، وَسَحَقَ حَيَّةَ النُّحَاسِ الَّتِي عَمِلَهَا مُوسَى لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِلَى تِلْكَ الأَيَّامِ يُوقِدُونَ لَهَا وَدَعَوْهَا نَحُشْتَانَ (أي من نحاس)» (٢مل ١٨: ٤).

الحيَّة النحاسية كمثالٍ لارتفاع المسيح على الصليب:

عندما سأل نيقوديموس الربَّ يسوع عن كيفية الولادة الثانية، ردَّ عليه الرب بمثال توضيحي. فقال لكي يولَد الإنسان مرَّة ثانية، أو من فوق،

ينبغي أولاً أن يُرفع ابن الإنسان كما رفع موسى الحيَّةَ في البرية (يو ٣: ١٤). وقد أوضح إنجيل القديس يوحنا أن المقصود بارتفاع ابن الإنسان هو الموت على الصليب: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ. قَالَ هذَا مُشِيراً إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يَمُوتَ» (يو ١٢: ٣٢و٣٣). واضحٌ من عبارة الرب لنيقوديموس عن ارتفاع ابن الإنسان أنه يؤكِّد على حتمية الصليب والموت. وربما فهم نيقوديموس من تعبير الارتفاع عن الأرض أيضاً "الصليب". فلم يكن هناك وسيلة أخرى في ذلك الوقت يمكن أن يموت بها الإنسان وهو معلَّقٌ فوق الأرض - على شِبه الحية النحاسية - غير الصليب.

يرى البعض أن المقصود بالارتفاع عن الأرض، ليس مجرد الارتفاع على الصليب، بل الصليب هو المرحلة الأولى من عملية واحدة ذات ثلاث خطوات، كان الصليب أولها، يتبعها القيامة والصعود. إذ لا يمكن فصل الصليب عن القيامة والصعود، وإن لم تكن الآية قد تضمنت صراحة الإشارة إليهما[٦٦].

أكَّد الرب في حديثه مع نيقوديموس على حتمية ارتفاعه، لكنه لم يشرح له أسباب هذه الحتمية. لقد أوضح أنه ينبغي أن يُصلب، لأنه بدون

---

[66] Raymond E. Brown, *The Gospel According to John,* Vol. 29, in The Anchor Bible, pp. 145,146.

الصليب ما خلص بشر.

لقد قال الرب يسوع إنه كنتيجة لارتفاعه، فإن كل مَنْ يؤمن به سيكون له الحياة الأبدية: «يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٤و١٥). فبعد أن رفع موسى الحيَّة النحاسية على الراية، كان على كل مَنْ تلدغه الحيات المحرقة ويُصاب بسمها القاتل، أن يطيع أمر الرب ويؤمن بكلامه، فيخرج وينظر إلى الحية المعلَّقة فيُشفى؛ هكذا بعد أن ارتفع الرب يسوع على الصليب، فإن كل مَنْ ينظر إليه بإيمان فإنه يحيا.

إن الرب الذي أعلن قديماً حبَّه لبني إسرائيل: «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته» (هو ١١: ١)، ومن ثمَّ في ضيقهم أمر أن تُصنع لهم الحية النحاسية حتى يحيا كل مَنْ ينظر إليها بإيمان؛ هكذا كشف لنيقوديموس عن محبة الله من نحونا: «هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٦).

وجديرٌ بالذكر هنا أن الرب يسوع حين ذَكَّر نيقوديموس بالحية النحاسية التي رفعها موسى في البرية لكي يُشفَى بالنظر إليها كل مَنْ لدغته الحيات المحرقة؛ إنما أراد أن يبيِّن له أنها كانت رمزاً لارتفاعه على الصليب وموته من أجلنا تكفيراً عن خطايانا التي حملها في جسده المقدس. لأن الحية قديماً كانت ترمز للخطية والشر، والرب يسوع رغم

أنه لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه غش (إش ٥٣: ٩)، إلاَّ أنه أتى في شِبه جسد الخطية (رو ٨: ٣)، وحَمَل خطايانا في جسده على الخشبة، كما قال القديس بطرس الرسول (١بط ٢: ٢٤)؛ بل وصار خطية لأجلنا كما قال القديس بولس الرسول (٢كو ٥: ٢١). فما أشار إليه الرب يسوع هو أن تعليق الحية على الراية كان إشارة لارتفاعه على الصليب حاملاً خطايانا. وفي ذلك يقول القديس كيرلس الكبير:

[لأن الحيات كانت تهاجم بني إسرائيل في البرية، وهم إذ يتساقطون كسنابل الحنطة، وقد أحاق بهم خطرٌ داهم مميت لم يتوقعوه، كانوا يصرخون متألمين طالبين الخلاص من فوق من الله، ولكن لأنه صالح وممتلئ رأفة، فهو كإله، يأمر موسى أن يرفع حية نحاسية، ويوصيهم أن يكون لهم تفكير مُسبق عن الخلاص بالإيمان، لأن علاج من لدغته الحية، أن ينظر إلى الحية المرفوعة أمامه، والإيمان مع النظر (للحية) كان سبب خلاص لكل الناظرين. ... لهذا إذاً صار كلمة الله "في شبه جسد الخطية" (رو ٨: ٣)، لكي "يدين الخطية في الجسد" كما هو مكتوب. وبالنسبة لأولئك الذين يتفرسون فيه في إيمان راسخ أو يفحصون التعاليم الإلهية، يكون هو واهب الخلاص الذي لا ينتهي، لكن إذ تُرفع الحية عالية على قاعدة مرتفعة، فإنها تشير إلى أن المسيح كان

ساطعاً وظاهراً حتى لا يكون هناك من يجهله، أو أن كيانه قد "رُفع عن الأرض" (١٢: ٣٢) بواسطة آلامه على الصليب، كما يقول هو نفسه] [٦٧].

فالمسيح على الصليب: «مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالْصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ (أي في الصليب)» (كو ٢: ١٤و١٥).

إن على مَنْ لدغته الخطية وسَرَى سمُّها القاتل في جسده، أن يرفع عينيه إلى مَنْ مات لأجله مرة واحدة، وهو الآن حيٌّ ومُعطي الحياة؛ فسوف يشعر برعشة الحياة الجديدة تسري في عروقه، تجدِّد أفكاره وعواطفه وآماله وطموحاته. لقد كشف الرب يسوع في حديثه مع نيقوديموس سرَّ الحياة الجديدة التي منحها له ولكل مَنْ يؤمن به، وكل ما ينقصنا الآن هو أن ننظر إلى الرب يسوع بإيمان، فننال الحياة الأبدية.

---

[٦٧] شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير على الآية (٣:١٤).

محاكمة يسوع أمام السنهدريم
بتهمة التجديف

*****

تمثِّل محاكمة الرب يسوع أمام مجمع اليهود أكبر امتحان للعدالة. فالإنجيل يذكر أن المحاكمة تمت أمام شهود زور، وقد تمت ليلاً، مخالفةً بذلك التقليد اليهودي في المحاكمات، وفي غياب شهود الدفاع عن المتهم، بخلاف تلفيق التهم وأسلوب الهزء والإهانات التي استُعملت في المحاكمة، مما يثبت أن السنهدريم كان قد بيَّت النية للقضاء على الرب يسوع.

واستناداً إلى الكلمات التي فاه بها الرب يسوع أثناء المحاكمة، فقد اتهمه رئيس الكهنة بالتجديف. ومن ثمَّ أقر المجلس التهمة وحكموا عليه بالقتل: «فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قائِلاً: قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَأَجَابُوا وَقَالُوا: إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ» (مت٢٦: ٦٥و٦٦). ولكي نفهم تماماً هذه المرحلة من مراحل محاكمات الرب يسوع، يجب أن نفهم معنى التهمة التي وُجهت إليه. فما هو التجديف؟

الكلمة اليونانية التي تُترجم "تجديف" هي βλασφημία

(بلاسفيميًّا)، وقد اشتُق منها الكلمة الإنجليزية Blasphemy. وهذه الكلمة تُعطي معنى: الشتيمة أو السب العلني، تشويه السمعة والافتراء، السخرية والاستهزاء، سواء كانت موجَّهة ضد أحد الأشخاص أو ضد الله"[٦٨].

ولا يوجد في العهد القديم في لغته العبرية كلمة مباشرة تعطي معنى الفعل اليوناني "يجدِّف" βλασφημέω، لكن هناك عدة أفعال تم ترجمتها إلى هذا الفعل في الترجمة اليونانية للعهد القديم (السبعينية)، وهذه الأفعال تحمل معنى: يشتم، يزدري بـ، يسخر من، أو يتهكم على، وخاصة إذا كان فعل الاستهزاء موجَّهاً ضد الله"[٦٩].

وإذا ألقينا نظرةً سريعةً على المواقف التي وردت فيها هذه الكلمة في العهد القديم، أمكننا فهم مضمون "التجديف".

التجديف في العهد القديم:

يذكر لنا سفر اللاويين حادثة اتخذها الرابِّيون أساساً لتعريف ما هو التجديف وما هي عقوبته. فقد حدث أن: «خَرَجَ ابْنُ امْرَأَةٍ إِسْرَائِيلِيَّةٍ،

---

[68] W. Bauer, *A Greek English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature,* The University of Chicago Press (1974), p. 142,143.

[69] H. W. Beyer, *βλασφημία,* in: *Theological Dictionary Of the New Testament,* Vol. I, p. 621-25.

وَهُوَ ابْنُ رَجُلٍ مِصْرِيٍّ، فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَتَخَاصَمَ فِي الْمَحَلَّةِ ابْنُ الإِسْرَائِيلِيَّةِ وَرَجُلٌ إِسْرَائِيلِيٌّ». وعندما اشتد العراك بينهما: «جَدَّفَ ابْنُ الإِسْرَائِيلِيَّةِ عَلَى الاِسْمِ وَسَبَّ» (لا ٢٤: ١١). و"الاسم" هنا يشير إلى اسم الله (يهوه). فساقت الجماعة ابن الإسرائيلية إلى موسى النبي وأعلمته بالأمر. وكان الحكم الذي أمر به الله على فم موسى النبي: «كُلُّ مَنْ سَبَّ إِلهَهُ يَحْمِلُ خَطِيَّتَهُ (أي يصير مسئولاً عن خطيئته). وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ» (لا ٢٤: ١٥و١٦).

وقد ميَّز الرابِّيون من هذه الواقعة بين نوعين متشابهين من الخطأ، وعقوبة كل منهما. الأول والأكثر خطورة هو التجديف أو الاستهانة باسم الرب، والثاني والأقل خطورة وهو التجديف غير الموجَّه إلى اسم الله. وصارت عقوبة التهمة الأولى القتل فوراً: «الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاِسْمِ يُقْتَلُ» (لا ٢٤: ١٦).

مفهوم آخر للتجديف يقابلنا في سفر الملوك الثاني (١٨و١٩). فعندما كانت مملكة يهوذا تحت حكم الملك حزقيا، كانت في احتكاك مستمر مع مملكة أشور. ولما أراد قادة الشعب اليهودي العصيان على سنحاريب ملك أشور، أرسل لهم سنحاريب تحذيراً قائلاً: لا تتكلوا على الملك حزقيا ولا تثقوا بإلهكم، فلا الملك حزقيا ولا إلهكم قادر على أن ينقذكم من يدي (٢مل ١٨: ٢٨-٣٥).

لقد أنكر الأشوريون قوة يهوه إله إسرائيل، وحطُّوا من قدر ملك إسرائيل. لذلك مزَّق المسئولون عن الشعب ثيابهم بسبب تجديف الأشوريين على الله. لقد وصفت كلمات الأشوريين يهوه بالضعف والعجز. وكانت خطيتهم أنهم تعالوا وتشامخوا وجعلوا أنفسهم في مكانة أعلى من يهوه. وقد وصف إشعياء النبي خطية ملك أشور هكذا: «مَنْ عَيَّرْتَ وَجَدَّفْتَ؟ وَعَلَى مَنْ عَلَّيْتَ صَوْتاً؟ وَقَدْ رَفَعْتَ إِلَى الْعُلاَءِ عَيْنَيْكَ عَلَى قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ!» (٢مل ١٩: ٢٢).

لقد اتخذت الأمم الوثنية من تسلُّطها العسكري على إسرائيل مبرراً للتجديف. لذلك رثى إشعياء شعبه وناح لأن اسم الله: "دائماً كل يوم يُهان" بواسطة أولئك المتسلِّطين على شعب الله (إش ٥٢: ٥).

ويلمِّح المزمور ١٣٧ لنوعية الإهانات التي تعرض لها اسم الله. فبينما كان الشعب في الأسر البابلي طلب منهم العدو أن يرنِّموا لهم ترنيمة من ترنيمات صهيون (١٣٧: ٣). ومن المعروف أن ترنيمات صهيون كانت تسبِّح بحمد الله على حمايته لشعبه ولأورشليم، مثل المزمور ٤٦: «اللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ»، والمزمور ٤٨: «عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا، جَبَلِ قُدْسِهِ»، والمزمور ٨٤: «مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ!». فهذه التسبيحات تظهر ثبات أورشليم أمام أعدائها وذلك بسبب حماية الله لها. لذلك عندما طلب البابليون من شعب إسرائيل

ترنيمة فإنما كانوا يستهزئون بإله إسرائيل ويجدِّفون عليه ناعتين إيَّاه بالعجز والضعف.

يتضح من ذلك أن مفهوم التجديف في العهد القديم ينحصر في معنى الازدراء والتشامخ. فالازدراء بيهوه يؤدِّي إلى الاستهزاء به والتفوُّه بالسباب ضد "الاسم". أما التشامخ أو العجرفة فتؤدِّي إلى تحدِّي قوة يهوه ثم إنكار وجوده، وهذا هو نفس المعنى الذي يقابلنا في الأسفار القانونية الثانية أو فيما يُعرف بفترة ما بين العهدين.

التجديف في الأسفار القانونية الثانية:

تنتقد هذه الأسفار بشدة التجاديف التي كان يتفوَّه بها الاحتلال اليوناني لإسرائيل، فيصف الأصحاح الأول من سفر المكابيين الأول محاولة الملك أنطيوخس إبيفانس استبدال عبادة يهوه بعبادة آلهته الوثنية. ويسجِّل الأصحاح الثاني بكاء ونحيب متثيا الكاهن بسبب هذه "التجاديف" (٢:٦). فالإهانات الكثيرة التي وُجِّهت ضد يهوه والشعب والهيكل والناموس أصابت متثيا وبنيه باليأس من الحياة، وجعلتهم يمزِّقون ثيابهم وينوحون. وكان آخر وأشد هذه الإهانات تقديم خنزير كذبيحة في الهيكل، الأمر الذي بدأ بعده مباشرة ثورة المكابيين ضد المحتل اليوناني.

وطوال قصة ثورة المكابيين، يُتهم اليونان بأنهم "مجدِّفون". فعندما

تحصنت فلول العدو خلف أسوار مدينة جازر الحصينة، أخذوا يسبُّون الشعب اليهودي "ويبالغون في التجديف والإهانات". لذلك تقدم عشرون شاباً في بسالة وتسلقوا السور، "وأحرقوا المجدِّفين أحياء" (٢مك ١٠: ٣٢-٣٨). كما عُوملت أيضاً مدينة كسفيس بنفس القسوة وذلك لأن «الذين فيها بالغوا في ثقتهم بمناعة الأسوار وكثرة المؤن... وأخذوا يجدِّفون وينطقون بكلام بذيء» (٢مك ١٢: ١٤).

تثبت تلك الأحداث أن كلمات الإهانة الموجَّهة ضد يهوه وإنكار قوته وتنجيس الهيكل وانتهاك شريعته واضطهاد شعبه، كان يحسب تجديفاً. وكانت العقوبة التي توقَّع على المجدِّف هي الموت.

التجديف في الكتابات اليهودية المتأخرة:

في غضون القرن الأول الميلادي حاول المؤرخ اليهودي يوسيفوس شرح الديانة اليهودية للمحتل الروماني، وفي كتاباته أشار عدة مرات إلى "التجديف". فهو يذكر أن اليهودي يتعلَّم أنه يجب ألاَّ يجدِّف (بمعنى يسخر أو يستهزئ) على الأعمى أو الأخرس[٧٠]. كما يوضِّح أن اليهودي يوقِّر جداً موسى النبي بعد الله مباشرة، وأي تجديف أو إهانة لأي منهما يُعتبر خطية كبرى[٧١]. كما أن إهانة الملك الذي يعيِّنه يهوه يستحق عقوبة

[70] Antiq. 4,8,276.
[71] Bel. 2,9,145.

الموت[٧٢].

وبصفة عامة فإن يوسيفوس كان يفهم التجديف بنفس الطريقة التي وردت في العهد القديم، فمَنْ يجدِّف على اسم يهوه يستحق الموت، كذلك كل مَنْ يتعرض بالسخرية لشريعته وهيكله وخدامه أو حتى أمته. ونفس هذا المفهوم نجده في كتابات فيلو الفيلسوف اليهودي الإسكندري من القرن الأول[٧٣].

أما عندما تسجلت تفسيرات اليهود على التوراة مثل كتاب المشنا (حوالي عام ٢٠٠م) وبعد ذلك التلمود (حوالي عام ٥٠٠م)، ظهرت فيها القوانين التي تعرِّف التجديف. ويحتوي التلمود على عدة مناقشات للرابِّيين تشرح قوانين الشريعة، وكانت هذه الكتابات متداولة قبل تسجيلها كتقليد شفاهي ربما يرجع إلى عصر حياة المسيح على الأرض. وينص التلمود على أن المجدِّف الذي يتم تحذيره ثم يتمادى في إهانة اسم الله يجب أن يُقتل رجماً بالحجارة. أما إن لم يكن للقاضي حق توقيع عقوبة الإعدام فكان يُكتفى بإقصاء المتهم خارج الجماعة وقطع شركته مع أمته اليهودية. أما مَنْ يجدِّف عن جهل ودون التعرُّض لاسم الله فكان

---

[72] Antiq. 7,11,265.

[73] H. W. Beyer, *βλασφημία*, in: *Theological Dictionary Of the New Testament*, Vol. I, p. 622.

يُكتفى بجلده. كذلك يوقَّع العقاب الجسدي على كل مَنْ يهين الملك أو الأمة أو الشريعة اليهودية.

وكان على مَنْ يسمع ألفاظ التجديف أن يمزِّق ثيابه كتعبير عن الحزن. وعند استدعائه للشهادة لا يُسمح له بترديد كلمات التجديف التي سمعها إلا مرة واحدة وفي جلسة مغلقة وذلك في نهاية المحاكمة. أثناء ذلك يمزِّق القاضي ثيابه ثم ينطق بالحكم[٧٤].

لماذا اتُّهم يسوع بالتجديف:

نأتي الآن إلى محاكمة يسوع وإلى اتهامه بالتجديف على ضوء مفهوم التجديف في العهد القديم، وبالتالي مفهوم التجديف عند هيئة السنهدريم التي حاكمته. ولنلاحظ أن هذه التهمة ارتكنت فقط إلى العبارة التي فاه بها الرب يسوع أمام المحكمة. لقد سأل رئيس الكهنة يسوع إن كان هو "المسيح، ابن المبارك". وكانت إجابة يسوع أنه قَبِل على نفسه هذين اللقبين، أو بحسب ما ذكره القديس مرقس أنه قال: «أنا هو». وفي الأناجيل الثلاثة التي ذكرت هذه المحاكمة لم يقبل الرب يسوع فقط اللقبين، بل شرح أيضاً مفهومهما عنده: «مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ» (مت ٢٦:٦٤، مر ١٤:٦٢، لو ٢٢:٦٩و٧٠).

---

[74] Roth, 1074.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي اتهموا فيها الرب يسوع بالتجديف. فقد حاولوا مرة أن يرجموه لما قال لهم: "أنا والآب واحد"، فأجابهم: «أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟ أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهاً. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللهِ؟ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يو ١٠: ٣١-٣٨).

والواقع أنهم لم يكن لهم عذر في عدم إيمانهم به، وفي اتهامهم له بالتجديف حينما دعا نفسه أنه ابن الله، لأنه كما قال الرب يسوع عنهم: «لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ عَمِلْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالاً لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ غَيْرِي، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ، وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ رَأَوْا وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي» (يو ١٥:٢٤).

لقد رأوه فعلاً يعمل أعمالاً لم يعملها أحد غيره، وشهدوا بذلك قائلين: «إِنَّ يُوحَنَّا لَمْ يَفْعَلْ آيَةً وَاحِدَةً، وَلكِنْ كُلُّ مَا قَالَهُ يُوحَنَّا عَنْ هذَا كَانَ حَقًّا» (يو ١٠:٤١). كما ظهر سبب تخوفهم من الإيمان به بكل

وضوح حينما أقام لعازر من الموت، فقد «جَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعاً وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. إِنْ تَرَكْنَاهُ هكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا» (يو ١١:٤٧و٤٨)!! وبيلاطس نفسه اكتشف هذه الحقيقة: «أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَداً» (مت ٢٧:١٨، مر ١٥:١٠).

لقد دُعي كثيرون بلقب المسيَّا أو المسيح في العهد القديم، فالكلمة تعني "الممسوح من الله"، والله مسح كثيرين وأرسلهم لتنفيذ مشيئته. فإن كان الرب يسوع دُعي "المسيح" بهذا المفهوم، أي مجرد رسول أو نبي مسحه الله وأرسله لتنفيذ مشيئته وإبلاغ رسالته، فإنه يحقُّ لرئيس الكهنة أن يصرخ ويتهمه بالتجديف. ولو كان الرب يسوع مجرد مخلِّص جديد أرسله الله لإنقاذ شعبه وتحريره من عبودية المحتل الخارجي، لكان هذا الموضوع محل اهتمام الرومان بالأكثر. ولكن الرب نفى عن نفسه أن يكون مجرد مخلِّص بالمعنى السياسي لهذه الكلمة وذلك بقوله: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ ... أَنْتَ تَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (يو ١٨:٣٧).

لقد كان يسوع هو المسيح أو المسيَّا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة، وهكذا فهم رئيس الكهنة ما كان يقصده يسوع. والعجيب أنه كان نفس المفهوم

الذي توصَّلت إليه المرأة السامرية مع بقية شعب السامرة: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي.... نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ» (يو ٤:٢٥و٤٢).

وعندما قال الرب لرئيس الكهنة إنه: «مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ»، أيقن رئيس الكهنة مباشرة معنى هذا الكلام. فقد لفت الرب يسوع أنظار رئيس الكهنة ومجمع السنهدريم إلى نبوة دانيال النبي التي تنبَّأ بها عنه، ومن المؤكَّد أن رئيس الكهنة فهم مباشرة ما كان يعنيه الرب:

+ «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ (الأزلي)، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ» (دا ٧:١٣و١٤).

وبإشارة الرب يسوع إلى هذه النبوة، يكون قد أكَّد أنه ابن الإنسان الآتي من السماء، الجالس عن يمين يهوه، والذي سيدين الأحياء والأموات، وسيدين أيضاً أولئك الذين تجرَّأوا وأوقفوه أمامهم باعتباره متهماً. إن هذا الكلام في نظر غير المؤمنين يُعتبر تشامخاً وكبرياءً وتعالياً على الذات الإلهية، وكأن المسيح يرفع نفسه ليساوي ذاته بالله، وبالتالي يُعتبر مجدِّفاً. هكذا كان حكم مجلس السنهدريم عليه. وبالرغم من أنه

لم يتفوه بكلام تجديف ضد "الاسم" إلا أن المجلس حكم عليه بالموت مخالفاً بذلك قوانين الشريعة، وبقي عليهم أن يقنعوا الحاكم الروماني بأن يسوع مستوجب الموت. لذلك نفَّذ المجلس مهمته بأن غيَّر التهمة أمام بيلاطس واتهموه بالخيانة حتى يضمنوا موافقة الحاكم على الحكم: «إِنَّنَا وَجَدْنَا هذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ، قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ» (لو ٢٣:٢).

فلماذا إذاً تمسَّك الذين حاكموا يسوع بتهمة التجديف ضده؟ لقد اعتبر أولئك الذين دبَّروا قتله أن كلماته مبررٌ لجريمتهم، لأنَّ هذه التهمة هي أسهل تهمة يمكن الحكم على فاعلها بالقتل؛ يكفي أن تُحضر أي شاهدين يقران أننا سمعناه يقول...

أما في نظر المؤمنين باسمه، فإن كلماته هي استعلان للحق. وأما بالنسبة ليسوع فقد قادته شهادته عن نفسه إلى الصليب الذي سبق وأنبأ تلاميذه به، وإلى القبر الذي استعاره من يوسف الرامي، ثم إلى القيامة المجيدة التي أكَّدت وأثبتت صدق شهادته وكلماته: «وَتَعَيَّنَ (أي تأكَّد وتثبت أنه) ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا» (رو ١:٤).

الربُّ يسوع صُلِبَ من أجلي

*****

في تسبحة أسبوع الآلام التي نكرِّرها كل يوم مراتٍ كثيرة، نقول في المقطع الأول منها: "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد، آمـين. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا"، في صيغة الجمع. وفي مقطعها الثاني نقول: "يا ربي يسوع المسيح مخلِّصي الصالح" بصيغة المفرد؛ والغرض من ذلك، التأكيد على أن ما عمله المسيح على الصليب يحتاج إلى إيمان شخصي لقبوله. كما يؤكِّد أن المسيح عندما مات على الصليب، مات لأجلي ولأجلك شخصياً، مات لأجل كل إنسان فينا باسمه وشخصه. لذلك نجد الرسول بولس يؤكِّد على هذا المفهوم الشخصي بقوله: «أَحَبَّنِي (أنا شخصياً) وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غل ٢:٢٠).

وفي نص قانون الإيمان الذي تردِّده الكنيسة كل يوم، تَرِد هذه العبارة: "الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنَّس وصُلِبَ عنَّا". هذه العبارة اللاهوتية الهامة تشير إلى أن صلب المسيح على الصليب كان لأجلي ولأجلك، فمحبته لنا محبة شخصية وعميقة جداً. ويمكننا أن نردد مع إشعياء النبي ترنيمة العبد المتألِّم بصيغة الجمع، كما يمكننا أيضاً أن نردِّدها بصيغة

المفرد: "لقد حَمَلَ أحزاني، وأوجاعي تحمَّلها. وهو مجروح لأجل معاصيَّ، مسحوق لأجل آثامي. تأديب سلامي عليه، وبجلداته شُفيت". من أجلي عُلِّق على الصليب، بسبب خطاياي، ومن أجل أن يمنحني الغفران.

في كتاب: "سيرة مختصرة لحياة يسوع المسيح"، يذكر العالِم الفيزيائي والفيلسوف الرياضي والأديب الفرنسي بليز باسكال (١٦٢٣-١٦٦٢م)، وهو من أعظم المفكِّرين الذين أنجبتهم البشرية، يذكر قصة تحوُّله للإيمان. فكتب يقول: "في منتصف ليلة ٢٣ نوفمبر ١٦٥٤م، تكلَّم معي الرب يسوع قائلاً: بليز، لقد كنتُ أُفكِّر فيك أثناء آلامي". هذا الاختبار كان سبب إيمان هذا الفيلسوف. لقد شعر أن صليب المسيح كان لأجله هو شخصياً. لقد قال المسيح: "بليز، إنه من أجلك احتملت كل هذا". لقد تألَّم الرب يسوع ومات ودُفِن وقام ثانيةً، ليس من أجل البشرية عامةً، لكن من أجل كل إنسان في هذه البشرية بصفة خاصة.

كتب قديس روسيا العظيم تيخون زادونسكي (١٧٢٤-١٧٨٣م) في هذا المعنى قائلاً: "لقد باعوك، أيها الربُّ، وأسلموك للخطاة، حتى تمنحنا نحن العبيدَ الحريةَ. خضعت لمحاكمةٍ جائرةٍ، أنت يا مَنْ تحكم كلَّ الأرض، حتى نخلص نحن من الحكم الأبدي. تعريتَ حتى تكسونا برداء الخلاص. وضعوا على رأسك إكليل شوك حتى ننال إكليل الحياة. وُضِعْتَ في قبرٍ حتى تقيمنا من موت القبر. هذا فعلته من أجلنا، نحن عبيدك غير

المستحقين، أيها الرب".

لا يمكننا أن نحيط بكل مفهوم الصليب والقيامة، إن لم نفهم أن ما فعله المسيح كان من أجلنا، ومن أجل كل شخص فينا بالتحديد.

حدث مرةً في يوم الجمعة العظيمة أن مرَّ ثلاثة من الشباب المستهتر أمام إحدى الكنائس في باريس، ولاحظوا وجود صف طويل من المؤمنين ينتظرون أن يُقدِّموا اعترافهم أمام كاهن هذه الكنيسة. ولعدم إيمان الشبان الثلاثة بالمسيح، بدأوا في التهكُّم على هؤلاء المؤمنين، معتبرين أن كل ما حدث في هذا اليوم - يوم جمعة الصلبوت - كان مجرد مهزلة تاريخية.

وقرَّر أحدهم أن يدخل ويقابل كاهن الكنيسة ليقول له رأيه في المسيح والمسيحية. ولمَّا مثل أمام أب الاعتراف، قال له: "لقد كنا نسير خارج الكنيسة ورأينا هذا الجمع من الشعب منتظرين لتقديم اعترافهم. فرأينا أن كل ما يحدث هنا ليس إلاَّ مسرحية هزلية، وقرَّرنا أن ندخل ونقول لك رأينا".

فأجابه الكاهن: "حسناً، لكن أطلب منك شيئاً واحداً قبل مغادرتك الكنيسة، ادخل إلى داخل الكنيسة وتقدَّم أمام الهيكل الرئيسي، وانظر إلى يسوع وهو معلَّقٌ على الصليب، وقل له: "لقد متَّ من أجلي، أيها

المسيح، لكن هذا الأمر لا يهمني على الإطلاق". وأريدك أن تكرِّر هذه العبارة ثلاث مرات، ثم يمكنك مغادرة الكنيسة".

فوافق الشاب المستهتر على ذلك، وتقدَّم أمام الهيكل ونظر إلى جسد الربِّ يسوع المعلَّق على الصليب، وبصعوبة بالغة قال مرة واحدة: "لقد متَّ من أجلي..."، وتحوَّل مسرعاً من أمام الهيكل. فاستوقفه الكاهن وقال له: "لقد وعدتني أن تقولها ثلاث مرات". فرجع الشاب متردِّداً، ونظر إلى المسيح، وجفَّت الكلمات على شفتيه، ولكنه أخيراً فعلها وقال: "لقد متَّ من أجلي"، وجفل مبتعداً عن الهيكل. فاستوقفه الكاهن ثانيةً وقال له: "لقد وعدتَ أن تقولها مرة ثالثة". فرجع بعد تردُّدٍ شديد، وأخذ ينظر إلى الصليب متأمِّلاً في جروح المصلوب مدة طويلة، ثم عاد إلى الكاهن وقال له: "أبي، أنا مستعد أن أُقدِّم اعترافي".

من يستطيع أن ينظر إلى الرب يسوع المصلوب من أجلنا، ولا يقول له: "ارحمني، يا ربُّ، لأني خاطئ"[٧٥].

رسالة حب:

الصليب ليس فقط حقيقة قائمة بذاتها، لكنه أيضاً نافذة نطل منها على حقيقة أخرى عظيمة، وهي محبة الله للبشر: «هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ

---

[75] Anthony M. Coniaris, *Orthodoxy: A Creed for Today,* p. 131,132.

حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣:١٦). الله لم يَعُدْ صامتاً، ولم يَعُدْ محتجباً بعيداً عن أنيننا كما كان في الماضي: «حقًّا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلِّص» (إش ٤٥:١٥)؛ لكنه تخلَّى عن احتجابه وأظهر محبته من فوق الصليب.

+ «اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رو ٥:٨)

+ «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا» (١يو ٤:١٠).

+ «لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إش ٥٣:٤و٥).

+ «ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مت ٢٠:٢٨).

+ «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ ... بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١بط ١:١٨و١٩).

+ «الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ» (أف ١:٧).

+ بعد هذا أشفقتَ علينا كإله صالح ومحب البشر، وأردتَ أن تخلِّصنا

من يد الذي سبانا؛ وأردتَ أن تعيدنا مرةً أخرى إلى فردوس النعيم. فأرسلتَ أنبياءك، فلم يقدروا أن يخلصونا. أعطيتَ الناموسَ فلم يصر لنا عوناً. فرضيتَ بإرادتك أن تبذلَ ذاتك للموت عنا وعن حياة العالم[٧٦].

زار أحد الكهنة إنساناً يحتضر، ولم تكن الفرصة مواتية لسماع أية عظة قبل رحيله، فما كان من الكاهن إلاَّ أن أمسك بالصليب وعليه صورة المصلوب وقرَّبه من عيني المريض، وقال له: "انظر، ما أعظم محبة الله لك"!

عندما مات الرب يسوع على الصليب كان كمَنْ يقول لنا: لا شيء يمكنكم أن تصنعوه بي قادرٌ أن يوقف محبتي من نحوكم. من الممكن أن تضربوني وتسحقوني وتجلدوني، ويمكنكم أن تقتلوني على الصليب، لكنني لن أتوقف عن محبتكم، هذا هو عِظَم محبتي لكم "يا أبتاه اغفر لهم". إن كل ما حدث على الجلجثة كان نافذة يمكننا أن نرى من خلالها قلب المحب المتألِّم من أجلنا. لقد قدَّم الإنسان لله، ذبائح كثيرة لعدة قرون خلت، أما على الجلجثة فقد رأينا الله يُقدِّم ذاته ذبيحة فدية عن الإنسان: «لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (يو ١٥:١٣). هذا هو حب الله لكل واحد منَّا.

---

[٧٦] خولاجي الدير الأبيض (٢٠١٤) ص ١١٠.

هل يحبني؟!

قال أحد الرعاة: إن أسعد إنسان عرفته إنساناً كان قد سقط وهو في سن الخامسة عشرة على ظهره، وأصابه كسر في العمود الفقري؛ وبذلك صار طريح الفراش لمدة أربعين عاماً. ربما لم يمر عليه يوم طوال تلك السنوات دون آلام مبرِّحة أثناء أي محاولة للحركة. ويوماً ما طرح أحدهم عليه هذا السؤال: "ألم يحاربك الشيطان أبداً، لكي يُشكِّكك في الله، ويلقي في فكرك أنه إله قاسٍ"؟ فأجابه بتلقائية: "نعم، لقد حاول ذلك مراتٍ كثيرة. عندما كنتُ أجلس وأرى أصدقاء مدرستي القدامى وهم يقودون سياراتهم، كان الشيطان يوعز إليَّ قائلاً: "لو كان الله صالحاً، فلماذا يتركك هنا كل هذه السنين طريح الفراش؟ ربما كنتَ الآن رجلاً غنياً تنعم بقيادة سيارة ليموزين"! وعندما كنتُ أرى إنساناً كنتُ أعرفه منذ الطفولية، وهو يسير في صحةٍ تامة، كان الشيطان يهمس في أُذني: "إن كان الله يحبك، ألم يكن قادراً أن يجنِّبك هذا المصير الأليم""؟ وعندما سألوه: "كيف كنتَ تجيب الشيطان على هذه الوساوس"؟ فأجاب فوراً: "كنتُ آخذه إلى الجلجثة وأُريه يسوع، وأُشير له على الجروح البادية في يديه ورجليه وجنبه، ثم أقول له: "هل هناك حب أعظم من هذا"؟!"[٧٧]

---

[77] Anthony M. Coniaris, *Orthodoxy: A Creed for Today*, p. 134.

كم أنت عزيزٌ في عيني الله:

كما أن الصليب يُظْهِر محبة الله لنا، فهو أيضاً يبيِّن كم أنت عزيزٌ في عيني الله. إذا قدَّم إنسانٌ حياته من أجلك، فمن الضروري أن تكون شخصاً مهماً؛ فإن كان هذا الإنسان هو الله ذاته، فمن البيِّن أنك مهمٌّ جداً. فمثلما نحكم على قيمة اللوحة الفنية بالثمن المدفوع فيها، هكذا يمكننا أن نُقيِّم ذواتنا بالثمن الذي دفعه الله فدية لأجلنا: «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ. بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١بط ١:١٨و١٩).

حضر طفلٌ صغير إلى الكنيسة لأول مرةٍ، وكان ذلك يوم الجمعة العظيمة. وهناك أصغى باهتمامٍ إلى قصة الرب يسوع المصلوب، ومقدار محبته العظيمة لنا: كيف تألَّم من أجلنا، وكيف غفر لنا خطايانا مانحاً إيَّانا الحياة الأبدية! وفي نهاية خدمة يوم الجمعة العظيمة، بدأ المصلُّون في الانصراف إلى بيوتهم. فلم يفهم هذا الطفل لماذا يبدو على المصلِّين وكأنهم لا يُبالون لِمَا استمعوا إليه. فجلس الطفل في كرسيه وبدأ يجهش بالبكاء. فاقترب منه والده وقال له: "يا ولدي، لا ينبغي أن تتأثَّر هكذا بشدة وتجعل هذا الأمر يسيطر على حياتك، لئلا يظن بك الناس أنك

غير ناضج"[٧٨].

يبدو أن هذا هو ما يحدث معنا أحياناً عندما نحضر صلوات هذا اليوم العظيم سنةً بعد أخرى، ونخرج من الكنيسة وكأننا نشاهد تمثيلية يوم الجمعة العظيمة، غير مُدركين قيمة الفداء العظيم الذي حقَّقه المسيح من أجلنا، وقيمة المحبة التي دفعته ليبذل نفسه من أجلنا: «الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاِثْنَيْنِ (اليهود والأمم) وَاحِداً،... لِكَيْ يَخْلُقَ الاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً صَانِعاً سَلاَماً. وَيُصَالِحَ الاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ» (أف ٢:١٣-١٦).

[78] Ibid., p. 146.

الفَرَحُ الحْقِيقيُّ

*****

+ «افرحوا في الـرب» (في ٣:
١).

خيَّم الحزنُ على التلاميذ وملأ اليأسُ قلبهم، بعد أن وُضِعَ جسد الرب يسوع في القبر. ومن ثمَّ اجتمعوا في العلّية ليبكوا حظهم العاثر، ولكي يختبئوا من بطش اليهود بهم. وبينما هم منغمسون في حزنهم، إذا بالرب يسوع قد وقف في وسطهم، وأراهم يديه ورجليه، وبشَّرهم بقيامته من بين الأموات منتصراً على الموت: «فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ» (يو ٢٠: ٢٠).

هذا الفرح برؤية الرب والتواجد في معيَّته، اختبره القديس بولس، فأخذ يُناشد أهل فيلبي أن: «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضاً: افْرَحُوا» (في ٤: ٤) وكلمة الفرح في اللغة اليونانية χαρά (خارا) والفعل منها: χαίρειν (خيرين) تتكرَّر عدة مرات في الرسالة إلى أهل فيلبي، حتى سُمِّيت هذه الرسالة: "رسالة الفرح".

وكلمة الفرح χαρά في الأدب اليوناني القديم كانت تعني حالة البهجة أو السرور التي يستشعرها المرء في مناسبات الميلاد والزواج

والأعياد، وكان الفعل "افرحوا" χαίρειν هو التحية اليومية المستعملة عند المقابلات، وكافتتاحية للرسائل والمكاتبات والتي تُترجم بكلمة "السلام" أو "كُنْ مُعافى".

وكان الفلاسفة اليونانيون، وخاصة الرواقيون منهم، يرون أن الانفعالات البشرية يمكن حصرها في أربع مجموعات: الخوف والرغبة والحزن واللذة، وكان الفرح يندرج تحت اللذة. وبالرغم من نظرهم إلى هذه الانفعالات على أنها رد فعل سلبي لمؤثِّر إيجابي، فإنهم كانوا يرون أن الفرح ظاهرة صحية. ومع أن الكتاب المقدَّس لم يعترض على وجهة النظر هذه، فإنه كان دائماً يربط الفرح بالله.

فالشعب يفرح عندما ينقذه الله من أعدائه (١صم ١٨: ٦)، أو عندما يمنحه النصر في المعارك (مز ٢١). أما الفرح في العبادة فهو فرح من نوع آخر. فالله يفرح بشعبه مانحاً إياه خيراته (تث ٣٠: ٩؛ مز ١٤٧: ١١)، ويتجاوب الشعب مع هذا الفرح بالتسبيح والتهليل وأغاني وترانيم الفرح (مز ٣٣: ١١، ٩٥: ١و٢). حتى إن تقديم الذبائح في الهيكل كان يلازمها مشاعر الفرح (تث ١٢: ١٢) لذلك وُصِفَت الأعياد السنوية الدينية بأنها: "أيام الفرح" (عد ١٠: ١٠؛ تث ١٦: ١١).

والفرح كان تعبيراً عن علاقة الإنسان الشخصية بالله، فالرجل البار يجد مسرَّته في شريعة الله (مز ١: ٢، ١١٩: ١٤) أو في كلمته (إر ١٥: ١٦)،

كما أن الفرح هو مكافأة الثقة بالله والتوكُّل عليه: «الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ، افْرَحُوا بِالرَّبِّ وَابْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ، وَاهْتِفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ» (مز ٣٢: ١٠و١١).

لقد رأى أنبياء العهد القديم، وخاصة أنبياء ما بعد السبي، أن الفرح الحقيقي هو الفرح بمجيء المسيَّا وإعادته مملكة داود وتحويله القفر إلى أودية خضراء (إش ١٢: ٣و٦، ٥١: ٣). وعندما يحل الله وسط شعبه، سيكون هناك «فَرَحٌ أَبَدِيٌّ» (إش ٥١: ١١). وما رآه الأنبياء وترجّوه صار حقيقة بمجيء المسيَّا الرب يسوع، وأحسَّ الناس بالفرح الحقيقي بحلول الله في وسطهم: «تَرَنَّمِي وَافْرَحِي يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ، لأَنِّي هَأَنَذَا آتِي وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ، يَقُولُ الرَّبُّ» (زك ٢: ١٠). وصار الفرح من السمات الأساسية التي صاحبت حياة المسيح على الأرض: الفرح بميلاده (لو ١٩: ٦)، والفرح بقيامته (مت ٢٨: ٨)، والفرح بعودته إلى الآب (لو ٢٤: ٥٢). فحياة المسيح على الأرض كانت بمثابة عُرس، والمسيح هو العريس، وتلاميذه هم بنو العُرس المبتهجون بالعريس الذي في وسطهم.

كما كان الفرح من خصائص تعليمه وكرازته. فقد شبَّه ملكوت السموات بالفرح الذي يختبره الإنسان عندما يجد الكنـز المَخْفي (مت ١٣: ٤٤). وخلاص الله يشبه فرح الراعي عندما يجد خروفه الضال (لو ١٥: ٥-٧)، والمرأة عندما تجد درهمها المفقود (لو ١٥: ٩و١٠). وبالأحرى

يشبه فرح الأب بعوده ابنه الضال (لو ١٥: ٣٢). وفي جميع هذه المناسبات كان هناك دعوة للأقارب والأصدقاء للمشاركة في الفرح. فالفرح بنوال خلاص الله حتماً يشع على المحيطين حتى يعم الفرح الجميع، بل والسماء أيضاً والملائكة تفرح بتحقيق هذا الخلاص (لو ١٥: ١٠).

لقد وعد الرب يسوع تلاميذه، عندما كان معهم في العلية، بالفرح الكامل الذي لا يُنـزَع منهم والذي لا يتأثر بالضيقات (يو ١٥: ١١، ١٦: ٢٤، ١٧: ١٣)؛ وهو الفرح بالخلاص الذي سينالونه من خلال موت الرب وقيامته. هذا الفرح الكامل أو الحقيقي هو موضوع العهد الجديد: الفرح بشخص الرب يسوع المسيح «الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ» (١بط ١: ٨)؛ والفرح بأن أسماءنا كُتبت في السماء (لو ١٠: ٢٠)؛ والفرح بمشاركة عُرس الخروف (رؤ ١٩: ٧)؛ والفرح عند سماع صوت الرب القائل: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ» (مت ٢٥: ٢١). هذا الفرح نراه محققاً في الكنيسة الأُولى، كما يخبرنا بذلك سفر أعمال الرسل. فالسامريون فرحوا فرحاً عظيماً عندما آمنوا برسالة الخلاص (٨: ٨)، ووزير الحبشة مضى في طريقه فرحاً عندما نال المعمودية على يديْ فيلبس الشماس (٨: ٣٩)، وشعب أنطاكية فرحوا ومجَّدوا الله عندما بشَّرهم بولس الرسول برسالة الخلاص (١٣: ٤٨).

الفرح في الضيقات:

وهذا نوع آخر من الفرح مارسه المسيحيون الأوائل. فقد طوَّب الرب يسوع المضطهَدين من أجل البر وأوصاهم أن يفرحوا لأن أجرهم عظيم في السموات (مت ٥: ١١و١٢). وهكذا نال الرسل هذا التطويب عندما جلدهم اليهود بسبب كرازتهم بالمسيح: «فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامَ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (أع ٥: ١٤). وفي الرسالة إلى العبرانيين نرى المسيحيين يختبرون الفرح عندما سُلبت أموالهم عالمين أن لهم مالاً أفضل في السموات وباقياً (عب ١٠: ٣٤). وقد أوصى القديس بطرس المسيحيين أن يفرحوا في آلام المسيح حتى يفرحوا في استعلان مجده (١بط ٤: ١٢-١٤)، بل إن القديس يعقوب يعتبر أن الوقوع في التجارب يؤدِّي إلى «كُلَّ فَرَحٍ» (يع ١: ٢).

أما القديس بولس فهو أكثر من أكَّد على هذه المضادة، وهي الفرح في الألم. فقد كان يرى أن آلامه هي مشاركة لآلام المسيح: «الآنَ أَفْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ، وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي» (كو ١: ٢٤). فقد كانت آلامه تُذكِّره دائماً بنعمة الرب أي بقوة المسيح التي كانت تعمل في ضعفه (٢كو ١٢: ٩). وكلمة "النعمة" χάρις (خاريس)، هي إحدى مشتقات كلمة الفرح χαρά (خارا). فنعمة المسيح هي الهبة التي تحوِّل آلامنا إلى فرح، وهي التي تجعلنا نختبر الفرح الكامل حتى ونحن في أشد

المحن والضيقات.

نرى ذلك واضحاً في الرسالة المُفرحة التي أرسلها القديس بولس إلى أهل فيلبي، والتي دعاهم فيها أن يفرحوا كل حين. فهو أولاً كان يُعاني من الإخوة الكذبة الذين كانوا "يُضيفون إلى وُثُقه ضيقاً" (١: ١٦)، ومع ذلك فهو يقول: «وَبِهذَا أَنَا أَفْرَحُ. بَلْ سَأَفْرَحُ أَيْضاً» (١: ١٧). ثم إنه كان مُلقى في السجن وكان ينتظر المحاكمة ولا يعرف هل سيُطلَق سراحه أم سيُقتاد إلى الموت، ومع ذلك نراه يقول: «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضاً: افْرَحُوا» (٤: ٤). ومن جهة أخرى كانت كنيسة فيلبي نفسها تُعاني من التحزُّبات والانشقاقات (٢: ١-١٢، ٤: ٢و٣)، وكانت وحدة الكنيسة مهدَّدة بالخطر. وطالما صار انقسام في الكنيسة، ابتعد الروح القدس، الذي هو روح الوحدة، عن العمل في وسط الجماعة، وبالتالي تختفي إحدى ثماره وهي الفرح (غل ٥: ٢٢). لذلك نرى القديس بولس يناشدهم قائلاً: «تَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْراً وَاحِداً وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (٢: ٢). أما الفرح الذي كان في ذهن القديس بولس في جميع هذه المواقف فهو الفرح الحقيقي الذي في الرب يسوع: «أَخِيراً يَا إِخْوَتِي افْرَحُوا فِي الرَّبِّ» (٣: ١).

هذا الفرح الذي اختبره المسيحيون الأوائل، والذي عاشت به الكنيسة حتى الآن بالرغم من عبورها المحن والضيقات والاضطهادات،

كان ثمرة لقيامة الرب من بين الأموات بعد أن أخذ على نفسه جميع ضعفات وانفعالات البشرية من حزن وضيق وآلام وبغضة، ليحوِّلها لنا ولحسابنا إلى محبة وفرح وسلام ووداعة وطول أناة. لذلك نرى الكنيسة تناشد أولادها في أنشودة القيامة قائلة:

+ [تعالوا يا جميع المؤمنين لنسجد لقيامة المسيح، لأنه من قِبَلِ صليبه أدخل الفرح إلى العالم كلِّه].

وتخاطب العذراء قائلة:

+ [ولدتِ أيتها العذراء مُعطي الحياة، وخلَّص آدم من الخطية ومنح حواء الفرح عِوَض الحزن، وأنعم لنا بالحياة والخلاص من الفساد والتغيير].

ثم تخاطب المريمات الواقفات عند القبر قائلة:

+ [إن زمن البكاء قد انقضى، لا تبكين بل بشِّرن بالقيامة للرسل][٧٩].

لقد كان تجسد الرب هو بداية دخول الفرح الحقيقي للعالم، واكتمل هذا الفرح بقيامته من بين الأموات.

يترنم القديس غريغوريوس العجائبي في عيد البشارة قائلاً:

[اليوم تتهلَّل صفوف الملائكة بالتسابيح،

---

[٧٩] كتاب التسبحة السنوية (الأبصلمودية)، تسبحة القيامة Ϯϩⲉⲛⲛⲁϯ

ونور حضرة المسيح يُضيء على المؤمنين.
اليوم قد جاء الربيع المبهج، الذي هو المسيح، شمس البر،
وقد أضاء حولنا بنوره البهي، وأنار أذهان المؤمنين.
اليوم آدم يُخلَق من جديد،
ويطفر مع الملائكة منطلقاً إلى السماء.
اليوم جميع أرجاء المسكونة اكتست بالفرح،
لأن الروح القدس قد حلَّ على البشر (لو ١: ٣٥).
اليوم النعمة الإلهية ورجاء الخيرات غير المنظورة
تُضيء بالعجائب التي تفوق العقل،
وتكشف لنا بوضوح السرَّ المخفي منذ الدهر...
اليوم يتم قول داود القائل:
«لتفرح السموات وتبتهج الأرض.
لتفرح البقاع وكل شجر الغاب،
أمام وجه الرب، لأنه يأتي» (مز ٩٥ /٩٦ سبعينية].

عظة لعيد البشارة

ويشرح القديس كيرلس الكبير قول الرب للمريمات بعد القيامة: «سلام لكما χαίρετε (أي افرحن)» (مت ٢٨: ٩) قائلاً:

بعد أن تعلَّمن السر من صوت الملائكة، فإنهن أسرعن ليبلغن

التلاميذ بهذه الأمور. كان لائقًا جدًا أن هذه النعمة، رغم أنها عظيمة جدًا أن تُحَوَّل للنساء، إذ إنَّ المرأة التى خدمت الموت فى القديم قد أُعتِقت الآن من إثمها، بالخدمة التى وصلتها بصوت الملائكة القديسين، وكذلك لأنها صارت الأولى لأنها أولاً: عَلِمت، وثانيًا: لأنها بلَّغَت سرّ القيامة المجيد. لذلك فإن الجنس النسائى قد نال البراءة من العار، وكذلك بطلت اللعنة، وذلك لأن الذى قال للمرأة فى القديم: بالوجع تلدين أولادًا (تك٣:١٦) هو الذى خلصها من البلية ، بأن قابلها فى البستان ـ كما ورد فى إنجيل آخر ـ وقال لها: "افرحي" (متى٢٨: ٩)[٨٠].

[٨٠] تفسير إنجيل لوقا، على الآية لو٢٤: ٩.

مواهب الروح القدس

*****

صاحَبَ حلول الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين ظهور كثير من المواهب الروحية التي لم تكن موجودة أصلاً، وكان أكثر هذه المواهب الروحية ظهوراً، وأكثرها أيضاً موضعاً للتساؤل؛ موهبة التكلُّم بألسنة، أي القدرة على التكلُّم بلغات أخرى جديدة لا يعرفها الشخص الذي يتكلَّم بها أصلاً، بل ينطق بها الروح القدس على فمه.

ويحوي كتاب العهد الجديد عدة كلمات تُرجمت في اللغة العربية إلى "موهبة"، وأكثر كلمة شيوعاً واستعمالاً هي كلمة χάρισμα (خاريزما)، والتي تعني "عطية مجانية، أو موهبة بلا مقابل". وهي الكلمة التي استُعمِلَت لتصف الحركة الخاريزماتية التي ظهرت منذ عدة سنوات في الغرب. وعادة ما تستعمل هذه الكلمة لتصف قوة الله الخاصة وغير المادية التي تعمل من خلال الإنسان المؤمن لكي يتكلَّم أو يخدم داخل الكنيسة، وقد وردت هذه الكلمة ١٧ مرَّة في العهد الجديد.

هناك كلمة أُخرى هامة تُرجمت إلى "موهبة روحية" وهي كلمة πνευματικός (بنفماتيكوس)، وهي من كلمة "روح" (بنفما) ومعنى الكلمة: "روحي، أو يخص الروح"؛ كما وردت في (١كو ١٢: ١، ١٤:

١)، وهي هنا تحمل نفس معنى كملة خاريزما تماماً: «وأما من جهة المواهب الروحية، أيها الإخوة، فلست أُريد أن تجهلوا ...».

وبالتأمل في هاتين الكلمتين نرى أن الموهبة هي أولاً: عطية مجانية، ثم هي عطية روحية أي تخص الروح القدس[81].

ومن أهم المواضع التي تتكلَّم عن المواهب الروحية الرسالة الأُولى لأهل كورنثوس الأصحاحات: (١٢-١٤). ففي هذه الأصحاحات يعالج بولس الرسول موضوع الجهل بالمواهب، وأيضاً موضوع استخدام المواهب استخداماً خاطئاً، وذلك لدى أهل كورنثوس. أما فائدة هذه المواهب فيوضِّحها القديس بولس أنها أولاً لمنفعة المؤمنين: «لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ» (١كو ١٢: ١١). ثم أنها لبنيان الكنيسة: «هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً، إِذْ إِنَّكُمْ غَيُورُونَ لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ، اطْلُبُوا لأَجْلِ بُنْيَانِ الْكَنِيسَةِ أَنْ تَزْدَادُوا» (١كو ١٤: ١٢). فالقيمة الأساسية للمواهب الروحية هي منفعة المؤمنين بعضهم لبعضٍ، وذلك بخدمتهم بعضهم لبعض: «لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً، يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً، كَوُكَلاَءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (١بط ٤: ١٠)، مما يؤدِّي إلى «بُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ» (أف ٤: ١٠)، حتى «يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١بط ٤: ١١).

---

81 Kindell H. Easley, *The Gifts of the Holy Spirit*, in Bib. Ill. Fall 1991, p. 61.

إذاً، فالمواهب الروحية هي لفائدة جماعة المؤمنين، وعندما تُبنى الجماعة، يتمجَّد الله، وبالتالي يتحد المؤمنون أكثر فأكثر كأعضاء في جسد المسيح الواحد: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً» (١كو ١٢: ١٢). وبسبب التركيز الشديد على وحدة جسد المسيح في هذه الأصحاحات، يصير المرء في شك عندما يسمع عن "مواهب روحية" تؤدِّي إلى انقسام الكنيسة أو إلى بلبلة وتـزعزع أعضاء الكنيسة.

المواهب الروحية وثمار الروح القدس:

يتكلَّم القديس بولس أيضاً عن طبيعة المواهب الروحية، فمواهب الروح تختلف عن ثمار الروح. فقد ذكر في رسالته إلى أهل غلاطية تسع ثمار للروح القدس وهي: «مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ» (غل ٥: ٢٢و٢٣)، ومن الواضح أن على جميع المسيحيين الذين نالوا عطية الروح القدس أن ينموا في جميع هذه الثمار. وهذه الثمار دائمة وأبدية، أما المواهب الروحية فهي مؤقتة وستنتهي: «الْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً. وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ، وَالأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي، وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ ... أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ» (١كو ١٣: ٨و١٣).

ثمار الروح لازمة لكل مسيحي وعليه أن يطلبها لكي ينمو فيها. أما المواهب فهي تختلف عن ذلك. فليس هناك مَنْ ينال جميع المواهب الروحية: «أَلَعَلَّ لِلْجَمِيعِ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يُتَرْجِمُونَ؟» (١كو ١٢: ٣٠)، وليس هناك مَنْ يحدِّد نوع الموهبة التي عليه أن يقتنيها. فالروح القدس هو الذي يحدد الموهبة: «قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ (الروح)» (١كو ١٢: ١١).

كما أنه يمكن أن يحدث تزييف لهذه المواهب إذا داخل الإنسان الكبرياء والغرور، واستعان بقدراته الطبيعية، حتى إنه يمكن أيضاً أن تساعده الشياطين وتغرر به، وهكذا يفقد أبديته وينطبق عليه قول الرب يسوع: «كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!» (مت ٧: ٢٢و٢٣). ولا عجب في ذلك: «لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!» (٢كو ١١: ١٤)، «فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ» (رؤ ١٦: ١٤).

يتضح من ذلك أن ثمار الروح وليس المواهب الروحية، هي الدليل الأكيد على سكنى الروح القدس في الإنسان وعمله في الخدمة التي يقوم بها.

المواهب الروحية والمواهب الطبيعية:

تختلف مواهب الروح عن المواهب الطبيعية. فالمواهب الطبيعية هي قدرات غريزية أو خلقية يمنحها الله للإنسان منذ ولادته الجسدية، مثل المواهب الرياضية أو الموسيقية ... إلخ. أما مواهب الروح فيمنحها الروح القدس مثلما حدث في يوم الخمسين بصفة خاصة، ويقول القديس بولس: «وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ ... لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً» (١كو ١٢: ١١و١٣).

ولكن المواهب الروحية لا تتعارض مع المواهب الطبيعية، فمن الممكن أن يتواجد الاثنان معاً، ومن الممكن أن يعمل الروح في المواهب الطبيعية للإنسان لينمو بها ويعطيها إمكانيات لم تكن موجودة قبلاً. كما أن من المواهب الروحية ما يناله الإنسان دون أية إمكانيات سابقة، ومثال ذلك: موهبة التكلُّم بالألسنة يوم الخمسين (أع ٢: ٤)، وموهبة الكرازة باسم المسيح التي نالها القديس بولس بمجرَّد تحوُّله إلى الإيمان المسيحي (أع ٩: ٢٠-٢٢). وكذلك مواهب إجراء المعجزات وعمل الأشفية التي نالها الرسل كعطايا ومنح فائقة. لذلك يصرِّح بولس الرسول أن المواهب الروحية الخارقة للطبيعة مثل عمل "الآيات والعجائب

والقوات"، هي من العلامات التي تميِّز الرسل (٢كو ١٢: ١٢).

أما المواهب التي تبدو أنها غير خارقة للطبيعة، مثل مواهب الخدمة والوعظ والعطاء والتدبير (رو ١٢: ٦-٨)، فمن الممكن أن يهبها الروح للإنسان بإحدى طريقين:

١. إما أن يكون الإنسان خالياً من أي مواهب طبيعية تصلح لبنيان الكنيسة، فيعمل فيه الروح ويمنحه مواهب تمكِّنه من العمل لأجل بنيان الكنيسة. ولنا مثال في ذلك الآباء الرسل، الذين كانوا في غالبيتهم من عامة الشعب، لكن بعد حلول الروح القدس عليهم، صاروا معلمي المسكونة: «فَلَمَّا رَأَوْا مُجَاهَرَةَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، وَوَجَدُوا أَنَّهُمَا إِنْسَانَانِ عَدِيمَا الْعِلْمِ وَعَامِّيَّانِ تَعَجَّبُوا. فَعَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ» (أع ٤: ١٣).

٢. وإما أن يكون للإنسان مواهب وقدرات طبيعية فينميها الروح ويجعلها تعمل لحساب ملكوت الله، وخير مثال على ذلك القديس بولس الرسول، الذي كان متبحراً في العلوم اليهودية غيوراً على تعليم الآباء: «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ، وَلَكِنْ رَبَيْتُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ، مُؤَدَّباً عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ. وَكُنْتُ غَيُوراً لِلَّهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعُكُمُ الْيَوْمَ» (أع ٢٢: ٣)، فاستخدمه الروح بعد إيمانه لأنه رأى أنه

إناء مختار للكرازة بالإنجيل: «فَأَجَابَ حَنَانِيَّا: يَا رَبُّ قَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَثِيرِينَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ كَمْ مِنَ الشُّرُورِ فَعَلَ بِقِدِّيسِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ. وَهَهُنَا لَهُ سُلْطَانٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُوثِقَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِكَ. فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: اذْهَبْ لأَنَّ هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي» (أع ٩: ١٣-١٦).

الروح القدس مانح المواهب:

في الرسالة الأُولى لأهل كورنثوس (١كو ١٢: ٧-١١)، يصرِّح القديس بولس ست مرَّات أن الروح القدس هو مانح المواهب الروحية، وأن الروح القدس هو الذي يحدِّد الموهبة التي يمنحها للإنسان: «وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ» (٢كو ١٢: ١١). والروح القدس لا يمنح مواهبه وهو بمعزل عنَّا، أو أنه يمنحها من على بُعدٍ، بل يمنحها وهو في حالة حلول أو سُكنَى. وما المواهب الروحية إلا نتيجة حلول الروح القدس: « لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً» (أع ١: ٨). الروح القدس يحلُّ في كياننا مانحاً إيَّانا مواهبه: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلاَ حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِباً»

(ايو ٢: ٢٧). أي أنه عندما يحل الروح القدس ويسكن في الإنسان يبدأ يعمل أعماله ويمنح قوّاته: «وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ **سَاكِناً فِيكُمْ**، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضاً **بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ**» (رو ٨: ١١).

أصحاب المواهب:

كم من المسيحيين يملكون مواهب الروح؟ بحسب ما كتبه الرسولان بطرس وبولس، فإن جميع المسيحيين يملكون مواهب الروح القدس. يقول القديس بولس: «**لِكُلِّ وَاحِدٍ** يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ... وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِماً **لِكُلِّ وَاحِدٍ** بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ» (١كو ١٢: ٧و١١). ويقول القديس بطرس: «لِيَكُنْ **كُلُّ وَاحِدٍ** بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً، يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً» (١بط ٤: ١٠). فإن كان قد أُعطِيَ في الكنيسة الأُولى لجميع المسيحيين أن ينالوا مواهب الروح، فلماذا نرى أن أصحاب المواهب قليلون بيننا؟ ذلك لأن الموهبة تحتاج إلى إضرام: «لاَ تُهْمِلِ الْمَوْهِبَةَ الَّتِي فِيكَ، الْمُعْطَاةَ لَكَ بِالنُّبُوَّةِ مَعَ وَضْعِ أَيْدِي الْمَشْيَخَةِ. اهْتَمَّ بِهذَا. كُنْ فِيهِ، لِكَيْ يَكُونَ تَقَدُّمُكَ ظَاهِراً فِي كُلِّ شَيْءٍ. لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ، لأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هذَا، تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضاً» (اتي ٤: ١٤-١٦). ويكرّر القديس بولس الرسول وصيته لتلميذه تيموثاوس مرّة أخرى قائلاً: «أُذَكِّرُكَ أَنْ

تُضْرِمَ أَيْضاً مَوْهِبَةَ اللهِ الَّتِي فِيكَ بِوَضْعِ يَدَيَّ، لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ» (٢تي ١: ٦و٧).

وهكذا يتضح من رسالتي القديس بولس لتلميذه تيموثاوس، ضرورة الطاعة والخضوع للآباء الروحيين والحاجة إلى مشورتهم وإرشادهم ونصحهم من أجل نمو الموهبة وتسخيرها لبنيان الكنيسة ومجد المسيح. كما أن الذين يُطفئون الروح أو يُحزنونه بمخالفة وصايا الله أو اتِّباع أهوائهم لا يمكن أن يعمل فيهم الروح بمواهبه.

أنواع المواهب:

يذكر القديس بولس أن هناك الكثير من المواهب الروحية: «أَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ» (١كو ١٢: ٤)، ولكنه لا يحصر هذه المواهب جميعها. وهو يذكر هذه المواهب في أربعة مواضع متفرِّقة من رسالته. ففي (١كو ١٢: ٨-١٠) يذكر تسع مواهب: «فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ **حِكْمَةٍ**، وَلآخَرَ كَلاَمُ **عِلْمٍ** ... وَلآخَرَ **إِيمَانٌ**، وَلآخَرَ **مَوَاهِبُ شِفَاءٍ** ... وَلآخَرَ **عَمَلُ قُوَّاتٍ**، وَلآخَرَ **نُبُوَّةٌ**، وَلآخَرَ **تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ**، وَلآخَرَ **أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ**، وَلآخَرَ **تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ**».

وفي (١كو ١٢: ٢٨-٣٠) يذكر ثماني مواهب، منها أربع مواهب جديدة تُضاف إلى المواهب السابقة: «فَوَضَعَ اللهُ أُنَاساً فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلاً **رُسُلاً**، ثَانِياً أَنْبِيَاءَ، ثَالِثاً **مُعَلِّمِينَ**، ثُمَّ **قُوَّاتٍ**، وَبَعْدَ ذلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ، **أَعْوَاناً**،

تَدَابِيرَ، وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ».

وفي رسالة رومية (١٢: ٦-٨) يذكر سبع مواهب، منها أربع مواهب جديدة: «وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ **مُخْتَلِفَةٌ** بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ ... أَمْ خِدْمَةٌ ... أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ، أَمِ **الْوَاعِظُ** فَفِي الْوَعْظِ، **الْمُعْطِي** فَبِسَخَاءٍ، **الْمُدَبِّرُ** فَبِاجْتِهَادٍ، **الرَّاحِمُ** فَبِسُرُورٍ».

وأخيراً في رسالة أفسس (٤: ١١)، يذكر خمس مواهب منها اثنتان جديدتان: «وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ **مُبَشِّرِينَ**، وَالْبَعْضَ **رُعَاةً** وَمُعَلِّمِينَ» وبالطبع من الممكن أن يضيف الروح أية مواهب أخرى غير المذكورة.

وعموماً تنقسم هذه المواهب إلى مجموعتين: الأُولى، مواهب العمل (الخدمة)، والأخرى، مواهب الكلام. ويضع القديس بطرس شرطاً لاستعمال هذه المواهب جميعاً: «إن كان يتكلَّم أحدٌ فكأقوال الله، وإن كان يخدم أحدٌ فكأنه من قوَّة يمنحها الله، لكي يتمجَّد الله في كل شيء بيسوع المسيح» (١بط ٤: ١١).

المواهب اليوم:

هل ما زالت هذه المواهب جميعها تُمنح للمؤمنين في أيامنا هذه؟ إن الروح القدس الذي كان يعمل في الكنيسة الأُولى هو نفسه الروح الذي

يعمل الآن في الكنيسة. ولكن في الكنيسة الأُولى كان هناك احتياج لمواهب خاصة تظهر بقوة ووضوح، مثل التكلُّم بألسنة، وذلك لمعونة الرسل والكارزين للبشارة بالكلمة بين الأُمم المختلفة، ولتثبيت كرازتهم بعمل الآيات والمعجزات.

نحن نعلم أن هذه المواهب لم تتوقف في الكنيسة بعد ذلك. فكثير من آباء الرهبنة الأوَّلين نالوا موهبة التكلُّم بلغات أخرى لمنفعة الذين يلتجئون إليهم طلباً لخلاص نفوسهم، مثلما حدث مع القديسَيْن أنبا مقار وأنبا باخوميوس، وما زالت هذه الموهبة تظهر في الكنيسة بين الحين والآخر.

ولا شك أن الروح القدس مازال قادراً أن يمنح المؤمنين الآن مواهب جديدة تُناسب احتياج الكنيسة في هذه الأيام، ولكنه يحتاج أولاً إلى النفوس المخلصة والأواني المعدَّة لقبوله. ونحن لا نصلِّي من أجل اقتناء المواهب، لأن الروح القدس هو الذي يمنح المواهب لكل واحدٍ كما يشاء؛ بل نصلِّي لكي يهبنا الله الروح القدس حسب وعده المبارك: «يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ» (لو ١١: ١٣)، ولكي تمتلئ بثمار الروح، ولكي يحفظ الله أصحاب المواهب من الضياع، وأن يستخدم الموهبة لأجل بنيان الكنيسة حتى يتمجَّد الله بيسوع المسيح ربنا.

يشرح القديس إيرينيئوس في كتابه ضد الهرطقات، كيف أن الموهبة

هي عطية من الروح القدس، والموهبة تحتاج إلى الكنيسة لكي تنمو فيها:

[كما أن نفخة الله قد حلَّت في الجبلة الأولى،
هكذا استؤمنت الكنيسة على عطية الله (أي الروح القدس)،
حتى باشتراك جميع الأعضاء فيه، ينالون منه الحياة.
وفي الكنيسة اذُّخرت الشركة مع المسيح،
التي هي الروح القدس عينه،
عربون عدم الفساد وثبات إيماننا،
والسلَّم الصاعد إلى الله...
لأنه حيث تكون الكنيسة،
يكون روح الله؛
وحيث يكون روح الله،
تكون الكنيسة وكل موهبة.
والروح هو حق،
ولذلك فالذين لا يشتركون فيه
لا يرضعون ثدي أمهم (الكنيسة) لينالوا الحياة،
ولا يرتشفون من الينبوع الصافي الذي ينبع من جسد المسيح.]

(ضد الهرطقات ٣:٢٤:١)

التبني

*****

من أسمى وأعز المفاهيم التي تقابلنا في الكتاب المقدَّس، أن الله العظيم الأبدي، خالق الكون وما فيه، ارتضى بل وسُرَّ أن يدعو البشر الخطاة الترابيين أولاداً له. وفكرة أن يصير الإنسان ابناً لله يشرحها الكتاب المقدَّس بطرق متعدِّدة إحدى هذه الطرق تتركز حول مفهوم "التبني".

وكلمة التبني υἱοθεσία (هيو - ثيسيا)، ترد في العهد الجديد خمس مرَّات، جميعها في رسائل القديس بولس، وعندما ذكر بولس الرسول هذه الكلمة لم يشرحها أو يعقِّب عليها، لأنه كان يعلم أن سامعيه يفهمون ما تعنيه هذه الكلمة.

التبني في العهد القديم:

نادراً ما نتقابل مع فكرة التبني في العهد القديم، فلم يكن لدى العبرانيين مصطلحٌ لغويٌ للتعبير عن التبني، كما أن شريعة التبني لا نجد لها أثراً ضمن شرائع العهد القديم. ربما يرجع السبب في ذلك إلى إمكان حل مشكلة إنجاب البنين لدى الإسرائيليين عن طريق بدائل أخرى خلاف التبني. فتعدد الزوجات الذي كان مسموحاً به، وشريعة

زواج الأخ من زوجة أخيه المتوفي ليُقيم له نسلاً (تث ٢٥: ٥-١٠)، قلّلت من الاحتياج إلى ممارسة التبني، كذلك فإن شريعة بقاء الميراث داخل السبط الواحد، وعدم السماح بانتقال المواريث خارج الأسباط (لا ٢٥: ٢٣)، هدّأت بعض مخاوف الوالديْن اللذيْن بلا نسل[٨٢].

وبدراسة عادة التبني التي كانت شائعة في منطقة سوريا وما بين النهرين، يمكننا أن نُلقي الضوء على حالات التبني القليلة التي تمت في العهد القديم. فالتبني في الشرق الأوسط في القديم كان عملاً قانونياً مسموحاً به، حيث كان يتم انتساب الشخص إلى عائلة جديدة غير عائلته، مع تمتعه بكافة الامتيازات والمسئوليات التي يتمتع بها ابن العائلة الحقيقي. وبتطبيق هذا المبدأ على كتاب العهد القديم يمكننا تمييز بعض حالات التبني القليلة التي وردت فيه مثل: تبني إبراهيم أبي الآباء لأليعازر الدمشقي (تك ١٥: ٣)، وتبني ابنة فرعون لموسى (خر ٢: ١٠)، ومردخاي لأستير (أس ٢: ٧ و١٥)، وربما تكون أيضاً تحفنيس ملكة مصر قد تبنّت جنوبث (١مل ١١: ٢٠).

وللتبني في العهد القديم معنى روحي أيضاً، فالله كان يعتبر إسرائيل ابناً له، وإن كان شعب إسرائيل لم يراعِ واجبات هذه البنوّة: «رَبَّيْتُ بَنِينَ

---

82 C. F. D. Moule, Adoption, in: The Interpreter Dictionary of the Bible, vol. I, p. 48.

وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. الثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ» (إش ١: ٢و٣). وكان جُل اهتمام الله باعتبار إسرائيل ابناً له أن يتمسَّك إسرائيل بهذه البنوَّة فلا يجحدها ولا يتخلَّى عن أبوَّة الله له: «وَأَنَا قُلْتُ كَيْفَ أَضَعُكِ بَيْنَ الْبَنِينَ، وَأُعْطِيكِ أَرْضاً شَهِيَّةً، مِيرَاثَ مَجْدِ أَمْجَادِ الأُمَمِ؟ وَقُلْتُ تَدْعِينَنِي يَا أَبِي، وَمِنْ وَرَائِي لاَ تَرْجِعِينَ» (إر ٣: ١٩). وأكثر من ذلك يقول الله إن «إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ» (خر ٤: ٢٢)، وأيضاً: «لأَنِّي صِرْتُ لإِسْرَائِيلَ أَباً، وَأَفْرَايِمُ هُوَ بِكْرِي» (إر ٣١: ٩).

كما تظهر أبوَّة الله أيضاً في اختيار الملك الآتي من نسل داود ليُدعَى اسم الله عليه: «هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. أَنَا أَيْضاً أَجْعَلُهُ بِكْراً، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ. وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسْلَهُ، وَكُرْسِيَّهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَوَاتِ» (مز ٨٩: ٢٦-٢٩).

ويمكننا ملاحظة هذا الاختيار الإلهي خلف كلمات بولس الرسول عن بني إسرائيل: «... إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ، الَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلَهُمُ التَّبَنِّي وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ وَالاِشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ» (رو ٩: ٣و٤).

التبني في العهد الجديد:

كانت شريعة التبني منتشرة في العالم اليوناني والروماني في زمن الرسل. فعند اليونانيين كان يتم إشهار التبني في ساحة السوق العام أمام مواطني المدينة، ثم يتم تسجيل اسم الشخص المتبنَّى في الكشوفات العامة للمدينة بعد ذلك. وكان من شروط التبني أن يحتفظ الشخص باسمه واسم عائلته والآلهة التي كان يعبدها. أما عند الرومان فكانت إجراءات التبني تتم بأن يقوم الوالد ببيع ولده للأب الجديد ثلاث مرَّات، بعدها يَمْثُل الوالد الجديد أمام القاضي ويُعلن أن هذا الولد صار ابناً له. وهكذا يصبح هذا الابن هو الوريث الشرعي لأبيه بالتبني[٨٣].

من هذا نفهم أن القديس بولس كان يستعمل مصطلحاً يعرفه جيداً جميع قُرَّائه. ففي رسالته إلى أهل رومية، يذكر الرسول لهم كلمة التبني (هيو - ثيسيا) ليشرح علاقة الله بشعب إسرائيل واختياره لهم، كما ذكرنا آنفاً. أما في الأربع مرَّات الأخرى التي يذكر فيها هذه الكلمة فإنه يصف علاقة الله بإسرائيل الجديد، أي المؤمنين بابنه يسوع المسيح.

(أ) التبني كهبة روحية: (أف ١: ٣-٥)

لم يكن اختيار القديس بولس لتعبير التبني عفوياً، لقد أراد أن

---

[83] Schweizer, υἱοθεσία, in: Theological Dictionary of the New Testament, vol. VIII, p. 398.

يوضِّح أن بنوتنا لله ليست بنوَّة طبيعية؛ بل هي هبة روحية يمنحنا إياها الله. ولم يلجأ الله للتبني كحلٍّ أخير لمشكلة الإنسان؛ بل كانت عطية التبني في فكر الله قبل خلقتنا؛ بل منذ الأزل، وهي ترتكز بالدرجة الأُولى على محبة الله لنا في المسيح يسوع:

+ «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ».

ويشرح هذا المعنى القديس كيرلس الكبير:

[الكلمة وضع نفسه
لكي يرفع إلى علوِّه الخاص ما هو وضيع بحسب الطبيعة.
ولبس شكل العبد، مع كونه بالطبيعة هو الرب وهو الابن،
ليُحوِّل من هو عبد بالطبيعة إلى مجد التبني بمشابهته وباللجوء إليه.
فقد صار مثلنا أي إنساناً لنصير نحن مثله، أي آلهةً وأبناءً؛
وهكذا أخذ لنفسه ما هو لنا لكي يُعطينا في المقابل ما هو له...
إننا نرتقي إلى ما يفوق الطبيعة بمشابهتنا له،
فمع أننا لسنا أبناءً بالطبيعة، قد دُعينا أبناءً لله...

إن إله الكون كله هو آبٌ للمسيح بالطبيعة وبالحق،
وأما لنا فهو ليس أباً لنا بحسب الطبيعة،
بل بالحري هو إلهٌ لنا باعتباره هو خالقنا وربٌ لنا؛
غير أن الابن لمَّا مزج نفسه بنا بنوع ما،
أنعم على طبيعتنا بالكرامة التي هي أصلاً خاصة به بصفة رئيسية،
فدعا أباه الخاص أباً مشتركاً لنا (يو٢٠: ١٧ «أبي وأبيكم»)][٨٤].

(ب) التبني والميراث الإلهي: (غل ٤: ٤-٧)

بحسب القوانين والشرائع لا يستطيع الابن القاصر أن يتمتع بميراث أبيه؛ بل يكون تحت أوصياء (غل ٤: ١). هكذا كنا نحن تحت وصاية الناموس ولم يكن لنا الحق أن ندعو الله أبانا، أو أن ننال ميراثاً سماوياً. ولكن في الوقت المعيَّن من الله، وذلك عندما تجسَّد الابن الوحيد، أعطانا الله التبني في المسيح يسوع، فصرنا ورثة لله بالمسيح. ليس ذلك فقط؛ بل إن الله أعطانا روحه القدوس الذي به نستطيع أن نصرخ إلى الله قائلين: «أبا، أيها الآب». وكلمة "أبا" كلمة أرامية كان يستعملها الأطفال عندما ينادون على أبيهم:

+ «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ. ثُمَّ بِمَا

---

[٨٤] تفسير إنجيل يوحنا على الآية ٢٠: ١٧، PG 74, 700

أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ». إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ».

ويعلِّق القديس أثناسيوس الرسولي على هذه الآية قائلاً:

[هذه هي محبة الله للبشر، أن الذين هم أصلاً مجرَّد خلائق وهو خالقهم، قد صار لهم فيما بعد أباً بحسب النعمة. وقد تحقَّق ذلك عندما قَبِلَ البشر المخلوقون «روح ابنه في قلوبهم صارخاً يا أبا الآب» بحسب قول الرسول].

ويستطرد القديس أثناسيوس ليشرح الميراث السماوي الذي سنناله فيقول:

[قد صار الكلمة جسداً لكي يجعل الإنسان قادراً أن يتقبَّل اللاهوت][85].

(ج) التبني والعتق من العبودية: (رو ٨: ١٥: ١٧)

ويعود القديس بولس في الرسالة إلى أهل رومية ليؤكِّد على بنوَّتنا لله وعلى حقنا في الميراث السماوي. فقبل تجسُّد المسيح كان يسيطر علينا روح العبودية، وكنا نسلك كعبيد للخطية. لكن بعد الإيمان بالمسيح

---

[85] ضد الأريوسيين ٢: ٥٩

والولادة الجديدة من الماء والروح نلنا روح التبني، روح العتق من الخطية وسلطان الظلمة. وبالتالي صار بمقدورنا أن ندعو الله أباً لنا، وصرنا وارثين لله ووارثين مع المسيح. فإن كنا الآن نجوز تحت آلام هذا الزمان، فهذا سيؤول حتماً إلى مجد لنا:

+ «إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: يَا أَبَا الآبُ ... فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ».

ويتغنَّى القديس كيرلس الكبير في انتقالنا من العبودية إلى البنوية قائلاً:

[يا للجود الفائق! ويا للطف المنقطع النظير واللائق به وحده!
إنه يخلع علينا مجده الخاص! إنه يرفع العبيد إلى كرامة الأحرار!
فيكلل حالة الإنسان بمثل هذه الكرامة التي تفوق قوة الطبيعة،
ويحقق ما سبق وأخبر به بواسطة صوت المرنم قديماً:
أنا قلت أنكم آلهة، وبنو العلي كلكم (مز ٨١: ٦ سبعينية)،
فهنا هو يحررنا من مستوى العبودية،
واهبًا لنا بنعمته، ما لم نكن نملكه بالطبيعة،
إنه يسمح لنا أن ندعو الله أباً لنا، بصفتنا قد ارتقينا إلى طقس

البنين] .[86]

(د) **كمال التبني**: (رو ٨: ٢٢ و٢٣)

وأخيراً وفي نفس الرسالة إلى أهل رومية، ينتقل القديس بولس من التأكيد على موضوع التبني الحاصل الآن بصورة غير كاملة، إلى التبني في المستقبل في صورته النهائية. فبالرغم من أننا أولاد الله، فإننا نخضع الآن لبعض الآلام، مما يدفعنا إلى الأنين والصراخ حتى ننال التبني في صورته النهائية. ويشاركنا في هذا الأنين الخليقة بأجمعها التي تتوقع هي أيضاً التجلي في القيامة الأخيرة.

+ «فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعاً إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا».

ففداء الجسد يشير إلى القيامة الأخيرة. فالإنسان المسيحي، ومعه الخليقة كلها، يتوقع بصبر وصول علاقته بالله إلى كمالها، وعندها سوف يختبر بحق معنى المفهوم الكامل للتبني لله. في هذا المعنى يقول القديس يوحنا اللاهوتي:

+ « أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ! ... أَيُّهَا

[86] تفسير لوقا ١١: ١.

الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ (بالتبني)، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ (التبني في صورته النهائية). وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ».

- إن استعمال القديس بولس لتعبير التبني ليشرح به علاقتنا بالله، يضع في ذهننا مفاهيم أساسية علينا أن نعيها جيداً:
- فالتبني يذكّرنا أننا لسنا أبناء الله بالطبيعة؛ بل بنوّتنا لله هي عطية منه، وبالتالي لم يكن لنا في الماضي أية حقوق لدى الله كأبناء.
- بنوّتنا لله تعتمد على سبق اختيار الله لنا، وأنه أعدنا لهذا التبني من قبل تأسيس العالم.
- بنوّتنا لله تمّت بتجسُّد ابن الله الحقيقي، حيث صرنا فيه أولاداً لله، ودخلنا في علاقة حب تطرح الخوف إلى خارج.
- وكأبناء لله، أصبح لنا الحق في ميراث الله، ويوماً ما سنختبر مجد هذه البنوّة في صورتها الكاملة.

الكرازة

******

يتكرر الفعل "يكرز" ومشتقاته في العهد الجديد أكثر من سبعين مرة. وهذا الفعل في أصله اليوناني κηρύσσω (كيرسُّو) يعني "الإعلان أو المناداة": أي إذاعة وإعلان حقائق محددة بواسطة منادٍ κῆρυξ (كيركس). أما الحقيقة المعلنة أو الرسالة التي يتم الكرازة بها فتسمَّى κήρυγμα (كريجما)[٨٧].

وإذا أردنا أن نعرف معنى الكرازة أو الكريجما من أسفار العهد الجديد، علينا أن نستبعد من فكرنا مفهوم الكرازة بمعنى إلقاء عظة بليغة تخضع لقوانين الوعظ والخطابة، فليس هذا هو المقصود بالكرازة. فالعظة كانت تسمَّى "هوميليا ὁμιλία" وليس "كريجما"، وهي تُلقى عادة على مجموعة من المؤمنين، أما "الكريجما" فكانت تُلقى على غير المؤمنين.

كذلك ليس "الكريجما" مجموعة من التعليم (ديداخي διδαχή) أو النصائح الأخلاقية (باراكليسيس παράκλησις)، ولا مجموعة من

---

[87] G. Friedrich, *κηρύσσω, κήρυγμα*, in *TDNT*, Vol. III, p. 683-718.

التأملات والشروحات على بعض آيات الكتاب المقدس كما كان يحدث في المجامع. فهذه جميعها كانت تهتم بأسلوب الحياة وتنظيم العبادة داخل الجماعات المسيحية. أما الكرازة أو "الكريجما" فهي إعلان عن حقيقة مطلقة تبدو جديدة بالنسبة للخبرة البشرية، ولا يمكن أن تخرج هذه الحقيقة عن موضوع تجسُّد الرب يسوع وموته وقيامته، والخلاص الذي قدَّمه للبشرية إن تابت وآمنت بالإنجيل[٨٨].

المسيحية لا تكرز بمبادئ أخلاقية أو بشرائع اجتماعية، فهذه كلها وليدة الحياة المسيحية وتأتي كنتيجة مترتبة على الكرازة، ولكن ليست هي الكرازة. المسيحية لا تكرز إلا بيسوع المسيح القائم من بين الأموات، الذي «لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أع ٤: ١٢).

التعليم والكرازة:

في كتاب العهد الجديد، وخاصة في الأناجيل الثلاثة الأولى، تتكرر كلمتا الكرازة والتعليم معاً: «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ» (مت ٤:٢٣؛ ٩:٣٥؛ ١١:١). وكان مكان التعليم عادة داخل المجمع، أما الكرازة فكانت تتم في أي مكان في

---

[88] M. Scott Fletcher, *Preaching,* in "Dictionary of the Apostolic Church", Vol. II, pp. 258-261.

الخلاء[٨٩].

كان التعليم يختص بتفسير الأسفار المقدسة أثناء الصلوات الطقسية في المجمع لكي يفهم المؤمنون الصلاة بصورة أعمق. أما الكرازة فكانت تمثِّل صراخ الكارز في الشوارع والقرى والبيوت. كان الكارز يذهب للجميع، للعشارين والخطاة، وكان يجذب انتباه أولئك الذين هم من خارج، والذين يُمنعون من حضور الصلاة مع الأبرار (لو ١٨:١٣)، فلمثل هؤلاء أيضاً جاءت دعوة الكرازة.

يذكر أيضاً الكتاب المقدس أن الكرازة كانت تتم في المجامع (أع ٩:٢٠). فيسوع عندما كان يُعلِّم في المجامع لم يكن يُقدِّم لهم تعاليم نظرية، ولم يكن يفسِّر لهم الكتب على طريقة الرابِّيين، ولم يكن يُخبر الحاضرين عمَّا ينبغي أن يفعلوه. لقد كان تعليمه كرازة. كان يخبرهم عمَّا تممه الله لهم في هذا اليوم: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ» (لو ٤:٢١). كان تفسيره يمثِّل صرخة الكارز، وكان تعليمه عن مجيء ملكوت الله يتطلب قراراً، إما القبول أو الرفض. لذلك كانت كرازته تختلف تماماً عن تعليم الرابِّيين في المجامع: «لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ» (مت ٧:٢٩).

[٨٩] لم نسمع أبداً عن يوحنا المعمدان أنه كان معلِّماً، بل رأيناه كارزاً في البرية (مت ٣:١).

الإرسالية والكرازة:

يقول القديس بولس الرسول: «كَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا؟» (رو ١٠:١٥)، وهي عبارة قاطعة نفهم بها وظيفة الكارز. وليس من قبيل المصادفة أن تتكرر كلمتا الكرازة والإرسالية معاً في العهد الجديد[٩٠]. فبدون تكليف وإرسال، لا يكون هناك كارز، وبدون كارز لا تكون كرازة. فالكرازة الحقيقية لا تتم عن طريق الكتب المقدسة بمفردها، بل عن طريق تطبيق معانيها تطبيقاً سليماً (لو ٤:٢١).

لم يُرسل الله كتباً للناس، بل أرسل رسلاً. وباختياره مَنْ يقوم بمهمة الكرازة، أسس خدمة الكرازة في الكنيسة. وأثناء خدمة المسيح على الأرض كان على الرسل فقط أن يقوموا بمهمة الكرازة (مت ١٠:٧). وكان عليهم أن يتمموا كرازتهم في فترة محددة. وبعد قيامته من بين الأموات أعاد تكليف الرسل بمهمة الكرازة: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا» (مر ١٦:١٥)؛ «هذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ... وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ» (أع ١٠:٤٠و٤٢). لقد كانت وصية يسوع القائم من بين الأموات، الذي هو رب الجميع، أن يكرز التلاميذ ليس لليهود فقط، بل للخليقة كلها دون أدنى تمييز (كو ١:٢٣).

قد يبدو شرط الإرسالية تقييداً لخدمة الكرازة، ولكنه يحمل في

---

[٩٠] مر ٣:١٤، لو ٤:١٨؛ ٩:٢، ١تي ٢:٧، ٢تي ١:١١، تي ١:٣، مت ١٠:٧، مر ١٦:١٥.

حقيقته تعزيزاً وتأييداً للكرازة. فصاحب الإرسالية يمد الكارز بالرسالة وبالسلطان على تتميم الرسالة. فلم يكن الرسول يكرز برؤيته الخاصة أو باستكشافاته الشخصية، بل كان يكرز بما سمعه وبما عُهد إليه أن يُخبر به: «اَلَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلْمَةِ قُولُوهُ فِي النُّورِ، وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي الأُذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ» (مت ١٠:٢٧). فبدون دعوة وإرسال تصبح الكرازة خداعاً واحتيالاً، إذ تصبح مناداة بأشياء ليست حقيقية، أي تصبح دعاية أكثر منها إرسالية.

المعجزات والكرازة:

يفتتح إنجيل القديس متى خدمة الرب يسوع هكذا: «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ» (مت ٤:٢٣). وعندما أرسل يسوع تلاميذه أوصاهم أن «يَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى» (لو ٩:٢). فإن كانت الكرازة ـ أية كرازة ـ إعلاناً حقيقياً عن عمل الله، يكون الله هو المصاحب والساهر على عمله، ويتأكَّد ذلك بالمعجزات والعجائب التي يجريها على أيدي رسله.

ليس للمعجزة أهمية في حد ذاتها، ولكن الأهمية ترجع إلى الرسالة المعلنة - "الكريجما"؛ وما الآيات والمعجزات إلا دليلٌ على صدق هذه الرسالة: «وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ

الْكَلاَمَ بِالآيَاتِ التَّابِعَةِ» (مر ١٦:٢٠)، «شَاهِداً اللهُ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَسَبَ إِرَادَتِهِ» (عب ٢:٤).

ولم تكن الجموع تنبهر بسبب العجائب التي كان يجريها الرسل، على غرار انبهارهم من أعمال السحر التي كانت تُجرى باسم الآلهة اليونانية؛ بل اندهشت الجموع بالأكثر من التعليم والرسالة التي أعلنها التلاميذ. فبالنسبة للمؤمنين بـ "كلمة الله"، كانت المعجزة إثباتاً لحضوره معهم. أما غير المؤمنين الذين أرادوا - لكي يؤمنوا - أن يروا آيات ومعجزات، فحتى المعجزات في هذه الحالة لم تُجْدِهِمْ نفعاً، «لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!» (١كو ١:٢٢و٢٣).

مضمون الكرازة (الكريجما):

عندما ظهر الرب يسوع لتلاميذه بعد قيامته من بين الأموات، أوجز لهم كل مضمون الكرازة، وسلَّمهم الرسالة التي بنوا عليها بعد ذلك كرازتهم في جميع الأمم: «... **لاَبُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي** فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ ... هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ، وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ. وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي» (لو ٢٤:٤٦-٤٩). هذا هو

مضمون الكرازة، وعلى هذا الأساس كرز الرسل للمسكونة كلها:

أ. الله والمسيح:

في بدء كرازة الرب يسوع، نادى أنه قد اقترب ملكوت الله. أما بعد موته وقيامته فقد دخل عنصر جديد على كرازة الرسل، وهو شخص المسيح نفسه ورسالته. لم يتخلَّ الرسل عن الكرازة بمجيء ملكوت الله (أع ٨:١٢؛ ٢٠:٢٥)، لكن هذه الكرازة أخذت بُعْداً جديداً. فبشخص المسيح تأسس مُلكه على الأرض، وبنعمته وبعمل الروح القدس صار هناك إمكانية لحلول ملكوت الله بين الناس.

وكأساس للكرازة بالمسيح لزم الكرازة بعقيدة وجود الله ووحدانيته، خاصة للأمم الوثنية التي اعتادت على عبادة آلهة كثيرة (أع ١٧:٢٢؛ ١تس ١:٩). وبدون شك كان في المقدمة الكرازة لكل الأمم: «بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى» (أف ٣:٨). وفي عبارة موجزة، كان شخص المسيح هو الموضوع الأساسي لكرازة الرسل. ففيلبُّس الشماس ذهب إلى السامرة «**وَكَانَ يَكْرِزُ لَهُمْ بِالْمَسِيحِ**» (أع ٨:٤). ولما تقابل مع الخصي الحبشي «بشَّره بيسوع» (أع ٨:٣٥). وبعد استشهاد إستفانوس، ذهب البعض إلى أنطاكية «كَانُوا يُخَاطِبُونَ الْيُونَانِيِّينَ مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ» (أع ١١:٢٠). ويحذِّر القديس بولس أهل كورنثوس من قبول أيِّ إنسان يكرز لهم "بيسوع آخر" غير الذي كرز به (٢كو ١١:٤). لأنه لما صار "الكلمة"

جسداً، صار هو الإعلان الحقيقي عن الله: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤: ٩).

ب. موت المسيح والفداء:

لم ترتكن الكرازة بالمسيح إلى مفاهيم مجردة، لكن كما كرز المسيح نفسه، هكذا بدأ الرسل كرازتهم بإعلان "حقائق" وليس بالمناداة بشرائع أو بقوانين أخلاقية. وكانت أول حقيقة هي أن يسوع هو المسيح (المسيَّا). والحقيقة الثانية هي أن يسوع المسيح هو (المسيَّا) الذي تألم وصُلب ومات وقام من بين الأموات.

ولم تكن الكرازة بالمسيح المصلوب من الأمور السهلة أو المحببة على آذان السامعين، ذلك لأن الصليب كان عثرة لليهود، وجهالة لليونانيين. أما القديس بولس فقد اعتبر موت المسيح هو بؤرة الكرازة ومركزها الرئيسي، لأن به استُعلن عمل المسيح الكفَّاري كمخلِّص لجميع الناس: «وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً» (١كو ١: ٢٣)، «لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً» (١كو ٢: ٢). ذلك لأن «كلمة الصليب» (١: ١٨) هي نفسها «كلمة المصالحة» (٢كو ٥: ١٩) التي كرز بها بولس الرسول بغيرة وحماس. وقد أثبت بحسب خبرته الشخصية أن إنجيله هذا الذي كرز به هو «قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ» (رو ١: ١٦). لذلك شغل مفهوم فاعلية كفَّارة موت المسيح جزءاً

هاماً من كرازة الرسل: « عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ ... بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١بط ١:١٨و١٩).

جـ. يسوع هو المسيح القائم من بين الأموات:

كانت حقيقة قيامة المسيح هي الحقيقة الأساسية، أو الألف والياء لكل كرازة الرسل. فبعد القيامة وحلول الروح القدس لم يستطع الرسل أن يتوقفوا عن الكرازة بيسوع المسيح (أع ٥:٤٢). وحقيقة أن "يسوع هو المسيح القائم من بين الأموات" تظهر بوضوح في كرازة بولس الرسول. ففي عظته التي ألقاها في مجمع تسالونيكي، أعلن أنه: «كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَنَّ: هذَا هُوَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ الَّذِي أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ» (أع ١٧:٣). وفي مدينة كورنثوس شهد لليهود واليونانيين بالمسيح يسوع (أع ١٨:٥)، ثم كتب لهم بعد ذلك يذكِّرهم أن الإنجيل الذي بشَّرهم به هو نفس الإنجيل الذي قَبِلَه: «أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (١كو ١٥:١-٤). ويجب أن نتذكر أن الكرازة بقيامة يسوع تحمل معها أيضاً البشارة أو الرسالة المفرحة لشركة المؤمنين في البركات المسيَّانية (أع ٣:١٩-٢٦)، وأيضاً الشركة في القيامة العتيدة (١كو ١٥:٢٢).

لقد كان من السهل على الرسل أن يكرزوا فقط بيسوع الممجَّد

الجالس عن يمين الله، أو يكرزوا بمجموعة فضائل روحية ومبادئ أخلاقية على غرار معلِّمي اليونان. ولكن كما سلَّمهم الرب يسوع بعد قيامته الأساس الذي كان يجب عليهم أن يكرزوا به، هكذا كرزوا وهكذا نادوا بيسوع المسيح المصلوب القائم من بين الأموات.

وعلى نفس هذا الأساس بَنَتْ الكنيسة إيمانها، ووضعت "قانون الإيمان" وأودعته صلواتها الليتورجية ليكون حافظاً لها في مواجهة البدع والهرطقات، ولكي يصبح أساساً يبني عليه كل مؤمن إيمانه وعقيدته:

+ "نؤمن بإله واحد...

وبربٍّ واحد يسوع المسيح...

هذا الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا:

نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنَّس،

وصُلب عنَّا على عهد بيلاطس البنطي،

تألَّم وقُبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب،

وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه.

وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات...

وبالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب...

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية،

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا،

وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتي".

الامتحان والتزكية

+ «اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْراً» (يع ١: ٢و٣).

في رسالة القديس بطرس الرسول الأولى، يناشد الرسول المؤمنين المتغرِّبين في مدن ومقاطعات آسيا الصغرى أن يثبتوا في التجارب والضيقات التي تأتي عليهم، غير متخلين عن فرحهم وبهجتهم بالرب، ناظرين إلى الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل المحفوظ لهم في السموات. وبالرغم من أن إيمانهم سوف يجوز الامتحان - وأي امتحان - امتحان بالنار، إلاَّ أن تزكية هذا الإيمان سوف تؤول إلى المدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح. وسبب الثقة التي يتكلَّم بها الرسول نابعة من إيمانه أنهم: «بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلاَصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ» (١بط ١:١-٨). فما هو قصد الرسول من هذه الكلمات: "التجربة، والامتحان، والتزكية"؟ وهل هناك فرق بين التجربة والامتحان؟

يوجد فعلان في العهد الجديد بلغته اليونانية يعطيان معنى: "يمتحن أو يختبر أو يجرِّب"، وينبغي التمييز بينهما لأنهما يشيران إلى نوعين مختلفين من الامتحان:

الفعل الأول: δοκιμάζω (دوكيمازو):

ورد هذا الفعل ٢٣ مرة في العهد الجديد، تُرجم فيها إلى: "يمتحن، يختبر، يميز، يستحسن". أما مشتقات هذا الفعل من الصفات والأسماء فقد وردت ١٥ مرة تُرجمت فيها إلى: "تزكية، اختبار، برهان، امتحان". ومن المفيد الرجوع إلى استعمالات هذا الفعل في النصوص اليونانية الكلاسيكية، وفي العهد القديم في ترجمته اليونانية المعروفة بالسبعينية لتكوين معنى دقيق له.

في مخطوط يرجع تاريخه إلى عام ١٤٠ قبل الميلاد، يرد احتجاج على إعفاء بعض الأطباء الذين "نجحوا في الامتحان" من تأدية الخدمة العسكرية[٩١]. وعبارة "نجحوا في الامتحان" هي ترجمة للفعل دوكيمازو. من هذا النص يتضح لنا معنى هذا الفعل، فهو يشير إلى عملية امتحان أو اختبار لشخص ما أو لشيء ما من أجل قبوله أو التصديق على صلاحيته. فهؤلاء الأطباء قد جازوا الامتحان فتأهَّلوا للحصول على شهادة ممارسة

---

[91] Wuest, *Word Studies in the Greek New Testament, Traesures,* WM. B. Eerdmans Publishing Company (1975) p. 126.

المهنة.

نفس هذا الفعل يرد في العهد القديم في سفر أيوب: «لأَنَّ الأُذُنَ **تَمْتَحِنُ** الأَقْوَالَ، كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَذُوقُ طَعَاماً» (أي ٣٤:٣)، بمعنى أن الأُذن تميِّز معنى الكلمات ومدى صدقها. ويصف إرميا النبي الله أنه: «**مُخْتَبِرَ** الصِّدِّيقِ، نَاظِرَ الْكُلَى وَالْقَلْبِ» (إر ٢٠:١٢)، والله لا يختبر الصدِّيق إلا لكي يزكِّيه.

وترد الصفة من هذا الفعل عدة مرات في العهد القديم لتعطي معنى النجاح والاستحسان بعد اجتياز الاختبار، لذلك فهي تُستعمل عادة لاختبار المعادن والنقود للتأكد من عدم زيفها[٩٢]:

+ «فَسَمِعَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ، وَوَزَنَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ الْفِضَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي مَسَامِعِ بَنِي حِثَّ. أَرْبَعَ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ **جَائِزَةٍ** عِنْدَ التُّجَّارِ» (تك ٢٣:١٦).
+ «وَلِمَذْبَحِ الْبَخُورِ ذَهَباً **مُصَفًّى** بِالْوَزْنِ، وَذَهَباً لِمِثَالِ مَرْكَبَةِ الْكَرُوبِيمِ الْبَاسِطَةِ أَجْنِحَتَهَا الْمُظَلِّلَةِ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ» (١أي ٢٨:١٨).
+ « وَعَمِلَ الْمَلِكُ كُرْسِيًّا عَظِيماً مِنْ عَاجٍ وَغَشَّاهُ بِذَهَبٍ **خَالِصٍ**» (٢أي ٩:١٧).

[92] Walter Grundmann, δοκιμάζω, in: *Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. II, p. 255-260.

+ « كَلاَمُ الرَّبِّ كَلاَمٌ نَقِيٌّ، كَفِضَّةٍ مُصَفَّاةٍ فِي بُوطَةٍ فِي الأَرْضِ، مَمْحُوصَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ» (مز ١٢:٦).

الفعل الثاني: πειράζω (بيرازو):

وقد ورد هذا الفعل في العهد الجديد ٣٨ مرة، تُرجم فيها إلى: "يجرّب، يمتحن، يحاول، يشرع". وأما الاسم منه (بيرازموس) فقد ورد ٢١ مرة وتُرجم فيها إلى: "تجربة، امتحان".

يحمل هذا الفعل أساساً معنى الاختبار أو الامتحان، ولكن بالمعنى العدائي أو السلبي. فقد ورد في كتابات المؤرخ هيرودوت بمعنى: "**يفحص** المدينة ليرى إمكانية فتحها والاستيلاء عليها". كما ورد في كتابات المؤرخ بلوتارخ بمعنى: "**يهيِّج** الأصدقاء ضد قيصر". وفي معناها الشائع فهي تستعمل في امتحان أو تجربة الأشخاص عندما يكون هناك نوع من الشك أو عدم الثقة[٩٣]، كما أنها تستعمل في امتحان الأشخاص وتجربتهم عمداً، وذلك بغرض اكتشاف النوايا الطيبة أو الشريرة، ولمعرفة نقاط الضعف والقوة فيهم.

يتضح هنا الفرق بين الكلمتين، فالكلمة الأولى تستعمل عادة لاختبار أو امتحان الشخص لإثبات أهليته وصلاحيته والتحقق من نجاحه. أما

[93] Heinrich Seesemann, πειράζω *Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. VI, p. 23.

الكلمة الثانية فتستعمل لامتحان الشخص وتجربته، إن لم يكن بغرض رسوبه في الامتحان، فعلى الأقل بغرض اكتشاف نواحي الضعف أو القوة فيه.

الكلمة الأولى (دوكيمازو) تُستعمل عادة لله، ولكنها لا تستعمل على الإطلاق للشيطان، فالشيطان لا يجرب أو يختبر الإنسان من أجل تزكيته أو استحسان عمله، بل من أجل إسقاطه والتحقق من فشله. أما الكلمة الثانية (بيرازو) فإنها تستعمل أحياناً لله، ولكن فقط بمعنى اختبار الله للإنسان لاكتشاف ما هو صالح أو رديء في الإنسان. وهذه الكلمة هي التي استُعملت للشيطان في جميع المواقف التي جرب فيها الإنسان، أو عندما جرب الربَّ يسوع في تجربته على الجبل.

أحياناً تستخدم الترجمة العربية كلمة واحدة لترجمة هاتين الكلمتين، لذلك لزم التمييز بينهما لمعرفة المعنى الحقيقي للآية، وسنورد هنا بعض الأمثلة لتوضيح المعنى.

ففي إنجيل القديس لوقا (١٤:١٩) يرد مَثَل الإنسان الذي صنع عشاءً وأرسل لإحضار المدعوين. فبدأ المدعوون يستعفون، وقال أحدهم: «إِنِّي اشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ، وَأَنَا مَاضٍ **لأَمْتَحِنَهَا**». لم يذهب هذا الرجل ليمتحن الأبقار ليعرف نواحي الشر أو الخير فيها، أو أنه ذهب ليمتحنها لعلها ترسب في الامتحان. لكنه كان يقصد أنه ذهب للتأكُّد من حسن

البضاعة التي اشتراها. لذلك نجد الفعل المستخدم هنا هو دوكيمازو، وهذا المثل يوضح تماماً المعنى المقصود من الفعل دوكيمازو.

وفي إنجيل القديس يوحنا (٦:٦)، عندما رأى الرب يسوع أن جمعاً كثيراً مقبلٌ إليه، طرح سؤاله على فيلبُّس الرسول: «مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزاً لِيَأْكُلَ هؤُلاَءِ؟». ثم يستكمل الإنجيل قوله: «وَإِنَّمَا قَالَ هذَا **لِيَمْتَحِنَهُ**». لم يمتحن الرب يسوع فيلبُّس لكي يستحسن إجابته أو يزكِّي كلامه، لأن إجابته أثبتت أن إيمانه كان ما زال قاصراً: «لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئاً يَسِيراً»؛ بل امتحنه ليعرف هل عنده إيمان أم لا، وليكتشف فيه مدى البصيرة التي نالها من طول عشرته للمعلم، وهل ما زالت نظرته أرضية أم أنه يؤمن بقدرة المسيح على إتيان المعجزة. لذلك نجد أن الفعل المستعمل هنا هو بيرازو.

ويصف بولس الرسول كيف سيُمتحن عمل المؤمنين بالنار في اليوم الأخير. فبعد أن شرح كيف أنه كبنَّاءٍ حكيم وضع الأساس - الذي هو يسوع المسيح - وأنه على كل إنسان أن يبني على هذا الأساس، أوضح أنه أمام كرسي المسيح ستستعلن النار عمل المؤمنين: «وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ» (١كو ٣:١٣). امتحان النار للعمل المبني والمؤسس على يسوع المسيح ليس امتحاناً من أجل رسوب المؤمن أو التحقُّق من فشله، بل لتزكيته وقبوله في عينيْ الله: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ ... أُدْخُلْ

إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (مت ٢٥:٢١). فطالما أن هذه الأعمال هي بالروح القدس معمولة، فإن امتحانها بالنار تزكّي صاحبها أمام كرسي المسيح. لذلك يستخدم الرسول هنا الفعل "دوكيمازو" وليس "بيرازو".

وعندما يُقدِّم بولس الرسول النُّصح لمؤمني كنيسة تسالونيكي قائلاً: «امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ» (١تس ٥:٢١)، فهل يقصد الرسول هنا أنه على المسيحي أن يجرِّب كل شيء ويتمسَّك بما يراه حسناً؟ فهل نجرِّب الشرور والخطايا والتعديات لنعرف أنها غير صالحة، فنبتعد عنها؟ بمعنى هل نمتحنها لنعرف ما بها من خير أو شر؟ الرسول لم يستعمل هنا الفعل بيرازو، بل استعمل الفعل دوكيمازو، الذي معناه الأساسي امتحان الشيء لتزكيته، وبالتالي استحسانه والتمسُّك به، أي امتحان أو اختبار كل الأشياء الصالحة والمفيدة، وتزكيتها لاختيارها والتمسُّك بها. وهو نفس المعنى الذي أورده بولس الرسول في الآية: «طُوبَى لِمَنْ لاَ يَدِينُ نَفْسَهُ فِي مَا يَسْتَحْسِنُهُ» (رو ١٤:٢٢)، أي فيما يختبره ويمتحنه فيتزكّى أمامه وأمام الله ويرضى عنه ضميره. فالكلمة "يستحسن" هنا هي ترجمة للفعل "دوكيمازو".

ومما يزيد معنى الفعل دوكيمازو وضوحاً استخدام بولس الرسول له مرتين في آية واحدة: «بَلْ كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ، هكَذَا نَتَكَلَّمُ، لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا» (١تس

٢:٤). فالله اختبر أو امتحن قلب بولس، فتزكَّى أمامه، فاستأمنه على الكرازة بالإنجيل. ولم يكن قصد الله من امتحان بولس معرفة هل يصلح بولس للكرازة أم لا، وهل لديه الاستعداد لطاعة الإنجيل والخضوع لتوجيهات الله، أم أنه ما زال متمسكاً بفرِّيسيته وعوائده القديمة، لأن الله سبق وشهد عن بولس أن: «هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ» (أع ٩:١٥). لذلك كان بولس الرسول يفتخر أن الله الذي امتحنه هو الذي زكَّاه للرسولية: «بُولُسُ، رَسُولٌ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ» (غل ١:١).

نجد عكس حالة بولس الرسول تماماً في بعض الأشخاص الذي ادَّعوا أنهم رسلٌ وذهبوا للكرازة في كنيسة أفسس، فكان على أسقف هذه الكنيسة أن يمتحن أو يختبر أولئك الأشخاص ليتحقق من صدق رسوليتهم. لكنهم للأسف رسبوا في الامتحان وتحقق كذبهم، لذلك مدح الله أسقف هذه الكنيسة وشهد له: «أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَحْتَمِلَ الأَشْرَارَ، وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلاً، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ» (رؤ ٢:٢). وبالطبع فإن الفعل المستعمل هنا هو بيرازو، لأن المسألة لم تكن تزكية أشخاص، بل اختبار أُناس مدَّعين، ويرتكن امتحانهم إلى عدم الثقة، ويحتاج الأمر إلى التحقُّق من

صدقهم أو كذبهم.

نفس هذا الموقف السلبي نجده في تعامل بني إسرائيل مع الرب في البرية، ففي جميع تعاملاتهم معه، كانوا يحاولون أن يثبتوا فشل الله في التعامل معهم، وعدم إمكانيته في احتواء هذا الشعب وتحقيق رغباتهم. لذلك صرح الربُّ قائلاً عنهم: «إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الذِينَ رَأُوا مَجْدِي وَآيَاتِي التِي عَمِلتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي البَرِّيَّةِ، **وَجَرَّبُونِي** الآنَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، وَلمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي» (عد ١٤: ٢٢). طبعًا الفعل المستعمل هنا هو (بيرازو)، لأنهم جرَّبوا الله ورفضوا مشورته من جهتهم.

والآن نعود إلى رسالة القديس بطرس الرسول. يقول الرسول: «... الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ يَسِيراً بِتَجَارِبَ (بيرازموس) مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ (دوكيمون) إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ (دوكيمازو) بِالْنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بط ١:٦و٧).

هنا التجارب التي يتكلَّم عنها الرسول تأتي على المؤمنين لتمتحنهم وتبلوهم لتعرف ما بهم من خير ومن شر. وهذه التجارب عادة ما يسوقها علينا المجرِّب، لذلك يقول لهم الرسول إنها تسبب لهم بعض الحزن المؤقت: «إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ يَسِيراً». وهذه التجارب هي التي أوصانا الرب يسوع أن نسهر ونصلِّي حتى لا ندخل فيها: "ولكن الله أمين،

الذي لا يَدَعْنا نُجرَّب فوق ما نستطيع، بل يجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، حتى نستطيع أن نحتمل" (١كو ١٠:١٣).

أما امتحان الإيمان هنا فهو امتحان بالنار، وهو ليس لفشل المؤمنين، بل لتنقية إيمانهم وتزكيته، كما تُنقِّي النارُ الذهبَ وتصفيه. لذلك يقول بطرس الرسول إن الإيمان يُمتحن (دوكيمازو)، لكنه يتزكَّى (دوكيمون) فيؤول إلى مدح المؤمنين وكرامتهم ومجدهم عند استعلان يسوع المسيح.

سفير يسوع المسيح

*****

أراد القديس بولس مرةً أن يلخِّص المسئولية الكرازية الموكولة إليه، فقال لأهل كورنثوس: «إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ» (٢كو ٥:٢٠). ومرة أخرى يستخدم نفس اللقب "سفير" طالباً من أهل أفسس أن يؤازروه بالصلاة والطلبة كل حين «لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَاراً بِسِرِّ الإِنْجِيلِ، الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ، لِكَيْ أُجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ» (أف ٦:١٩و٢٠).

ويستعمل القديس بولس في الآيتين الفعل πρεσβεύω (برسفيفو) الذي يعني: "يعمل كسفير، يكون رسولاً أو ممثِّلاً شخصياً لجهة ما أمام جهات أخرى"[٩٤]. أما الاسم من هذا الفعل فهو πρεσβεία (برسفيا)، وقد تُرجم في إنجيل القديس لوقا إلى كلمة "سفارة" (لو ١٤:٣٢؛ ١٩:١٤).

ومفهومنا الحالي عن السفير وعمله، وأهمية منصبه كشخصية رسمية تُختار من بين ذوي الكفاءات، وعن تفويض الحكومات لهذه الشخصية

[94] W. Bauer's, *A Greek-English Lexicon of the N.T.*, p. 706.

لتمثِّلها أمام باقي حكومات العالم، تساعدنا في فهم قيمة شهادة بولس الرسول عن نفسه كسفير. فالسفير يعمل كممثل للجهة التي يمثِّلها، وسلطة السفير مستمدة من سلطتها. والقديس بولس يعتبر نفسه المتكلِّم بلسان الله والممثِّل الشخصي للمسيح، الذي مُنح السلطة والقوة ليعلن للعالم رسالة الله من أجل السلام (٢كو ٥:١٨ـ٢٠).

وبرجوعنا إلى مفهوم عمل السفير والمهام الموكلة له في زمن القديس بولس - أي في القرن الأول المسيحي - يمكننا أن نتعرَّف أكثر على المعنى الذي كان يقصده بولس الرسول[٩٥].

أولاً: حقوق السفير:

كان السفير منذ العصور القديمة يتمتَّع بالحصانة، ولم يكن من حق أحد أن يقبض عليه أو يلقيه في السجن. وكان الازدراء بالسفراء أو إساءة معاملتهم أو اضطهادهم يمثِّل شرخاً أو نكوصاً عن المواثيق المرعية عالمياً. وكانت مثل هذه المعاملات تقابَل بالحزم والقوة، وأحياناً بشن الحروب، خاصة إذا كان السفير يتبع دولة ذات قوة وسيادة.

وكانت هذه العادات متَّبعة منذ قديم الزمان. فقد حدث في أيام داود الملك أنه أرسل سفراء من طرفه للتعزية في وفاة ملك بني عمون. لكن

95 David Garland, *The Background of Ambassador*, in Bib. Ill, Summer 1994, p. 47.

حانون الملك الجديد وابن الملك المتوفي أساء معاملة السفراء واستهزأ بهم. فأدَّى ذلك إلى نشوب حرب بين إسرائيل وبين بني عمون وحليفتها آرام راح ضحيتها أكثر من أربعين ألف فارس (٢صم ١:١٠-١٩).

أما القديس بولس فلم يكن يتمتَّع كسفير للمسيح بأي نوع من الحماية الدبلوماسية، أو بأي وضع متميِّز في أعين هذا العالم: «فَإِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ، كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ. لأَنَّنَا صِرْنَا مَنْظَراً لِلْعَالَمِ، لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ ... إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ» (١كو ٤:٩-١١).

وكان بولس سفيراً في سلاسل، وهذه العبارة تحمل لنا مضادة صارخة[٩٦]:

أ - فكلمة سلاسل التي استعملها القديس بولس هي ἅλυσις (هلوسيس)، وهذه الكلمة كانت تُستعمل للسلاسل والحُلي (الذهبية) التي كان يلبسها الرجال والسيدات من الأُسر الغنية حول الرقبة أو في معصم اليد. وفي الاحتفالات العامة كان السفراء يلبسون مثل هذه السلاسل للدلالة على غِنى وقوة وكرامة الحكومات التي كانوا يمثِّلونها. ولأن بولس كان يمثِّل المسيح المصلوب، وجد في سلاسل السجن التي كانت تكبِّل

---

[96] M. Barth, *Ephesians,* Vol. II, The Anchor Bible, p. 782.

يديه ورجليه شارة الشرف التي تميِّزه وتمثِّل سيده.

ب ـ وفي الظروف غير الملائمة كان من حق الدول المضيفة الاستغناء عن السفراء أو طردهم، ولكن لم يكن من حقهم ـ كما ذكرنا ـ أن يلقوا القبض عليهم أو يسجنوهم. وهنا يشير بولس الرسول بالسلاسل إلى السجن الذي طُرح فيه. وعندما وصف بولس نفسه أنه سفير في سلاسل، أراد تعريف قارئيه بالظلم الواقع عليه، ولكنه هنا لم يكن يشتكي أو يلعن يومه، بل فقط كان يطالبهم بالصلاة حتى يستطيع أن يبشِّر أكثر بالإنجيل بكل جراءة (أف ٦:١٩و٢٠):

+ «فَقَالَ أَغْرِيبَاسُ (الملك) لِبُولُسَ: بِقَلِيلٍ تُقْنِعُنِي أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا. فَقَالَ بُولُسُ: كُنْتُ أُصَلِّي إِلَى اللهِ أَنَّهُ بِقَلِيلٍ وَبِكَثِيرٍ، لَيْسَ أَنْتَ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً جَمِيعُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَنِي الْيَوْمَ، يَصِيرُونَ هكَذَا كَمَا أَنَا، مَا خَلاَ هذِهِ الْقُيُودَ» (أع ٢٦:٢٨و٢٩).

ج ـ وكان عندما يتم القبض على أحد السفراء أو السياسيين تتعرض مهمته للفشل، بل وتكون رسالته قد انتهت. أما القديس بولس ففي رسالته إلى أهل فيلبي (١:١٢-٣٠؛ ٢:١٩-٣٠) فإنه يذكر لهم أن القبض عليه وإلقاءه في السجن، بالإضافة إلى الاضطهادات والعداوة والتهديد بالموت والعذابات الجسدية والنفسية، قد آلت كلها إلى تقدُّم الإنجيل، وأنها تقدِّم

لهم الرسول كمثال ينبغي على المؤمنين بالمسيح التمثُّل به وليس الهروب لتجنُّب ما وصل إليه. وعليهم أن يتذكَّروا ما قاله الرب يسوع سابقاً أنهم إن كانوا قد أهانوا السيد والمعلم، فماذا سيفعلون بخادمه (مت ١٠:٢٥).

ثانياً: واجبات السفير:

تحمل لنا الوثائق والنقوش الباقية من العصور القديمة بعض المعلومات عن سبب إرسال السفراء، ومنها أن السفراء كانوا يُرسَلون كعلامة على الصداقة وإظهار النوايا الحسنة، ولتوطيد العلاقات ولتجديد أواصر الصداقة القائمة، وأيضاً لعقد بعض الأحلاف والمعاهدات[٩٧].

وفي أيام القديس بولس كان السفراء يُرسَلون إلى روما ليمثِّلوا مدنهم أو مقاطعاتهم أمام الإمبراطور. ولأن معظم الدول القديمة كانت خاضعة لروما آنئذ، لذلك كان القسط الأكبر من هذه الإرساليات يذهب إما لتقديم بعض الالتماسات الخاصة أو لدفع الضرائب المقررة عليهم، وتقديم الهدايا التي تجعل لهم حظوة لدى الإمبراطور. ويذكر لنا المؤرخ الروماني بلوتارخ عدداً كبيراً من هذه الإرساليات التي كانت تمثُل بين يديْ الإمبراطور[٩٨]. وكانت هذه الإرساليات تذهب أولاً إلى هيكل الإله ساتورن Saturn لتسجيل أسمائهم أمام حافظ الخزانة. وكان كهنة هذا

---

97 A. K. Sherk, *Rome and the Greek East to the Death of Augustus*, (Cambridge, 1984).
98 *The Roman Questions*, 43.

الهيكل يقدِّمون الخدمات الطبية للسفراء إن هم مرضوا، كما كانوا يعتنون بأجسادهم ودفنها إذا قضوا نحبهم هناك.

كما يصف الفيلسوف اليهودي فيلو - وهو من معاصري القديس بولس - كيف اشترك في إحدى هذه الإرساليات المُرسلة من يهود الإسكندرية إلى الإمبراطور غايوس ملتمسين الحماية من الإمبراطور ضد مواطنيهم من غير اليهود الذين كانوا يعاملونهم معاملة سيئة[٩٩].

ومن جهة أخرى، فإن الإمبراطور الروماني الذي كان يُرسِل القوانين المُلزمة لجميع سكان المعمورة، مثل الإحصاء الذي تم في زمن ميلاد الرب يسوع (لو ٢:١)، كان في العادة لا يُرسِل سفراء للمدن أو للمقاطعات للتفاوض، بل كان يبعث بالحكام والقادة ليحكموا ولينفِّذوا أوامره؛ لذا كان السفراء يأتون إليه، لكنه لم يكن يُرسِل سفراء إلاَّ في القليل النادر.

وعلى النقيض من ذلك، فإن الله لم يجلس مكتوف اليدين في انتظار أن يُرسِل له الإنسان مَنْ ينوب عنه من السفراء لكي يقدِّم التماساً أمامه طالباً المصالحة مع الله. لكن الله اتخذ المبادرة من جانبه، فبعد أن أرسل ابنه كسفير فوق العادة ليصالح البشرية: «أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ» (٢كو ٥:١٩)، عاد الله

---

[99] Philo, *Embassy to Gaius.*

وأرسل سفراءه ليتوسلوا إلى البشرية من أجل الصُّلح: «نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ» (٢كو ٥:٢٠).

لقد كان تصرُّف الله هذا عكس ما كان يتوقعه أي إنسان. والمثل الذي ألقاه الرب يسوع عن الملك الذي خرج لمقاتلة ملك آخر يصوِّر لنا الوضع الطبيعي الذي كان يجب اتخاذه (لو ١٤:٣١و٣٢). فالملك: «يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفاً؟ وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذلِكَ بَعِيداً، يُرْسِلُ سِفَارَةً πρεσβεία وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ».

أما وصف بولس الرسول لإرسال الله لسفرائه إلى العالم فهو صورة معكوسة تماماً. فالله هو صاحب القوة العُظمى والسلطان، ولكن عالمنا هذا الوضيع يصمم أن يتجاهل قوة الله، لذلك يتمادى في عداوته لله، ولا يكلف نفسه عناء البحث عن طلب السلام مع الله. ومما يدعو للدهشة فإن الطرف صاحب القوة اللامتناهية يتنازل دافعاً ثمن الصلح مع الإنسان: «لكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ ... لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ» (٢كو ٥:١٨و٢١).

وبالتالي أرسل الرب يسوع رسله كسفراء إلى العالم ليعلن للبشرية

جميعاً مبادرة الله للصلح والعفو العام الذي أصدره: «اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ» (٢كو ٥:١٩). لقد كان السبب الرئيسي وراء إحجام أهل العالم عن إرسال سفرائه إلى الله أن: «الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ ... فِي طُرُقِهِمِ اغْتِصَابٌ وَسُحْقٌ. وَطَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ» (رو ٣:١٢-١٧). لذلك كان عذرهم الوحيد كما جاء على فم أيوب الصدِّيق: «لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا» (أي ٩:٣٣)، وكان الرب يسوع هو المصالح والسفير بيننا وبين الله.

ثالثاً: اختيار السفير:

هناك بعض الاختلافات في أسلوب اختيار السفراء قديماً وحديثاً. فبينما يتم اختيار السفراء الآن من بين الذين يحملون الشهادات العُليا ومن ذوي الثقافة الرفيعة، ومن ثمَّ يتم إرسالهم كسفراء دائمين يقيمون في الدول التي يعملون بها؛ كان في العصور القديمة يتم اختيار السفراء من أبناء العائلات المرموقة في المجتمع، وكانوا يقيمون في أوطانهم الخاصة ويتم إرسالهم فقط كسفراء عند الحاجة. وكان البعض يرى أن إرساله كسفير لبلاده يُعتبر شرفاً وكرامة تلحق به وبعائلته، وينال بسببها حظوة لدى مواطنيه وحكامه، مما كان يدفع البعض إلى التماس الوساطة ليقع عليهم الاختيار. أما البعض الآخر - وخاصة مِمَّن لا يميلون إلى العمل

بالسياسة - فكان يرى في اختياره سفيراً عبئاً غير محبب للنفس. وكان الكثير منهم لا يُرحب بالسفر وترك الديار لمدةٍ طويلة، وتحمُّل مشاق السفر وخطورته.

وكان على الدولة الالتزام بمصاريف الرحلة وتغطية كافة تكاليفها. وكان بعض السفراء يستغلون هذه الفرصة للاستفادة من هذه الرحلة لحسابهم الخاص، بل إن البعض منهم كان ينتهز الفرصة لتحقيق مآربه الشخصية لدى الإمبراطور على حساب مصالح بلاده.

وإذا رجعنا إلى بولس الرسول، نراه لا يعتبر تكليفه كسفير للرب يسوع عبئاً يتهرَّب منه. كما نراه غير مهتم إن كان سيتحمل كل نفقات رحلته: «فَمَا هُوَ أَجْرِي؟ إِذْ وَأَنَا أُبَشِّرُ أَجْعَلُ إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ بِلاَ نَفَقَةٍ، حَتَّى لَمْ أَسْتَعْمِلْ سُلْطَانِي فِي الإِنْجِيلِ» (١كو ٩:١٨). لم نسمعه يوماً شاكياً لأنه عانى من السجن عدة مرات، لأنه ضُرب مراراً كثيرة، لأنه رُجم وانكسرت به السفينة، ولأنه واجه صعوبات جمَّة في رحلاته الكثيرة. لم يكن يسافر في "الدرجة الأولى" بل كان يُقاسي الجوع والعطش والبرد (٢كو ١١:٢٣-٢٨). ولم يكن يُكابد كل هذه الآلام من أجل مجد شخصي يلحقه أو كرامة تعود عليه، بل لأن الله أشرق في قلبه لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح (٢كو ٤:٦). لم يركن إلى الراحة ولا جلس في بيته ساكناً، بل وجد أن هناك ضرورة مُلحَّة لكي يحمل رسالة

المخلِّص ويبشِّر بها العالم كله: «إِذِ الضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ، فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لاَ أُبَشِّرُ» (١كو ٩:١٦). لقد أخضع نفسه لهذا العمل من أجل إنجيل يسوع المسيح (١كو ٩:٢٣)، ومن أجل مَنْ أحبه وأسلم نفسه لأجله (غل ٢:٢٠).

ويلزمنا هنا أن نذكر أن كلمة πρεσβεία (برسفيا) التي تُرجمت سفارة، تُعطي أيضاً معنى "الشفاعة"[100]. وهذه الكلمة هي التي دخلت في طقوس وصلوات الكنيسة، خاصة في لحن الهيتنيات: "ϩιτεν ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ̀ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲑⲉⲟ̀ⲧⲟⲕⲟⲥ" أي "بشفاعة والدة الإله..."، وهي التي تُستعمل في صلوات مجمع التسبحة، وفي القدَّاس قبل قراءة البولس. هنا يتضح المعنى المقصود من الشفاعة إذا ربطناه بمعنى السفارة. فالقديسون الذين نتشفَّع بهم هم من أبناء الكنيسة المرموقين: «أهل بيت الله» (أف ٢:١٩) الذين تم إرسالهم كسفراء عن الكنيسة ليمثُلوا أمام كرسي الله كل حين، مقدِّمين الصلاة والتوسُّل عنا، وجالبين لنا الخيرات من الملك السمائي.

---

[100] G. W. H. Lampe, *A Patristic Greek Lexicon,* Oxford, 1961, p. 1128.

المفاهيم الروحية للرياضة البدنية
في رسائل القديس بولس الرسول

*****

اشتهرت اليونان قديماً بالألعاب الرياضية، وكانت المهرجانات والدورات التي يتبارى فيها الرياضيون تحتل مساحة واسعة من حياة وتفكير الشعب اليوناني. ومن أشهر هذه الدورات المسابقة الرياضية التي كانت تُقام في سهل جبل الأوليمب تمجيداً للإله زيوس كبير آلهة اليونان، والتي اشتهرت فيما بعد باسم الدورة الأوليمبية، وكانت تُقام كل أربع سنوات. هذا بخلاف ثلاثة مهرجانات كبرى كانت تُقام في كبريات المدن اليونانية.

لم يكن بولس الرسول في نشأته بعيداً عن هذا الجو الرياضي، لأنه تربَّى في مدينة طرسوس ذات الثقافة اليونانية. ولم يجد حرجاً في استعمال لغة الرياضة - التي كان يألفها القرَّاء - كإحدى وسائل الإيضاح التي تشرح لهم بعض الحقائق الروحية الهامة. فقد ذكر القديس بولس الكثير من المصطلحات الرياضية، خاصة في رسائله إلى أهل كورنثوس وفيلبي، حيث كان المؤمنون هناك من المسيحيين ذوي الثقافة اليونانية. كما أتى على ذكر مثل هذه المصطلحات في رسالتيه إلى تلميذه تيموثاوس الذي

كان أبوه يونانياً (أع ١٦:١).

ومن أوضح الآيات التي ذكرها بولس الرسول متضمنة هذه المصطلحات ما ورد في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١كو ٩:٢٤-٢٧):

+ « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ، وَلكِنَّ وَاحِداً يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ؟ هكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا. وَكُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا أُولئِكَ فَلِكَيْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى. إِذاً، أَنَا أَرْكُضُ هكَذَا كَأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ غَيْرِ يَقِينٍ. هكَذَا أُضَارِبُ كَأَنِّي لاَ أَضْرِبُ الْهَوَاءَ. بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَمَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضاً».

الذين يركضون في الميدان:

كلمة "الميدان" التي وردت في هذه الآية تأتي في اليونانية στάδιον (ستاديون)، والتي منها أتت الكلمة المعرَّبة "الاستاد" (الرياضي). و"الاستاد" أساساً هو وحدة قياس طولية تبلغ حوالي ٦٠٠ قدم يوناني (= ٦٢٥ قدم روماني = ٦٠٧ قدم إنجليزي = ١٩٢ متراً)[١٠١]، وهي تمثِّل تماماً طول الملعب الذي كان يتبارى فيه المتسابقون في الدورة الأوليمبية.

---

[101] W. Bauer, *A Greek-English Lexicon of the N.T.* op. cit. p. 771.

يبدأ القديس بولس في تشبيه الحياة بسباق في الميدان بين مجموعة من المتنافسين، ولكن في النهاية تكون المكافأة للفائز فقط. والقديس بولس لا يقول إن هناك تنافساً بين جماعة من المسيحيين لنوال الإكليل؛ بل إن الجميع - كل الناس - يركضون، وعلى الإنسان المسيحي بالأَولى أن يركض. لكنه يشجِّع المسيحي الذي يركض أنه هو الذي سينال الإكليل: «هكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا». وسبب الثقة التي يتكلَّم بها الرسول أنه يعرف مانح الأكاليل معرفة شخصية، ويثق في محبته وحكمه العادل: «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ» (٢تي ١٢:١).

ثم يعطي الرسول بعد ذلك من خبرته لكل إنسان مسيحي حتى يدرِّبه على فنون الجهاد والركض، ولكن في مجال الروحيات.

"مَنْ يجاهد يضبط نفسه في كل شيء":

الفعل "يجاهد ἀγωνίζομαι" في أصله اليوناني يعني "يحارب أو يقاتل أو يصارع، أو يبذل أقصى ما في وسعه"، وفي مجال الرياضة يعني: "يدخل في سباق محموم مع"[١٠٢].

أما الفعل "يضبط نفسه ἐγκρατεύομαι" هنا يشير إلى مدة

[102] W. Bauer, *A Greek-English Lexicon of the N.T.* op. cit. p. 15.

الإعداد للمباريات، والتي كانت تستمر عشرة أشهر، يقضيها كلٌّ من الرياضيين والحكَّام في التدريب والمران القاسي. عن فترة الإعداد هذه يقول المؤرخ الروماني أبكتيتوس: "يجب عليك أن تلتزم بنظام قاسٍ في الأطعمة، وأن تزهد في الأطعمة اللذيذة، وأن تمارس تدريباتك في جميع الأحوال الجوية، المواتية والمعاكسة، في الحر وفي البرد، وألا تشرب الماء المثلج أو النبيذ بدون ضابط". ويشبِّه العلاَّمة ترتليان حياة شهداء المسيحية بالرياضيين اليونان الذين "يتعبون ويكابدون المشقات ويغصبون أنفسهم في كل شيء".

فإن كان الرياضي يُخضع نفسه خلال عشرة أشهر لتدريبات قاسية ولنظام صارم مع حرمان كامل من الحياة الرغدة المرفَّهة، لعلَّه يفوز في سباق يدوم عدة دقائق، أو على أكثر تقدير ساعة أو نحو الساعة، ومن أجل الحصول على الجعالة أو المكافأة التي لا تزيد عن إكليل من الزهور؛ ألا يُخضع المسيحيون أنفسهم بإرادتهم لمتطلبات حياة القداسة من بذل للذات وزهد في الملذات من أجل أن يقدِّموا أجسادهم ذبيحة حيَّة مقدسة مرضية عند الله (رو ١٢:١)!

إن الفترة التي يقضيها الرياضي في التدريب تعتبر فترة اعتكاف من أجل مصلحته هو، وفترة زهد في أمور قد لا تكون شرًّا في حدِّ ذاتها، ولكنها أمور تعوِّقه عن تحقيق هدفه. هكذا عندما يزهد المسيحي في أمور

الحياة وملذَّاتها، فهو لا يعتبر أن هذه الأمور خطيئة أو مُحرَّمة، لكنها أشياء تقف حائلاً بينه وبين الخدمة المُوكلة إليه. فإن وَضَعَ المؤمن مَثَلَ الرجل الرياضي أمام عينيه، وحاول أن يجاهد مثله في زهد وابتعاد عن الملذات، فأي حياة مقدسة قوية تمجِّد الله سوف يحياها!

إكليل يفنى، وإكليل لا يفنى:

إن أقصى ما كان يتمنَّاه الرياضي هو الفوز في السباق والحصول على الإكليل. والإكليل هنا στέφανος (ستفانوس)[١٠٣] هو إكليل الزهور الذي يوضع على جبهة الفائز، والذي لا يدوم نضراً إلاَّ بضعة أيام. ومن أجل هذا الإكليل الذي يفنى كان يجاهد ويثابر ويضبط نفسه في كل شيء. أما الإكليل الذي يجاهد من أجله المسيحي فهو إكليل يبقى إلى الأبد، لأنه إكليل يكلِّل جهد وعرق العمر كله: «كُنْ أميناً إلى الموت فسأُعطيك إكليل الحياة» (رؤ ٢:١٠).

"أَركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين":

أي أركض أو أجري داخل ميدان السباق وأنا واضع أمام عينيَّ الهدف الذي من أجله أجاهد. وكلمة ἀδήλως (أديلوس) التي تُرجمت "غير يقين" تفيد أن الهدف غير واضح أمام عينيه، أو أنه ليس في

---

[١٠٣] أول مَنْ نال إكليل الشهادة في الكنيسة الأولى هو رئيس الشمامسة إستفانوس، الذي يعني اسمه "إكليل".

داخله وفي عقله غاية محددة يسعى إليها[١٠٤]. كثيرون يركضون وكثيرون يجاهدون، وربما يصل الجهاد والبذل عندهم إلى حدِّ تسليم جسدهم حتى يحترق (١كو ١٣:٣)، ولكن عندما يكون الهدف من الركض غير واضح، أو عندما يكون هناك هدف لا يستحق كمية التعب والعناء المبذول، سرعان ما يرتد المجاهد عن طريقه ويسلِّم سلاحه وهو ما زال بعد في منتصف الطريق.

ومن أجمل الشروحات التي قدَّمها الآباء بهذا الخصوص والتي توضِّح أن غياب الهدف من أمام عيني المتسابق سرعان ما يجعله يُصاب باليأس، ومن ثمَّ بالارتداد، ما قدَّمه القديس هيلاريون رئيس رهبنة فلسطين، قال:

[يليق بنا أن نأخذ مثلاً لذلك من كلاب الصيد التي تنطلق وراء الأرانب البرية. فإنه يحدث أن أحد الكلاب يلحظ أرنباً بعيداً فينطلق وراءه، وإذ ترى الكلاب الأخرى التي معه أنه يجري فإنها تنطلق تجري معه ـ دون أن تكون قد رأت الأرنب ـ فتظل تجري معه ولكن إلى فترة ما، وحينما يصيبها التعب والإجهاد فإنها تتوقف وتعود، بينما الكلب الذي يرى الأرنب يظل يتابعه بمفرده لا يعوقه التعب والجهد عن تكميل مشواره الطويل...

[104] W. Bauer, *op. cit.* p. 16.

هكذا الإنسان الذي يتبع وراء محبة المسيح، ينبغي عليه أن يثبِّت نظره على الصليب **حتى يفوز بالذي صُلِبَ عليه**، حتى ولو رأى الكل قد تخلَّفوا ورجعوا إلى الوراء][105].

وفي رسالته إلى أهل فيلبي، يؤكِّد القديس بولس على أهمية تثبيت المتسابق لعينيه على الهدف، وألا يلتفت إلى باقي المتسابقين معه ليرى مدى نجاحهم أو إخفاقهم، كما أن عليه ألا ينظر خلفه ليستوضح المسافة التي قطعها. بالمثل يجب على مَنْ يجاهد أن ينسى تماماً ماضيه بما يحويه من عثرات أو كبوات، واضعاً أمام عينيه دائماً الهدف والغاية التي يجاهد من أجلها: «إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ، أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (في ٣:١٣و١٤).

وفي الرسالة إلى العبرانيين، يصوِّر منظر المتسابق وهو يركض في الميدان، ومن حوله ألوف المشجِّعين الذين يشدُّون من أزره، ومع ذلك فعليه ألا يلتفت وينشغل بالتصفيق والهتاف، بل ينظر إلى الغرض الذي يركض من أجله. هكذا على المجاهد أن يضع دائماً الرب يسوع نُصب عينيه كهدف وغاية وحيدة للجهاد، وعليه أن يتخلَّص من جميع الأثقال التي تعوقه وتحد من سرعة انطلاقه، متمسِّكاً بالصبر حتى يتحمل صعاب

[105] عن كتاب: "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، للأب متى المسكين، الطبعة السابعة ١٩٩٥، ص ٥١٩.

الطريق وعُنف السباق: «لِذلِكَ نَحْنُ أَيْضاً إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ (نركض) بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيْمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ» (عب ١٢: ١و٢).

"أُضارِب كأني لا أضرب الهواء":

كلمة "أُضارِب" هنا تعني "أُلاكم"، أي أضرب بقبضة اليد. والرسول يتكلَّم هنا عن الملاكم الذي يسدد ضرباته في الهواء دون أن تصيب الخصم، وبالتالي يضيع كل مجهوده هباءً. الرسول في جهاده لا يشبِّه نفسه بهذا الملاكم، لكنه في صراعه مع الشر فإنه يسدد ضرباته فتصيب هدفها. قد يظن أحدهم أنه ما دام يركض مع الراكضين، أو ما دام يسدد ضرباته حتى ولو كانت في الهواء فهو سيكلل. لكن الرسول يقولها صراحة: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ، لاَ يُكَلَّلُ إِنْ لَمْ يُجَاهِدْ قَانُونِيًّا» (٢تي ٢: ٥). جهادنا لا يعتمد على قوة عضلية أو أعمال جسد بطولية، لكن اعتماده الأساسي هو على الله الذي يعمل فينا ويؤازرنا: «لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ» (في ٢: ١٣).

"أَقمع جسدي وأستعبده":

إذا تخيلنا الملاكم في حلبة الملاكمة وهو يسدد اللكمات لوجه الخصم، نجد أنه نتيجة للضربات العنيفة في الوجه يُصاب الوجه

بالكدمات، خاصة في منطقة الوجنتين أسفل العين. هذا هو معنى الفعل اليوناني ὑπωπιάζω (هبوبيازو) الذي تُرجم هنا "أَقمع"[١٠٦]. ونلاحظ بولس الرسول لا يقول إنه في جهاده يصيبه العدو بالكدمات ويخرج من المعركة مثخناً بالجراح؛ بل يقرر أنه هو الذي يقمع جسده ويخضعه بإرادته ولا ينتظر أن يسيطر عليه آخر: «قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ» (في ٤:١٢). وهو هنا يقتدي بخطوات سيده الرب يسوع الذي قيل عنه: «الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ (أي بإرادته وليس بإرادة آخرين)، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ (وكان نتيجة ذلك) فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ» (عب ١٢:٢).

والمقصود بقمع الجسد هنا ليس إضعاف الجسد أو قتله، لأنه كما قال أحد القديسين: "نحن تعلَّمنا أن نُميت الشهوات لا أن نميت الجسد"؛ بل المقصود ما أوضحه بولس الرسول في رسالته إلى أهل كولوسي: «فأميتوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ ...» (كو ٣:٥).

"لا أصير أنا نفسي مرفوضاً":

أخيراً، أخشى أنني بعد أن درَّبت الآخرين وعلَّمتهم فنون الرياضة

[106] Konrad Weiss, ὑπωπιάζω, *Theological Dictionary of the N.T.,* Vol. VIII, p. 590,591.

وطرق الحصول على الإكليل، أرى أنني ما زلت غير صالح أو غير لائق لدخول السباق الأخير. هذا هو المقصود من كلمة ἀδόκιμος (آدوكيموس) التي تُرجمت "مرفوضاً"، وهذه الكلمة تُستعمل في مجال الرياضة كاصطلاح يعني "غير لائق"، لأن المتسابق كسر قوانين التدريب، وبالتالي فهو غير لائق لدخول مسابقات الحصول على الإكليل"[١٠٧].

إن الرسول بولس يضع أمامنا مَثَل الرجل الرياضي الذي يعزل نفسه عن ملذات العالم وشهواته، زاهداً فيما لا ينفعه، ناسياً بالتمام كل ما هو وراء، ممتداً إلى ما هو قدَّام، غير منشغل باهتمامات العالم ومعوِّقاته، مثبِّتاً نظره على الهدف المحدد المثبَّت أمام عينيه. وهو وإن كان يُخضع نفسه لتدريبات شاقة، فهي في النهاية تؤهِّله للحصول على الإكليل.

ويلخِّص بولس الرسول كل هذه الفكرة في نصيحة يرسلها إلى تلميذه تيموثاوس: «لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَجَنَّدُ يَرْتَبِكُ بِأَعْمَالِ الْحَيَاةِ لِكَيْ يُرْضِيَ مَنْ جَنَّدَهُ. وَأَيْضاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ، لاَ يُكَلَّلُ إِنْ لَمْ يُجَاهِدْ قَانُونِيًّا» (٢تي ٢: ٤و٥). لكنه يشجِّع هذا التلميذ أنه إذا جاهد قانونياً فإكليله مضمون، فقط عليه أن يكون مستعداً ومنتظراً مجيء الرب: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ

[107] Wuest, *Bypaths in the Greek New Testament.* Wm. B. Eerdmans Publishing Company, (1973) p. 57.

الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضاً» (٢تي ٤:٧و٨).

تأديبات الله

*****

انطلق القديس بولس الرسول في كرازته باسم المسيح شرقاً وغرباً، وشهد للمسيح أمام ملوك وولاة وفلاسفة، وأمام رؤساء كهنة اليهود وفي مجامعهم، وتسبب في خلاص الكثيرين. واختُطف إلى السماء الثالثة، وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها (٢كو ١٢:٤). بل أُعطي أيضاً موهبة إخراج الشياطين وشفاء المرضى حتى إلى إقامة الموتى. ومع ذلك نسمع أنه "أُعطي شوكة في الجسد"، ومن أجلها تضرَّع إلى الله عدة مرات حتى يرفعها عنه، لكنه لم يستجب له.

فلماذا يجوز المسيحيون اختبار الألم؟ ولماذا يمرُّون تحت تأديبات الرب؟ ففي الرسالة إلى العبرانيين، نرى أن المؤمنين قد قاسوا من التعيير والاضطهاد والسجن والسلب وذلك بسبب إيمانهم. فتذكر الرسالة أنهم جازوا هذه الآلام بعد أن نالوا الاستنارة أي المعمودية:

«وَلكِنْ تَذَكَّرُوا الأَيَّامَ السَّالِفَةَ الَّتِي فِيهَا بَعْدَ مَا أُنِرْتُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ آلاَمٍ كَثِيرَةٍ. مِنْ جِهَةٍ مَشْهُورِينَ بِتَعْيِيرَاتٍ وَضِيقَاتٍ، وَمِنْ جِهَةٍ صَائِرِينَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تُصُرِّفَ فِيهِمْ هكَذَا. لأَنَّكُمْ رَثَيْتُمْ لِقُيُودِي أَيْضاً، وَقَبِلْتُمْ سَلْبَ أَمْوَالِكُمْ بِفَرَحٍ» (عب ١٠:٣٢-٣٤)؛

حتى إن هذه الضيقات كادت أن تفقدهم ثقتهم في الإيمان، مما حدا بالرسول أن يحثهم على التمسُّك بثقتهم بالله: «فَلاَ تَطْرَحُوا ثِقَتَكُمُ الَّتِي لَهَا مُجَازَاةٌ عَظِيمَةٌ. لأَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى الصَّبْرِ» (عب ١٠:٣٥و٣٦).

قد يتساءل بعض المسيحيين أحياناً: ما الدرس الذي يريد الله أن يعلِّمنا إياه من خلال هذه الآلام؟ فالمسيحي عندما يُدرك مقاصد الله من وراء التجارب، يقدر على الصبر وعلى تحمُّل الألم. ففي الرسالة إلى العبرانيين يصف الرسول الآلام بأنها تأديبات الله: «لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ» (عب ١٢:٦، أم ٣:١٢). كيف تكون التجارب والآلام علامة على محبة الله ودليلاً على أننا صرنا أبناءً له؟ للإجابة على هذا التساؤل يجب أولاً أن نعرف ما المقصود من كلمة "تأديبات"، ثم نتفهم غرض الله من التأديبات ومن هدفها النهائي من نحونا!

كلمة "يؤدِّب" هي ترجمة للكلمة اليونانية παιδεύω (بيديفو)، ولهذه الكلمة معنيان أساسيان يكمل أحدهما الآخر. المعنى الأول: "يُربِّي" أو "يُدرِّب" أو "يُعلِّم". والمعنى الثاني: "يؤدِّب" أو "يُعاقب". وهذا المعنى يشير إلى عملية التأديب والإصلاح التي يخضع لها الطفل في حياته[١٠٨].

والاسم: "التأديب" هو ترجمة لكلمة παιδεία (بيديا) والتي تضم

[108] *Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. 5, pp. 608-612.

المعاني السابقة للفعل، وهي تعبِّر عن غاية التربية في العالم اليوناني وعملية تنشئة الإنسان وتكوينه. يظهر هذا المعنى في سفر أعمال الرسل عن موسى النبي: «فَتَهَذَّبَ (παιδεύω) مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ» (أع ٧:٢٢).

في الكتاب المقدس في العهد القديم هناك كلمتان في اللغة العبرية يحملان معنى التعليم والتدريب مع العقاب والتهذيب، وهما " יסר (ياسار) ومعناها يؤدب أو يهذب، و מוּסָר (موسار) ومعناها تأديب أو تهذيب أو تعليم"[١٠٩].

فأثناء إقامة الله لعهده مع شعب إسرائيل في القديم، كان يؤدِّبهم بالمحبة حتى يجتذب إليه الشعب. فنسمع إرميا النبي يقول: «لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ، لأُخَلِّصَكَ. وَإِنْ أَفْنَيْتُ جَمِيعَ الأُمَمِ الَّذِينَ بَدَّدْتُكَ إِلَيْهِمْ، فَأَنْتَ لاَ أُفْنِيكَ، بَلْ أُؤَدِّبُكَ بِالْحَقِّ، وَلاَ أُبَرِّئُكَ تَبْرِئَةً» (إر ٣٠:١١).

وتظهر صورة الأب المحب في علاقته مع شعبه: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ (أي بواسطة البشر)، وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ (أي بآلام يحتملها البشر). وَلكِنَّ رَحْمَتِي لاَ تُنْزَعُ مِنْهُ» (٢صم ٧:١٤و١٥).

---

[109] *Theological Dictionary of the Old Testament,* Vol. 6, pp. 127-134.

وكلمتا "ياسار وموسار" لا يُستعملان في عقاب الحيوانات والبهائم ولا في العقوبات التي كان يُوقعها الله على الأمم الغريبة، لكنهما فقط يصفان تأديب الله لشعبه. فقد قال موسى النبي لشعب إسرائيل: «كَمَا يُؤَدِّبُ الإِنْسَانُ ابْنَهُ قَدْ أَدَّبَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ» (تث ٨:٥). وبالمثل يقول سليمان الحكيم: «يَا ابْنِي، لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ وَلاَ تَكْرَهْ تَوْبِيخَهُ، لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَكَأَبٍ بِابْنٍ يُسَرُّ بِهِ» (أم ٣:١١و١٢). كما يقول داود النبي: «تَأْدِيباً أَدَّبَنِي الرَّبُّ، وَإِلَى الْمَوْتِ لَمْ يُسَلِّمْنِي» (مز ١١٨:١٨).

وعندما تمت ترجمة العهد القديم إلى اللغة اليونانية فيما عُرف باسم الترجمة السبعينية، تُرجمت الكلمتان "ياسار وموسار" في أغلب الحالات إلى الفعل παιδεύω (بيديفو)[110]. وقد وضع المترجمون نصب أعينهم دائماً علاقة الله ومحبته كأب يؤدِّب أولاده، أكثر من التجائهم إلى مفهوم التأديب أو العقاب حسب أصول التربية في العالم اليوناني.

فمحبة الله التي عبَّر عنها في تهذيبه لأولاده وتأديبهم تختلف تماماً، بل وتضاد أحياناً، موقف العالم القديم من ناحية تربية الأطفال وتهذيبهم. فلم يكن للطفل في القرن الأول الميلادي حقوق من جهة التعليم والتنشئة، ولا حتى الحق في الحياة. فالوالدان في المجتمع اليوناني

---

[110] P. R. Gilchrist, יסר, in: *Theological Wordbook of the Old Testament*, vol. I, Moody Press (1980) p. 386-387.

الروماني كان من حقهم التخلِّي عن أطفالهم وعدم الالتزام بالنفقة عليهم وتعليمهم. فمن الممكن أن يتلقَّى الأطفال في العالم القديم التعليم (بيديا)، لكن لم يكن هذا التعليم يعبِّر عن محبة الوالدين.

بعكس الطفل في العالم المسيحي (أو اليهودي) الذي كان يتلقَّى التعليم ويخضع للتأديب لأنه نافع له في طريق خلاصه. فقد تلقَّى تيموثاوس تعليمه من الصغر وتأدَّب على مبادئ الكتاب المقدس، لأن كلام الله: «... نَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ» (٢تي ٣:١٥-١٧).

إن إرادة الله هي أن يَرُدَّ قلوب الآباء إلى أبنائهم (ملا ٤:٦) ليُعلِّموهم وصاياه (تث ٦:٧). وقد أوصى القديس بولس الآباءَ أن يربُّوا أولادهم «بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ» (أف ٦:٤). فالأب يعبِّر عن محبته لابنه من خلال تربيته له وتعليمه، حتى لو اضطر أن يستخدم أسلوب التأديب.

على نفس المنوال، فإن تأديبات الله تُعلن أن لنا أباً سماوياً يحبنا ويسهر بنفسه على تربيتنا وتهذيبنا. وكاتب الرسالة إلى العبرانيين كان يضع في ذهنه محبة الله لأولاده عندما اقتبس الآية: «الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ» ليشرح لماذا يؤدِّب الرب أولاده. فالتأديب هنا هو أوضح تعبير عن محبة الله الأبوية لنا. فإن كنا نحترم آباءنا الجسدانيين عندما يؤدِّبوننا، فكم بالأولى أبونا السماوي: «إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ

كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ ... قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدًّا لأَبِي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا؟» (عب ١٢:٧و٩).

وإذا نظرنا إلى الرسالة إلى العبرانيين في الآيات (١٢:٥-١١) نجد أن الفعل "يؤدِّب" παιδεύω يتكرَّر فيها ثماني مرات. وهذه الآيات تشرح بوضوح غرض الله من التأديب. وكان من الممكن لكاتب الرسالة أن يختار كلمات أخرى تُعطي معنى أكثر عنفاً للتأديب والعقاب.

فهناك الفعل κολάζω "كولازو" الذي يؤكِّد على التأديب من أجل الإصلاح، لكنه لا يفي كليةً بغرض التنشئة والتربية. وهو الفعل الذي استُخدم في سفر أعمال الرسل أثناء محاكمة الرسولَيْن بطرس ويوحنا أمام رؤساء الكهنة: «وَبَعْدَ مَا هَدَّدُوهُمَا أَيْضاً أَطْلَقُوهُمَا، إِذْ لَمْ يَجِدُوا الْبَتَّةَ كَيْفَ **يُعَاقِبُونَهُمَا** بِسَبَبِ الشَّعْبِ» (أع ٤:٢١).

وهناك الفعل τιμωρέω "تيموريئو" الذي يشير إلى العقاب بغرض الانتقام. ويُعطي معنى قيام المذنَب إليه بتوقيع العقاب العادل: «فَكَمْ **عِقَاباً** أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟» (عب ١٠:٢٩).

والفعل διχοτομέω "ديخوتوميئو" يعني يوقِّع أقصى عقاب، ومعناها الحرفي يُقطِّع المذنب إلى قِطَع: « يَأْتِي سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ

يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا، فَيُقَطِّعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْمُرَائِينَ» (مت ٢٤:٥٠و٥١).

والفعل ἐκδικέω "اكديكيئو" يشير إلى العقاب بغرض الأخذ بالثأر: «لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ» (رو ١٢:١٩).

والفعل ζημιόω "زيميوأو" يشير إلى العقاب الذي يؤدِّي إلى خسارة (١كو ٣:١٥).

والفعل βασανίζω "فاسانيزو" يشير إلى العقاب بواسطة التعذيب والإيلام الجسدي (مت ٨:٢٩).

ففي النصوص الأدبية القديمة تشير هذه الكلمات إلى العقاب الإلهي أو العقاب البشري على حدٍّ سواء. فغالباً ما كان يُعاقب المجرمون بالضرب أو الغرامة أو بالعمل في المناجم أو بالعذابات الجسدية المختلفة. وكان العبيد يُعاقبون بأية وسيلة يرضى بها السادة. أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فلم يختر أي واحدة من هذه الكلمات ليصف بها سر الآلام في حياة المسيحي. لكنه أورد صورة حيَّة عن تأديب الله لأولاده بغرض تقدُّمهم الروحي. وكان الحب الأبوي هو الدعامة الأساسية التي يستند عليها الغرض الإلهي من التأديب.

إذن، ما الغرض من الآلام بالنسبة للإنسان المسيحي؟ الكتاب يصف

التأديب أنه مؤلم ومحزن (عب ١٢:١١)، وهذه حقيقة لا يمكن أن نغفلها. لكن يجب ألاَّ ننسى أن في الأوقات العصيبة تتجلَّى لنا محبة الله ونعرفه عن قرب. فالله يؤدِّبنا أولاً «لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ» (عب ١٢:١٠)، ثم هو يريدنا أن نختبر كيف نحصد من التأديب السلام والبر (عب ١٢:١١). كما أنه يقوِّينا ويشدِّدنا بالتأديب حتى يستطيع أن يستخدمنا في علاج ضعفات الآخرين: «لِذلِكَ قَوِّمُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ، وَاصْنَعُوا لأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لاَ يَعْتَسِفَ (ينحرف) الأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى» (عب ١٢:١٢و١٣). أو كما يقول بولس الرسول: «الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا...» (٢كو ١:٤).

هذه البركات التي ينالها المؤمن من التأديب والآلام تجعل من الألم ضرورة يجب أن يحتملها. ولنضع أمام أعيننا البركات التي عادت علينا نتيجة الآلام التي جازها الرب يسوع: « مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إش ٥٣:٥). لقد تحمَّل الرب يسوع الصليب والإهانات من أُناس خطاة من أجل السرور الموضوع أمامه، ومن ثمَّ جلس عن يمين العظمة في الأعالي (عب ١٢:٢و٣). فآلامه جلبت لنا الخلاص، لذلك يجب ألاَّ نيأس أو نضعف بسبب الآلام (عب ١٢:٣).

حقاً، لقد جاهد بولس الرسول وكرز بالإنجيل، ونال مواهب التعليم والشفاء وباقي مواهب الروح القدس. لكن كانت الشوكة التي نالها في جسده أعظم من جميع المواهب التي حصل عليها، لأنها هي التي حافظت له على هذه المواهب. والقديس بولس نفسه يشرح هذه الحقيقة بأسلوبه قائلاً:

+ «إِنَّهُ لاَ يُوَافِقُنِي أَنْ أَفْتَخِرَ. فَإِنِّي آتِي إِلَى مَنَاظِرِ الرَّبِّ وَإِعْلاَنَاتِهِ ... وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ. مِنْ جِهَةِ هذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ». فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ. لِذلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاِضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ. لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ» (٢كو ١:١٢و٧-١٠).

ذبائح الأوثان

*****

يواجه المسيحيون في مختلف عصورهم نفس هذه المشكلة: كيف يعيش الإنسان المسيحي حياة مسيحية كاملة في مجتمع لا تحكمه الثقافة المسيحية؟ هذا ما حدث في مدينة كورنثوس حيث واجه المسيحيون هناك مشكلة اللحوم التي ذُبحت كأضاحي للأوثان (١كو ٨: ١-١٣). فهل أكل مثل هذه اللحوم كان يعني قبول أو الاعتراف بمثل هذه الأوثان؟ وهل الأكل من هذه اللحوم ينجس الإنسان المسيحي؟ وهل ينعكس هذا الأكل على الإيمان المسيحي عموماً أو هل يسيء إلى شخص المسيح نفسه؟ وما مفهوم مثل هذه اللحوم في أيامنا هذه؟

هناك أمران يجب أن نضعهم في الاعتبار يسهلان علينا فهم رأي القديس بولس في هذه المشكلة. الأول هو أن مؤمني كنيسة كورنثوس قبل تحولهم إلى المسيحية كانوا يؤمنون بتقاليد دينية متباينة. فالمسيحيون من أصول يهودية كانوا ينظرون إلى ذبائح الأوثان بوجهة نظر مختلفة عن المسيحيين الذين كانوا من أصول أممية أي وثنية. ثانياً: كان هناك عادات وممارسات يومية صاحبت أو أثرت على طريقة تناول اللحوم المقدمة كذبائح للأوثان.

كان القديس بولس على دراية تامة بهذين الأمرين. وكانت كنيسة كورنثوس قد أرسلت له رسالة تشرح له فيها هذه المشكلة بكل أبعادها والممارسات التي تحكم حياتهم اليومية في هذا الأمر.

كانت كورنثوس مدينة تجارية هامة، وكانت معبراً هاماً للتجارة، لذلك كانت المدينة تغص بالمسافرين والتجار طوال اليوم. وكان من السهل أن تلتقي هناك بأصحاب ديانات وعوائد وثنية مختلفة. فقد كانت الثقافة اليونانية نفسها تشجع على قيام مثل هذه الديانات بما تحفل به الآداب والأساطير اليونانية من الآلهة وأشباه الآلهة. وكانت الذبائح التي تقدم لهذه الآلهة جزءاً هاماً من هذه العبادات، سواء كانت ذبائح دموية (حيوانية)، أو تقدمات غير دموية (نباتية أو هدايا عينية).

كانت الذبائح الدموية تمثل مصدراً للحوم المستهلكة يومياً. وكانت هذه الذبائح تقدم من الثيران والغنم والماعز والخنازير وبعض الطيور. وكانت الطقوس المصاحبة لهذه الذبائح مختلفة ومتنوعة حسب المجتمعات أو التجمعات التي تقدم فيها، وإن كان هناك طقوس عامة مشتركة في كافة النواحي.

طقوس تقديم الذبائح:

كان مقدم الذبيحة يقود ذبيحته في موكب احتفالي إلى مكان الذبح. وكرمز لتطهير الذبيحة كان يُصب الماء على رأس مقدم الذبيحة وعلى رأس

الحيوان. ثم يمسك مقدم الذبيحة حفنة من الحبوب الزراعية أو من الحصى ويرفعها عالياً نحو السماء، مقدماً صلاة أو طلبة أو نذراً للآلهة، ثم يلقي بالحبوب أو الحصى فوق الحيوان الذي يكون موضوعاً على المذبح.

ثم يتقدم صاحب الأضحية بعد ذلك ماسكاً بسكين في يده ويقطع بعض خصلات من الشعر من مقدم رأس الحيوان ويلقيها في النار، وبعد ذلك يتم ذبح الحيوان، ويُجمع الدم في وعاء ويُصب فوق المذبح. وأثناء الذبح تصيح النسوة المصاحبة للذبح بأصوات عالية كرمز لنصرة الحياة على الموت.

بعد سلخ جلود الذبائح، تطبخ الأعضاء الحيوية مثل القلب والكبد على نار المذبح، وتكون من نصيب مقدمي الذبيحة الأقربين، وكل ما لا يصلح للأكل يتم حرقه. وفي نهاية الطقوس يُقدم ما تبقى من الذبيحة لبقية المحتفلين. إذ أنه كان من الطقوس الهامة في تقديم الذبائح أن يكون هناك شركة أو احتفال يحضره مجموعة كبيرة من أقارب وأصدقاء مقدمي الذبيحة يحيطون بالذبيحة أثناء الاحتفال بتقدميها للآلهة.

متى تقدم الذبائح:

يعتمد موعد تقديم الذبائح على مواسم الاحتفال بالآلهة المختلفة. وربما يرتبط تقديم الذبائح بالأعياد القومية للبلد أو الولاية. فلم تكن تقديم الذبائح طقوساً يومية، بل كانت عادة ما تخضع لقواعد وأنظمة

دينية عامة.

وبالإضافة إلى هذه المواسم العامة أو الأعياد، كان هناك بعض المجموعات الخاصة، أو الجماعات العرقية، أو حتى بعض النوادي التي لها صبغة دينية، تمارس تقديم الذبائح بصفة دورية معتمدة على بعض العادات والتقاليد الموروثة عندها، وعلى الإله الذي ينتمون إليه. وطبعاً كان لكل جماعة قوانينها الخاصة وموعد اجتماعاتها والغرض من هذا الاجتماع. وبعد أن تتم هذه الاحتفالات، يقوم المحتفلون بتناول لحم هذه الذبائح، وإن بقي جزء من الذبائح بعد الاحتفال كانوا يوزعونه عليهم.

أماكن تقديم الذبائح:

تقدم الذبائح عادة في الهياكل الوثنية التي كانت منتشرة في المدن، وكان لبعض الهياكل قاعات خاصة ملحقة لإقامة الاحتفالات ولعقد الاجتماعات، مثل حفلات العرس وأعياد الميلاد والاحتفالات الأسرية الخاصة التي تحتاج إلى قاعات كبيرة. وكانت مدينة كورنثوس تضم عدة هياكل هامة مثل هيكل الإله أبولو والإله اسكليبوس. كان هيكل الإله اسكليبوس يقع في أرقى حي بالمدينة، وكان به عين ماء وبركة ماء للاستشفاء، كما كان يحوي ثلاث حجرات للاجتماعات والاحتفالات الدينية، كما كانت تستعمل كنوادٍ عامة.

عاش المسيحيون في مدينة كورنثوس وسط هذه الأجواء الوثنية. وربما كان بعضهم أعضاءً في مثل هذه النوادي قبل إيمانهم، كما يُدعى البعض الآخر للمشاركة في بعض احتفالات الزواج التي كانت تجري هناك. وبالطبع كانوا يشاركون في الأكل من الوجبات التي تقدم، والتي كانت تحتوي على بعض اللحوم التي كانت تتبقى من الذبائح.

مشكلة كنيسة كورنثوس:

تسببت مسألة اللحوم المقدمة كذبائح لمؤمني كورنثوس في مشكلة ذات شقين. أولاً بالنسبة للمسيحيين الذين يشتركون في الاحتفالات المقامة في الهياكل أو حتى في الاحتفالات المقامة في بيوت بعض الأصدقاء الوثنيين القدامى، والتي كانت تقدم فيها مثل هذه اللحوم. ثانياً بالنسبة للمسيحيين الذين يشترون اللحوم من الأسواق والتي ربما تكون من بقايا الذبائح الوثنية التي كانت تترك في الهياكل كل يوم وكانت تباع لمحلات الجزارة. ومن هنا نشأ الصراع في كنيسة كورنثوس حول هذا الأمر.

فالبعض من المسيحيين ذوي الأصول الوثنية، كانوا يدركون أن إيمانهم بالمسيح قد حررهم من تأثير الآلهة الوثنية: «فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ، نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ إِلاَّ وَاحِداً» (١كو ٨: ٧). وبالتالي فإن اللحوم المقدمة كأضاحي ليست مقدسة وليس

لها أي معنى ديني ولا تحمل أية قوة غيبية تفيد أو تضر الإنسان المسيحي الذي يتناولها.

والبعض الآخر من المسيحيين ذوي الأصول اليهودية أو حتى من الأمم ضعاف الإيمان، كانوا يشعرون أن هذه اللحوم تمثل رمزاً للوثنية أو للعبادات المحرمة، وبالتالي فإن الأكل منها يعتبر نوعاً من الموافقة على هذه العبادات.

ونظراً لأن معظم القيادات في الكنيسة المسيحية الناشئة كانت من اليهود المهتدين للمسيحية، لذلك كانوا يميلون بالأكثر إلى تحريم الأكل من مثل هذه الذبائح، وهذا ما ظهر بوضوح في مجمع أورشليم: «لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ، أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ، غَيْرَ هذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَعَنِ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا» (أع ١٥: ٢٨-٢٩).

فكيف عالج بولس الرسول هذه المشكلة على أرض الواقع، خاصة أنه كان عنده قرارات مجمع أورشليم؟ بالرغم من إيمان بولس الرسول المطلق أن هذه الذبائح ليست نجسة في حد ذاتها (١كو ٨: ٤)، إلا أنه كان ينظر بعين الاعتبار إلى باقي المسيحيين وخاصة الضعفاء منهم الذين كانوا يتشككون عندما يرون البعض يأكلون مثل هذه اللحوم: «أُنَاسٌ بِالضَّمِيرِ نَحْوَ الْوَثَنِ إِلَى الآنَ يَأْكُلُونَ كَأَنَّهُ مِمَّا ذُبِحَ لِوَثَنٍ، فَضَمِيرُهُمْ إِذْ هُوَ

ضَعِيفُ يَتَنَجَّسُ» (١كو ٨: ٧). لذلك وضع القديس بولس هذا الحل، فقد طلب من أعضاء الكنيسة عدم الاشتراك في الاحتفالات المقامة في الهياكل الوثنية التي تقدم فيها هذه اللحوم، وبالتالي تجنب أكل هذه اللحوم، ووضع حد للعثرة المتسببة من وراءها: «لأَنَّهُ إِنْ رَآكَ أَحَدٌ يَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ، مُتَّكِئاً فِي هَيْكَلِ وَثَنٍ، أَفَلاَ يَتَقَوَّى ضَمِيرُهُ، إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ، حَتَّى يَأْكُلَ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ؟» (١كو ٨: ١٠).

وفي نفس الوقت أوضح القديس بولس أن اللحوم غير المعروف صراحة أنها مقدمة كذبائح، فمسموح بأكلها. فإن قام أحد المؤمنين بشراء لحم من السوق، فليس له أن يسأل عن مصدرها. وأيضاً إذا دُعي أي مسيحي إلى حفلة غذاء تقدم فيها لحوم، فلا يسأل أيضاً عن مصدرها، بل يشكر الله ويأكل مما يقدم له: «كُلُّ مَا يُبَاعُ فِي الْمَلْحَمَةِ كُلُوهُ غَيْرَ فَاحِصِينَ عَن شَيْءٍ، مِنْ أَجْلِ الضَّمِيرِ، لأَنَّ لِلرَّبِّ الأَرْضَ وَمِلأَهَا» (١كو ١٠: ٢٥-٢٦)، ولأن «كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ لأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ وَالصَّلاَةِ» (١تي ٤: ٤-٥).

هذا المنهج الذي وضعه بولس الرسول سمح للمسيحيين ذوي الأصول الوثنية بأكل اللحوم، وفي نفس الوقت جنَّب المؤمن الضعيف من أن يُعثر أو يتشكك. فلم تكن المشكلة أمام بولس الرسول هي مشكلة أكل وشرب، أو مشكلة الذهاب إلى الحفلات المقامة في الهياكل الوثنية، والتي

يمثلها الآن ارتياد أي مكان يمثل عثرة للآخرين مثل أماكن اللهو والترفيه، إذ أوضح لمؤمني كنيسة كورنثوس أن «الطَّعَامَ لاَ يُقَدِّمُنَا إِلَى اللهِ، لأَنَّنَا إِنْ أَكَلْنَا لاَ نَزِيدُ وَإِنْ لَمْ نَأْكُلْ لاَ نَنْقُصُ» (١كو ٨: ٨). بل المشكلة الأساسية في الحرية التي يمارسها بعض الأقوياء في الكنيسة (أو من يظنون في أنفسهم أنهم أقوياء)، وبعض المتعلمين (أو من يحسبون أنفسهم علماء) غير واضعين في اعتبارهم ما تؤدي هذه الحرية إلى عثرة الآخرين: «فَيَهْلِكَ بِسَبَبِ عِلْمِكَ الأَخُ الضَّعِيفُ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِهِ» (١كو ٨: ١١).

من السهل أن يعطي الخادم أو المسئول في الكنيسة الحرية لنفسه أن يفعل ما يشاء، أو يدين من يشاء، أو يهاجم من يخالفه في الرأي، استناداً إلى الحرية التي أعطاها له المسيح، أو بدافع الغيرة على المقدسات، دون الالتفات إلى مستوى إيمان المستمعين أو خبرتهم الإيمانية: «وَهَكَذَا إِذْ تُخْطِئُونَ إِلَى الإِخْوَةِ وَتَجْرَحُونَ ضَمِيرَهُمُ الضَّعِيفَ، تُخْطِئُونَ إِلَى الْمَسِيحِ» (١كو ٨: ١٢). لقد نطق بولس الرسول بالروح القدس هذه المقولة التي اتخذها كثيرٌ من القديسين نبراساً لحياتهم: «لِذلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْثِرُ أَخِي فَلَنْ آكُلَ لَحْماً إِلَى الأَبَدِ، لِئَلاَّ أُعْثِرَ أَخِي» (١كو ٨: ١٣).

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في شرحه على هذه الآية:

[هذا ما يجب أن يتحلى به المعلم الصالح، أن يعلِّم بسلوكه ما ينطقه

بفمه. فليس ما يعنيه أن يقول إن هذا الأمر عادل أو غير عادل، لكن بالأولى عليه أن يرفض أموراً أخرى تبدو مباحة. فاللحوم المقدمة للأوثان وإن كان غير مسموح بأكلها لأسباب أخرى، لكن حتى الأمور المباحة، والتي من الممكن أن تسبب عثرة، فسوف أمتنع عن هذه أيضاً، ليس ليوم وليومين، بل كل أيام حياتي، لأن بولس يقول «لِذلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْثِرُ أَخِي فَلَنْ آكُلَ لَحْماً إِلَى الأَبَدِ، لِئَلاَّ أُعْثِرَ أَخِي». ولم يقل إنه سوف يمتنع عن ذلك خشية أن يهلك أخوه، بل ببساطة لكي لا أعثر أخي. فيجب أن أضع في الاعتبار الأمور التي اهتم بها المسيح جداً وهي أنه اختار أن يموت من أجل هؤلاء. فيجب أن نهتم نحن بخلاص القريب ولا نتفوه بمثل تلك الكلمات الشيطانية: ما شأني أنا بمن يعثر أو يتشكك] [١١١].

[111] *N.P.N.F. 1st. series vol. 12, Homily 20*

التاج والإكليل

*****

عندما هاجمت قبائل البربر، الآتية من غرب أفريقيا، جماعة الرهبان ببرية أنبا مقار، هرب بعض الرهبان إلى الحصن، ما عدا تسعة وأربعين شيخاً فضَّلوا الاستشهاد على الهرب. وكان في زيارة البرية في ذلك الوقت مندوب عن الملك ثيئودوسيوس بصحبة ابنه، وقد رأيا أثناء استشهاد الشيوخ ملائكة من السماء يضعون أكاليل منيرة على رأس هؤلاء الشهداء. ومن شدة انبهارهما بجمال الأكاليل، خرجا من مخبأهما لينالا هما أيضاً أكاليل الاستشهاد على أيدي البربر المُغيرين.

منظرٌ مهيب يتكرر كثيراً في سِيَر الشهداء، شهد كثيرون برؤية هذه الأكاليل السماوية وهي تُكلِّل رؤوس مَن أحبوا المسيح حتى سفك الدم.

وكلمة تاج أو إكليل تتكرر في كتاب العهد الجديد عدة مرات، وإذا رجعنا إلى النص اليوناني، نجد هناك كلمتين تترجمان في العربية إلى كلمتي تاج وإكليل. وهناك اختلاف واضح في معنى الكلمتين. وكِلاَ الكلمتين كانتا تُستعملان في الحياة العامة، في القرن الأول المسيحي، أثناء التحدُّث باللغة اليونانية، لغة العهد الجديد. ومن الأفضل معرفة معنى كل كلمة حتى نحصل على مفهوم كامل ودقيق لآيات العهد الجديد التي تتكرر فيها

هذه الكلمة.

الكلمة الأولى هي "στέφανος - ستفانوس" والتي تُرجمت في العهد الجديد بكلمة "إكليل"، وهي تشير إلى الإكليل الذي يحصل عليه الفائز في المباريات الرياضية اليونانية، مثل العدَّاء الذي يُنهي السباق أولاً، ورامي القرص الذي يصل برميته إلى أبعد مسافة، والمصارع الذي يصرع منافسه ويطرحه أرضاً. وكان أيضاً يُمنح لخادم الدولة الذي يستحق التكريم، كما كان يلبسه العروسان في طقس سرِّ الزيجة الذي يُعقد عليهما.

لذلك يُعتبر الإكليل (ستفانوس) رمزاً للنصر وللتكريم وللاحتفالات السعيدة. وكان هذا الإكليل يُصنع كضفيرة من أفرُع شجر السنديان والزيتون وبعض أفرع الزهور والنباتات الخضراء مثل الريحان والبنفسج والورود. وكانت الكلمة "ستفانوس" تُعطي معنى المكافأة أو المجازاة أكثر من كونها مجرد إكليل من الزهور"[١١٢].

ربما إذا ذكرنا كلمة "تاج" أو "إكليل" اليوم، فإن أول ما يأتي على ذهننا ذلك التاج الذهبي الذي كنا نراه قديماً يُزيِّن رأس الملوك والملكات، والذي يشعُّ بريقه بما يتحلَّى به من فصوص من الجواهر والأحجار

---

[112] *Grundmann, Walter,* στέφανος, *Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. VII, p. 629.

الكريمة. فإن طبَّقنا هذا المعنى على آيات العهد الجديد التي يرد فيها كلمة "ستفانوس" لضاع منا المعنى المقصود من الآية، وربما نفقد أيضاً بعض المفاهيم الهامة لهذه الآيات. أما قارئ العهد الجديد في الأيام الأولى للمسيحية، فعندما كانت تقابله هذه الكلمة، فإنه كان يفهم معناها الأصلي المقصود بسبب استعمال هذه الكلمة في الحياة اليومية الْمُعاشة. ولم يكن هذا المفهوم قاصراً على المسيحي ذي الجنسية اليونانية فقط، لأن الثقافة اليونانية كانت شائعة في معظم العالم القديم وخاصة بعد انتشارها منذ أيام الإسكندر الأكبر.

أما الكلمة الأخرى التي تُترجم إلى كلمة "تاج" في العهد الجديد فهي "διάδημα - ديادِيما". وهذا الاسم اليوناني مشتق من فعل معناه: "يربط معاً"، وهو يشير إلى شريط أزرق مُحلًّى بعلامات بيضاء كان يلبسه الملوك الفُرْس فوق العمامة أو لباس الرأس كزينة للرأس وكتعبير عن الملوكية[١١٣].

فالكلمة الأولى "ستفانوس" هي إكليل النصر، بينما الثانية "ديادِيما" فهي تاج الملوكية. وسوف نورد بعض الآيات التي وردت بها هاتان الكلمتان للتمييز بينهما.

---

[113] L. E. Toombs, *Diadem*, in *The Interpreter's Dictionary of the Bible*, Vol. I, p. 839.

✞ ففي رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٩: ٢٤-٢٧)، يذكر أثناء حديثه عن **الخدمة المسيحية**، حلبةَ السباق اليونانية كرمز لنشاط المسيحي في خدمته لسيده المسيح. فيقول: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ، وَلَكِنَّ وَاحِداً يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ؟». فهو يشرح هنا أن العدَّاء اليوناني يجري في السباق لكي ينال إكليلاً يفنى مصنوعاً من أفرع الشجر وبعض الزهور، التي سوف تذبل سريعاً. أما المسيحي ففي نهاية خدمته سوف ينال إكليلاً لا يفنى: « هَكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا... أَمَّا أُولَئِكَ فَلِكَيْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى».

فعلى هذا المسيحي الذي يشتاق أن ينال هذا الإكليل الدائم، أن يُداوم على الجهاد الطويل الموضوع أمامه، وهذا الجهاد يحتاج إلى نشاط ويقظة وتمارين مستمرة. وحسب تعبير بولس الرسول في نهاية هذه الآيات: «بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ، لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضاً».

وكلمة "مرفوضاً" هنا في اللغة اليونانية مشتقة من فعل معناه "يوضع تحت الاختبار، وبعد اجتيازه الاختبار يُرفض لأنه لم يكن صالحاً لهذا الاختبار". والقديس بولس أيضاً يستعير هذه الصورة من حلبات السباق اليونانية، فهو تعبير فني معناه "رَفض المتسابق وعدم نواله الإكليل لخرقه

قواعد السباق". فإن لم يُمارس بولس ما يكرز به، فسوف يُرفض، ولن يكون له الحق في الإكليل الذي سيناله مَن يقوم بالخدمة المسيحية. فهو يخاف أن تؤخذ منه خدمته الرسولية وتُعطَى لآخر.

عندما يقرأ هذه النص أحد مؤمني الكنيسة الأولى، فسوف يفهم ما يقصده بولس الرسول، وذلك بسبب معرفته لقواعد الألعاب اليونانية في أيامه، وسيدرك أن الرسول لا يتكلَّم هنا عن خلاصه الأبدي، لأنه قال في موضع آخر: «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ» (٢تي ١: ١٢)؛ بل الرسول هنا يضع عينه على المكافأة التي هي إكليل الرسولية.

وفي رسالته إلى أهل فيلبي (٤: ١) يدعو القديس بولس القديسين بأنهم "إكليله": « إِذاً يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ وَالْمُشْتَاقَ إِلَيْهِمْ، يَا سُرُورِي وَإِكْلِيلِي». فكما تُجدل أغصان شجر السنديان مع بعض الزهور لتصنع إكليلاً يوضع على الرأس، هكذا يقول بولس الرسول لمؤمني فيلبي: "أنتم، أيها الفيلبيُّون، مجدولون معاً في إكليل انتصاري كرمز دائم لنصرتي على أعوان إبليس في فيلبي ودليل مكافأة خدمتي الرسولية عندكم".

أما عن أهل تسالونيكي الذين ربحهم للمسيح، فهم يمثلون إكليل فرح يُزين به هامته في مجيء الرب يسوع: «لأَنْ مَنْ هُوَ رَجَاؤُنَا وَفَرَحُنَا وَإِكْلِيلُ افْتِخَارِنَا؟ أَمْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً أَمَامَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ؟ لأَنَّكُمْ

أَنْتُمْ مَجْدُنَا وَفَرَحُنَا» (١تس ٢: ١٩،٢٠).

أما في رسالته لتلميذه تيموثاوس (٢تي ٤: ٦-٨)، فهو يتكلَّم عن إكليل البر، وأيضاً ما يزال في فكر القديس بولس الصورة الرياضية اليونانية، فهو يقول: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ». لم يجاهد "جهاداً حسناً" كمجهود شخصي يُشكر عليه، بل "الجهاد الحسن"، أي الجهاد الرسمي أو القانوني المطلوب منه. وهنا صورة الاستاد الرياضي حيث يتجمَّع المشاهدون ليروا اثنين من المصارعين وكل منهما يجاهد أو يُصارع قانونياً حسب قوانين اللعبة، وذلك لكي ينال إكليلاً من الزهور يُزين به هامته. والجهاد يُصوَّر أنه "حسن"، ليس من وجهة نظر المتصارع، بل من وجهة نظر المشاهدين والحُكَّام. ثم ينتقل بولس الرسول إلى صورة أخرى ويقول: «أَكْمَلْتُ السَّعْيَ». وهو هنا يُصوِّر حلبة سباق وهو يجري في مضمار وقد أتى إلى نهايته. أما النهاية التي ينظر إليها فسوف تتحقق في روما عندما ينال إكليل الاستشهاد بعد فوزه في هذا السباق «وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي اكْلِيلُ الْبِرِّ».

ويتكلَّم القديس يعقوب عن "إكليل الحياة": «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» (يع ١: ١٢). وهو أيضاً ليس "إكليل حياة"، بل "إكليل الحياة"، أي الحياة التي هي المسيح يسوع ربنا: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يو ١٤: ٦). فالإكليل الممنوح هنا هو

إكليل نصرة على التجربة والخطية تُعطي صاحبها مكافأة الحياة في المسيح يسوع كخبرة حية يعيشها المسيحي كل يوم.

ويستعير القديس بطرس الرسول نفس صورة إكليل النصرة الرياضي المستعمل في العالم اليوناني، بالرغم من تربيته وثقافته اليهودية. فهو يُخاطب المؤمنين الذي أقامهم الربُّ رعاةً وأساقفةً، حاثاً إيَّاهم أن يرعوا رعية الله كأمناء وليس كمتسلِّطين، حتى إن أكملوا مهمتهم بكل أمانة يكون نصيبهم في النهاية، ليس إكليل زهور يبلى، بل «إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى» (١بط ٥: ٤).

أما القديس يوحنا فيكتب من جزيرة بطمس إلى ملاك كنيسة سميرنا مُشجِّعاً إيَّاه بسبب الاضطهاد الواقع عليه بقول الرب أنْ «كُنْ أَمِيناً إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» (رؤ ٢: ١٠). وكلمة "إلى الموت" لا تعني "لغاية الموت"، بل "حتى إلى حدِّ الموت". ونفس هذه الكلمة هي المستعملة في رسالة فيلبي (٢: ٨) حيث قيل عن الرب يسوع: «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ»، أي أن طاعته أدَّت به إلى موت الصليب.

فالقديس يوحنا هنا يُخطاب ملاك (أي أسقف) وشعب كنيسة سميرنا، حيث تشير هذه الكنيسة إلى عصر الاستشهاد الذي ستواجهه الكنيسة، أن يحفظوا أمانتهم وشهادتهم للمسيح، محتملين حروب إبليس المزمع أن يُلقي بعضاً منهم في السجن لكي يُجرَّبوا؟ حتى لو أدَّت هذه

الشهادة إلى الموت الجسدي، فستكون مكافأتهم إكليل الحياة، مكافأة تُعطَى لهم كانتصار وتتويج لجهادهم، مع الوعد بانعدام سلطان الموت الأبدي عليهم بسبب حصولهم على إكليل الحياة: «مَنْ يَغْلِبُ فَلاَ يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي» (رؤ ٢: ١١). ومن العجيب أن يكون أول شهيد في المسيحية ينال إكليل (ستفانوس) الاستشهاد هو الشهيد اسطفانوس الذي يعني اسمه "الإكليل".

كما يحث القديس يوحنا ملاك كنيسة فيلادلفيا أن يتمسك بما استلمه وبما حقَّقه من خدمة وجهاد لئلا يأخذ أحدٌ إكليله (رؤ ٣: ١١)، أي يستولي أحدٌ على مكافأة نصرته في الخدمة. أما الأربعة والعشرون شيخاً الجلوس على أربعة وعشرين عرشاً، فلهم على رؤوسهم أكاليل انتصار من ذهب علامة على نصرتهم النهائية ومكافأتهم بأكاليل لا تفنى (رؤ ٤: ٤). كذلك أيضاً المرأة المتسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها، والتي ترمز إلى الكنيسة، فهي تضع أيضاً على رأسها إكليلاً من اثني عشر كوكباً، دليل نصرتها النهائية على إبليس وعلى النبي الكذَّاب (رؤ ١٢: ١).

أما بالنسبة للإكليل الذي وُضع على رأس المخلِّص أثناء صلبه (مت ٢٧: ٢٩) فلم يقصد به اليهود أن يكون إكليل نصرة، بل تاجاً للاستهزاء برب المجد. ولكن الكلمة المستعملة هنا هي "إكليل" - ستفانوس - فذلك لأنه كان من أغصان الشوك المجدولة على هيئة تاج. فما أراده

الجنود الرومان أن يكون تاج ملوكية للاستهزاء بالصليب، تحوَّل إلى إكليل نصرة على رأس المخلِّص. لذلك يصف بولس الرسول مشهد انتصار الرب المصلوب على الموت والهاوية قائلاً: «شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ» (٢كو ٢: ١٤)، مُكلَّلاً بإكليل النصرة مُصطحباً معه كل المؤمنين الذين حررهم من أَسْر إبليس وجعلهم لأبيه ملوكاً وكهنة.

✞ نأتي إلى الكلمة الثانية والتي تُرجمت إلى "تاج"، والتي لم تَرِد في العهد الجديد سوى ثلاث مرات، وهي كلمة "ديادِيما"، والتي كانت عبارة عن شريط أزرق يُلبَس فوق العمامة عند ملوك الفُرس كدليل على الملوكية، لذلك كان من الممكن أن يوضع على الرأس عدة شرائط أو تيجان من هذا النوع. فعندما غزا الملك بطليموس ملك مصر أنطاكية ودخلها منتصراً، كان يضع على رأسه تاجين: أحدهما يُعلن به ملوكيته على آسيا، والآخر دليل ملوكيته على مصر (سفر المكابيين الأول ١١: ١٣).

وفي سفر الرؤيا نرى التنين الذي خرج لمحاربة الكنيسة يضع على رأسه سبعة تيجان (رؤ ١٢: ٧) كدليل على ملوكيته أو سيطرته على الملوك السبعة التي تحارب كنيسة الله (رؤ ١٧: ١٠). وضد المسيح الذي هو الوحش الذي خرج من البحر، كان له عشرة تيجان ملوكية على رأسه (رؤ ١٣: ١) دليل على ملوكيته على ملوك الأرض الذين يمثلون المملكة المضادة

لمملكة المسيح، التي ستملك بقوة الوحش وسلطانه (رؤ ١٧: ١٣، ١٢).

أما الرب يسوع فقد وصفه سفر الرؤيا قائلاً: «ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِيناً وَصَادِقاً، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ» (رؤ ١٩: ١٢،١١). هذه التيجان الكثيرة (ديادِيما) التي تُزين هامة الرب يسوع تمثل كل الممالك والشعوب التي سيملك عليها الرب يسوع، لأنه بالحق أخذ لقب «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ» (رؤ ١٩: ١٦).

المكسب والخسارة
في تجارة بولس الرسول الرابحة

*****

احتلت فلسطين قديماً موقعاً جغرافياً هاماً، جعلها ملتقى لطرق التجارة في القرن الأول الميلادي. فمن الجنوب يحدها مصر، ومن الشمال بلاد ما بين النهرين. لذلك كانت معبراً رئيسياً للتجارة وممراً هاماً للجيوش والقوافل. ففي زمن العهد القديم كانت تتم معظم الأنشطة التجارية داخل المدن وخاصة الموانئ والمدن الواقعة على طرق القوافل.

أما في زمن العهد الجديد فقد تقدمت طرق التجارة وتعقدت العمليات التجارية بين فلسطين والعالم الروماني، وذلك بسبب دخول مدن البحر المتوسط تحت سيطرة الدولة الرومانية بعد غزو الإسكندر الأكبر لهذه المدن. وتبع ذلك نمو سريع واتساع للمدن وتغلغل الثقافة واللغة اليونانية فيها. وبدأت هذه المدن تعتمد على التجارة كمصدر أساسي للدخل، بعد أن كان اعتمادها الأساسي على الزراعة.

وفي إحدى هذه المدن التجارية، وهي طرسوس التي كانت تقع في جنوب شرق آسيا الصغرى، وُلد القديس بولس، وكان لطرسوس شهرتها

كمركز ثقافي وتجاري. وقد هيَّأتْ هذه المدينة لبولس الرسول الفرصة لتعلُّم اللغة اليونانية الدارجة، وهي اللغة التي كان يتكلم بها السواد الأعظم من الشعب وخاصة في التعاملات التجارية.

كان بولس فرِّيسياً، متبحراً في الشريعة اليهودية. فقد درس في أورشليم على يديْ غمالائيل معلم الناموس (أع ٣٤:٥). وكان يتحتم على كل مَنْ يدرس الشريعة أن يُمارس حرفة يدوية ليعول بها نفسه، ولم يكن مسموحاً لمعلمي الشريعة أن يتاجروا بمهنة التعليم، حتى غمالائيل نفسه كان يعمل في صناعة الآلات، أما بولس فقد تعلم مهنة صناعة الخيام (أع ٣:١٨).

وكان بعد ظهور الرب يسوع لبولس في طريق دمشق، أن حدث تحوُّل جذري في حياة بولس. وبدلاً من مهنة صناعة الخيام، صار بولس «بنَّاءً حكيماً» (١كو ١٠:٣) يبني النفوس لحساب ملكوت الله. وكما استعمل الرب يسوع تشبيهاتٍ وأمثالاً من حياة الناس ليشرح لهم أسرار ملكوت السموات، استعمل بولس الرسول بعض ألفاظ من لغة المال والتجارة ليصف علاقته الجديدة بالمسيح.

ففي رسالته إلى أهل فيلبي (٧:٣و٨) يقول: «مَا كَانَ لِي رِبْحاً، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ **خَسَارَةً**. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ **خَسِرْتُ** كُلَّ

الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ».

وكلمة "ربح" في اللغة اليونانية κέρδος (كيردوس)، تعبِّر عن "المكسب أو الفائدة أو الربح"، وهذه الكلمة لم ترد في العهد الجديد إلاَّ على لسان بولس الرسول، كما أنها لم ترد في الترجمة السبعينية للعهد القديم على الإطلاق:

+ «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (في ١:٢١).

+ «فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مُتَمَرِّدِينَ ... الَّذِينَ يَجِبُ سَدُّ أَفْوَاهِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَقْلِبُونَ بُيُوتاً بِجُمْلَتِهَا، مُعَلِّمِينَ مَا لاَ يَجِبُ، مِنْ أَجْلِ الرِّبْحِ الْقَبِيحِ» (تي ١:١٠و١١).

والفعل من هذه الكلمة κερδαίνω (كيردينو) بمعنى يكسب أو يربح أو يَسْلَم من (الضرر) فقد ورد في العهد الجديد ١٦ مرة[١١٤].

أما الكلمة اليونانية للفظ "خسارة" فهي ζημία (زيميًّا) وهي تعني "خسارة أو ضرر أو أذى أو تلف"، وهو المعنى المضاد لكلمة "ربح". وفي لغة التجارة تعني: إما خسارة في المال، أو في الممتلكات. ولم ترد هذه الكلمة أيضاً في العهد الجديد إلاَّ على لسان بولس الرسول:

+ «جَعَلَ بُولُسُ يُنْذِرُهُمْ قَائِلاً: «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَنَا أَرَى أَنَّ هذَا السَّفَرَ

---

[114] W. Bauer's, *"A Greek-English Lexion of the New Testament"*, p. 430.

عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بِضَرَرٍ وَخَسَارَةٍ كَثِيرَةٍ، لَيْسَ لِلْشَّحْنِ وَالسَّفِينَةِ فَقَطْ، بَلْ لأَنْفُسِنَا أَيْضاً» (أع ٢٧:١٠؛ وأيضاً أع ٢٧:٢١).

والفعل منها هو ζημιόω (زيميوأو) بمعنى "يخسر أو يتأذّى أو يُعاقَب" فقد ورد في العهد الجديد ست مرات[١١٥].

القديس بولس يراجع حساباته:

أخذ القديس بولس في رسالة فيلبي (٣:٥و٦) يعدد منجزاته وميراثه. ومن الناحية النظرية لا يمكن أن يفقد هذه الأمور مثلما تُفقد البضائع في البحر مثلاً. لكن بولس كان يعلم أن هذه الأشياء قد فقدت قيمتها، بمعنى أن كل ما كان يظن أنه غالٍ وثمين وله قيمة عنده، فَقَدَ قيمته ولم يعد يساوي شيئاً أمام عظمة "معرفة المسيح". لقد أكَّد بولس الرسول على هذا المعنى في سلوكه وفي خدمته. وكما قال الرب يسوع: «لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً» (مت ٦:٢١)، فقد وجد بولس كنزه الثمين في "معرفة المسيح". وأصبح كل ما له قيمة هو "في المسيح"، وليس في المنجزات والمواريث.

ويبدو أن معارضي بولس (في ٣:٢) كانوا قد قدَّموا وثائق مؤهَّلاتهم لكنيسة فيلبي، وقد أشاروا إلى جنسيتهم اليهودية للتأكيد على أفضليتهم.

---

[115] Ibid., pp. 338,339.

وهنا قال لهم بولس إذا كان الآخرون قد قدَّموا كشفاً يتضمن "أصول ممتلكاتهم"، فيجب عليه هو أيضاً أن يذكر حساباته، ومنها سيتضح أنه في حوزته ما يفوقهم. ففي خانة "الدائن" من كشف حسابه يذكر أنه:

١. مختون في اليوم الثامن: أي يهودي من دم نقي يحافظ على عهد إبراهيم أبي الآباء.

٢. من جنس إسرائيل: أي عضو في الجماعة التي لها الوعود والعهود والمواعيد والاشتراع.

٣. من سبط بنيامين: السبط ذو السمعة الطيبة الذي خرج منه أول ملك على إسرائيل.

٤. عبراني من العبرانيين: أي أن أصوله ترجع إلى إبراهيم أول مَنْ دُعِيَ عبرانياً (تك ١٣:١٤).

٥. فرِّيسي: أي من الجماعة التي أفرزت نفسها لأجل دراسة وحفظ شريعة الله.

٦. غيور: حتى إنه اضطهد الكنيسة الأولى في أورشليم لأنها حادت عن تعليم موسى باتباعها تعليم المسيح.

٧. بارٌّ شرعاً: ففي عينيْ نفسه هو بلا لوم أمام الشريعة.

ولكن عندما وضع بولس الرسول هذه المميزات أمام عظمة **معرفة المسيح**، أحس أنها لا تساوي إلا نفاية. فلم يعد لهذه المميزات أو المكاسب

قيمتها لديه مثل ذي قبل. فهو لم يعد يناضل من أجلها، كما أنه لم يُرِدْ أن يستثمرها لتحقق له عائداً أفضل. ولكنه قَبِل بسرور أن يشطبها من كشف حسابه. لقد عثر بولس على "لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، فمضى وباع كل ما كان له واشتراها" (مت ١٣:٤٦).

يحاول الإنسان أن يستثمر أمواله في البنوك وفي شركات توظيف الأموال على هيئة أسهم أو سندات. وعندما تنخفض قيمة الأسهم، تنخفض بالتالي قيمة الفوائد عليها. وصاحب الأسهم لا يفقد الأسهم نفسها عندما تنخفض قيمتها، فهو ما زال مالكاً لها، ولكن قيمتها قد تناقصت عنده.

وبالمثل كان بولس ما يزال يملك مميزاته اليهودية، ولكنه صار يعدها صفقات خاسرة في مقابل اللؤلؤة الكثيرة الثمن التي حصل عليها. ويمكننا أن نعدد مرة أخرى أسهم بولس السابقة ولكن بمفهوم اليوم. فهو كان ينتمي إلى عائلة عريقة، وكان لأسرته شهرة وصيتٌ حسنٌ، كما أنه حاصل على أعلى الشهادات الجامعية ويجيد عدة لغات أجنبية، وله وزنه في المجتمع وفي المحافل الدولية. بل إنه كان في نظر نفسه وفي نظر الجميع رجل البر والتقوى وصاحب الأعمال الجليلة.

ولكنه عندما قارن هذا التراث وهذه المكاسب أمام معرفة المسيح، وجد أنها كلها تُعَدّ نفاية ولم يَعُدْ لها قيمة عنده. وعندما تناقصت قيمة

هذه المؤهلات، كان عليه أن يتاجر في مجال آخر يدر عليه عائداً أفضل، وهذا المجال هو معرفة المسيح. والمقصود ليس معرفة المسيح العقلية التي يستقيها من الكتب والمحاضرات، بل معرفة المسيح الاختبارية التي يحصل عليها من طول العشرة مع الله والحديث معه. المعرفة التي جعلت بولس الرسول يصرخ قائلاً: «لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهاً بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ» (في ٣: ١٠و١١).

لقد وضع حياته الماضية كلها في كفة ميزان فوجدها لا تَزِنْ شيئاً، فعدَّها نفاية. ثم وضع معرفة المسيح في الكفة الأخرى فوجدها تساوي الحياة الأبدية: «**وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ** أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يو ١٧:٣). لذلك كان بولس حكيماً جداً عندما قال: «لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً» (١كو ٢:٢).

لقد صلَّى الرب يسوع من أجل تلاميذه حتى يعرفوا الله، وأيضاً ليس المقصود هنا المعرفة العقلية، بل المعرفة الحياتية التي يسكن فيها الرب يسوع داخل القلب: «وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، **وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ**» (يو ١٧:٢٦).

إن هناك مقياساً هاماً نعرف به إن كنا قد عرفنا الله المعرفة الحقيقية أم المعرفة العقلية، هذا المقياس يلخِّصه لنا القديس يوحنا الرسول في

كلمة واحدة: المحبة، محبة الله ومحبة القريب:

+ «وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ، مَنْ قَالَ: قَدْ عَرَفْتُهُ وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ. وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقًّا فِي هذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ **مَحَبَّةُ اللهِ**» (١يو ٢:٣-٥).

+ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ **وَيَعْرِفُ اللهَ**، وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ» (١يو ٤:٧و٨).

لقد كان بولس الرسول كصانع خيام يعرف قيمة عمله ومقدار المال الذي يجب أن ينفقه على العمل ليدرَّ عليه ربحاً. وقد أدرك أن الأصول التي عليه أن يستثمرها لتحقيق الربح ليست ثابتة على الدوام. فالأصول القديمة أصبحت نفاية، أما الأصول الجديدة ذات القيمة الثابتة العظيمة فهي: «**فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي**».

لقد لخَّص القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات كل هذه المعاني، ذاكرًا ما يخص الأصول القديمة، مقارنًا إياها بمعرفة المسيح التي تؤول إلى الخيرات السماوية الإلهية:

[ما هذا السر الجديد الذي يخصُّني؟

إني صغير وعظيم، حقيرٌ وسامٍ، مائتٌ وغير مائت، أرضي وسماوي،

الأُولى مع العالم السفلي، والأُخرى مع الله
الأولى مع الجسد، والأخرى مع الروح.
ينبغي أن أُدفَن مع المسيح وأقوم معه،
أن أرث معه وأصير ابناً لله، بل وأصير الله نفسه[١١٦]!
هذه هي غاية السر الأعظم من نحونا.
هذا هو ما يريده لنا الإله الذي تأنَّس وافتقر من أجلنا،
لكي يُقيم الجسد ويفتدي الصورة، ويُجدِّد خلقة الإنسان،
لكي نصير نحن جميعاً واحداً في المسيح (غل ٣: ٢٨)،
الذي قد صار بالتمام «الكل في الكل» (كو ٣: ١١)
فينا جميعاً بكل كيانه،
حتى لا يكون فينا فيما بعد ذكرٌ ولا أُنثى (غل ٣: ٢٨)،
بربري، سكِّيثي، عبدٌ، حرٌّ (كو ٣: ١١) التي كلها صفات الجسد،
بل لا نعود فيما بعد نحمل في ذواتنا إلا الشكل الإلهي،
الذي به وله قد خُلِقنا، بل وتشكَّلنا وتطبَّعنا،
لدرجة أننا لا نعود فيما بعد نُعرَف إلا بهذا الشكل وحده][١١٧].

[116] ... be joint heir with Christ, become the son of God, yea, God Himself.
συγκληρονομῆσαι Χριστῷ, υἱὸν γενέσθαι Θεοῦ, θεὸν αὐτόν.
[117] NPNF 2nd Ser. Vol. VII, p. 237, PG 35, 785.

لقد تعددت صفاتنا قبلاً قبل معرفة المسيح، كأحرار وعبيد، ذكور وإناث، يهود وأمم، أغنياء وفقراء، متعلمين وأميين؛ لكن بعد معرفة المسيح يسوع ربنا، أصبحت كل هذه الصفات ثانوية، لأننا أصبحنا متحدين بمصدر الغنى الحقيقي، الذين سنصير مثله، لأننا سنراه كما هو (١يو ٣: ٢).

جَمْرُ نَارٍ

بعد أن شرح القديس بولس الرسول، في رسالته إلى أهل رومية، حقائق الإيمان العظمى، وعلاقة الناموس بالنعمة، كتب في الأصحاح الثاني عشر توصيات هامة لما يجب أن يكون عليه السلوك المسيحي، وما هو مفهوم الحب والسلام في المسيحية. ولكن في الآية العشرين من هذا الأصحاح، وخاصة في نصفها الثاني، أورد آية اقتبسها من سفر الأمثال (أم ٢٥: ٢٢)، حيَّرت الكثير من الشراح في تفسيرها، لما يبدو عليها من تناقض مع مفهوم بولس الرسول، ومفهوم المسيحية عموماً، لوصية محبة الأعداء. يقول بولس الرسول:

♱ «لا تنتقموا لأنفسكم أيّها الأحبَّاء، بل أَعْطُوا مكاناً للغضب، لأنَّه مكتوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. **لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ**. لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (رو ١٢: ١٩-٢١).

يبدأ الأصحاح الثاني عشر بعبارة: «فأطلب إليكم»، كاستجابة لنعمة المسيح التي شرحها لهم في الأصحاحات السابقة، فيطلب منهم أن يقدموا

أجسادهم «ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ». ثم في الفقرة التالية (١٢: ٣-٨) يشرح لهم مفهوم الذبيحة الحية، وما يجب عليهم من احترام المواهب المختلفة المعطاة لكل واحد منهم، والتي برغم تنوعها، فإنها تثري الكنيسة، وتجعل من الجميع جسداً واحداً للمسيح.

وفي الفقرة التالية (١٢: ٩-١٣) يضع بولس الرسول الأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه بناء الجماعة، وذلك في صورة ١٣ وصية، وصايا تؤدي إلى حياة الجماعة ونموها في **المحبة**:

المحبة فلتكن بلا رياء، كونوا كارهين الشر، ملتصقين بالخير، وادين بعضكم بعضا بالمحبة الأخوية، مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة، غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب، فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة، مشتركين في احتياجات القديسين، عاكفين على إضافة الغرباء.

وفي الآيات التي تلي ذلك (١٢: ١٤-١٧) يورد أيضاً مجموعة من الوصايا، الامتثال لها وإطاعتها يجعل الجماعة تعيش في **سلام**، سلام مع نفسها ومع الآخرين:

باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا، فرحاً مع الفرحين، وبكاءً مع الباكين. مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً، غير مهتمين بالأمور العالية، بل منقادين الى المتضعين، لا تكونوا حكماء

عند أنفسكم، لا تجازوا أحداً عن شر بشر، معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس.

ثم في الآية (١٨) يجمل الأمر بالوصية التي تحقق سلام الجماعة كلها: «إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس».

إن القوة الدافعة في رسالة رومية التي تغذي كل الآيات، وخاصة الآيات (١٩-٢١)، والتي بدونها يحدث انقسام وخلل في كنيسة رومية، هي مثال المسيح الواضح في الآية (٥: ١٠): «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ»، فنحن لم نكن أبراراً ولا قديسين لذلك استحققنا موت المسيح من أجلنا، بل كنا أعداءً عصاة متمردين، وجميعنا أعوزنا مجد الله؛ ومع ذلك مات المسيح من أجلنا. فماذا سيكون موقفنا من أعدائنا بعد أن نلنا المصالحة مع الله؟

وتستمر الرسالة إلى أهل رومية في تقديم النصائح التي تحث الجماعة أن تعيش معاً في اتفاق وانسجام واحد. ففي الأصحاح الثالث عشر يحثهم أن يعيشوا في سلام مع السلطات المدنية، وفي الأصحاحين الرابع عشر والخامس عشر يحد من التوتر الناشئ بين اليهود والأمم من حيث أنواع المأكولات ومفهوم الطاهر والنجس، ثم يختم الرسالة بتحية لكل أفراد الكنيسة الذين يعيشون معاً في سلام ومحبة.

وعندما نأتي إلى الآيات (١٢: ١٩-٢١) والتي يتكلم فيها بولس الرسول عن السلام بين الجماعة: «لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ... لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ»، لا نفاجئ بهذه الآيات، فهذه هي النتيجة الحتمية لكل تعاليم بولس الرسول خلال كل الرسالة، بل وهي أيضاً صدى للعظة على الجبل على فم الرب يسوع: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ» (مت٥: ٤٤). وهذا هو الميزان الذي بواسطته نعلم هل الكنيسة، أية كنيسة، هي كنيسة حية تسير حسب تعاليم الرب يسوع والرسل الأطهار، أم حسب الآية: «فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَانْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً» (غل٥: ١٥).

✠ والآن نأتي إلى الآية العشرين: «فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. **لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ**». بينما النصف الأول من الآية يتمشى تماماً مع تعاليم بولس الرسول في باقي الرسالة، فإن النصف الثاني يمثل صدمة أو حجر عثرة أمام الكثيرين. فهل جمع جمر نار ووضعه على رأس العدو يمثل نوعاً من المحبة أو الشفقة عليه؟ لأول وهلة تبدو الإجابة بالنفي. فالمفهوم هنا يعني نوعاً من الانتقام من العدو، بينما النصف الأول من الآية يتوافق مع مَثل الدينونة الأخير الذي طالبنا فيه الرب يسوع بعمل الرحمة مع الجميع، الذين أسماهم

إخوته الأصاغر (مت٢٥: ٤٠).

لقد هاجمت الكنيسة الأولى مفهوم الانتقام الشخصي من العدو باتجاهين في تفسير هذه الآية. الاتجاه الأولى ويظهر في كتابات بعض الآباء مثل القديس يوحنا ذهبي الفم، وهو يشرح أنه إن صنعت خيراً مع العدو، واستمر هو في عداوته، فإن هذه الاستمرارية تعرضه في النهاية لحكم الله العادل في الدينونة، وكأنك بذلك تؤكد قضاء الله في اليوم الأخير. ونجد تلميحاً لمفهوم جمر النار على رأس العدو في سفر عزرا الرابع، وهو من الأسفار الأبوكريفا اليهودية: [لا يقل الخاطئ إنه لم يخطئ، لأن الله سوف يحرق جمر نار على رأس من يقول أنا لم أخطئ أمام الله وأمام مجده] (٤عز١٦: ٥٣). وهناك تشبيه مجازي في سفر المزامير يحمل نفس المعنى: «ليسقط عيله جمرٌ، ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا» (مز١٤٠: ١٠).

يعزز سياق الآيات هنا هذا التفسير بعض الشيء. ففي أول الآيات يطلب بولس الرسول من المؤمنين ألا ينتقموا لأنفسهم، بل يتركوا الانتقام لحكم الله. فعليك أن تصنع الخير مع العدو، وأن تترك لله الحكم عليه. ومشكلة هذا التفسير أنه لا يتمشى تماماً مع مفهوم محبة الأعداء. فأنا لا أصنع الخير لعدوي حتى أصبَّ على رأسه غضب الله، ولا أقدم المعونة لمن يكرهني لأكون سبباً لدينونته.

✞ الاتجاه الثاني للتفسير نجده عند أوريجانوس وأغسطينوس وجيروم وبيلاجيوس. وحسب رأي هؤلاء فإن حرق جمر النار على رأس العدو تعبيرٌ عن الخزي والخجل الذي يصيب عدوك عندما تصنع معه خيراً. إن رد الإساءة بالإحسان يؤدي بالضرورة بمن صنعت بهم خيراً بمراجعة موقفهم، ومن ثم يقودهم ذلك إلى التوبة. يرد نفس هذا الشرح في تعاليم اليهود الرابيين على سفر الأمثال (أم ٢٥: ٢١-٢٢)، وهي الآيات التي اقتبسها بولس الرسول هنا في رسالة رومية: «إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزاً، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً، فَإِنَّكَ تَجْمَعُ جَمْراً عَلَى رَأْسِهِ، وَالرَّبُّ يُجَازِيكَ». وأهمية هذا التفسير إنه يتوافق مع سياق الرسالة، كما أنه لا يتعارض مع مفهوم محبة الأعداء عموماً في المسيحية.

✞ في بداية القرن العشرين، ونتيجة للأبحاث الجيولوجية الخاصة بالكتاب المقدس، تم إلقاء بعض الضوء على تفسير آيتي رسالة رومية وسفر الأمثال. فيرى بعض العلماء أن آيات سفر الأمثال (٢٥: ٢١-٢٢) تعكس بعض مظاهر الحياة في مصر القديمة. فالآية التالية مباشرة «ريحُ الشمالِ تَجلبُ المطر» (أم ٢٥: ٢٣ تفسيرية) تنطبق على حالة الطقس في مصر وليس في فلسطين.

فمن الممارسات الشعبية في مصر القديمة، عندما كان يخطئ أحد الأشخاص في حق آخر، كان المخطئ يضع جمر نار في إناء فخاري ويحمله

على رأسه ويذهب به إلى الشخص الذي أخطأ في حقه. وجمر النار هنا ليس تعبيراً عن الخزي والخجل الذي يدفع للتوبة، كما في تفسير أوريجانوس وأغسطينوس، ولكنه رمزٌ للتوبة. وقد نشر عالم المصريات Siegfried Morenz بحثاً عن هذه العادة التي كانت متبعة في مصر القديمة، كما اكتشف العلماء الأواني الفخارية التي كانت تستعمل في حمل جمر النار على الرأس[١١٨]. فيكون المقصود من هذه الآية حسب هذه الأبحاث أنك إن فعلت خيراً مع عدوك، فإن هذا الخير سوف يقوده إلى التوبة، وكتعبير عن هذه التوبة، فكأنه سيحمل على رأسه جمر نارٍ كرمز لانتهاء هذه العداوة والبدء في حياة جديدة يسودها الود والمحبة.

وبغض النظر عن التفسير الحرفي لهذه الآيات، فإننا نعلم أن كل وصية في الكتاب تحمل معها قوة على التنفيذ. وقد اختبر آباؤنا قوة هذه الآيات، وكانوا يقومون بعمل الخير مع كل من يقصدهم حتى ولو كان يحمل لهم روحاً عدوانية. وقد اختبروا جميعاً قوة التغيير التي يحدثها فعل الخير في الآخرين، أكثر مئات المرات من قوة الإقناع أو المجادلة، بل وأكثر أيضاً من محاولة الدفاع عن النفس ولو حتى بالطرق المشروعة.

وقد أورد لنا كتاب بستان الرهبان هذه السيرة: يُحكى عن راهب

---

[118] William Klassen, *Coals of Fire: Sign of Repentance or Revenge?* New Testament studies 9 (1962-1963), p. 341.

مجاهد إنه في وقتٍ أتاه اللصوصُ وقالوا له: «جئنا لنأخذ جميعَ ما في قلايتِك»، فقال لهم: «خذوا ما شئتم أيها الأولاد». فلما أخذوا جميعَ ما وجدوه مضوْا ونسوا مخلاةً مستورةً بخوصٍ، فلما نظرها الشيخُ أخذها وخرج يخطر وراءهم وهو يصيح ويقول: «يا بَنِيَّ، خذوا ما قد نسيتم». فلما رأوا ذلك منه عجبوا من دعتِهِ وسلامةِ قلبِهِ، وردوا كلَّ ما أخذوه إلى قلايتِهِ. وقال بعضُهم لبعضٍ: «بحقٍ إن هذا رجلُ الله»، وكان ذلك سبب توبتهم وتركهم ما كانوا عليه من اللصوصيةِ[١١٩].

كما يقص علينا أيضاً بستان الرهبان هذه القصة: قصد الأبَ يوحنا الفارسي أناسٌ أشرار خبثاء، فأخذ ماءً في طِست وغسل أقدامَهم، فما كان منهم إلا أن احتشموا من إكرامِه لهم، فتابوا[١٢٠].

قدِّم لعدوك كأس ماء بارد وأظهر له المحبة المسيحية الحقيقية، بدلاً من مناقشته في عداوته وتخطئة وجهة نظره. ومن أعطاك الوصية قادر أن يعطيك معها بركة طاعة الوصية. فإن جاع عدوك فأطعمه خبزاً، وإن عطش فاسقه ماءً، لإنك إن فعلت ذلك، فسوف تقوده إلى التوبة

---

[119] *Apophthegmata Patrum, Greek Alphabetical Series*: PG, lxv. Euprepios 2.

بستان الرهبان، قول ٧٠٩

[120] Apophthegmata Patrum, *Greek Alphabetical Series*: PG, lxv. John the Persian 3.

بستان الرهبان، قول ٤٧٨.

وتكون بذلك قد ربحت أخاك الذي أمرك الإنجيل أن تحبه، حتى ولو كان غريباً عن جنسك.

وكما يقول الأب متى المسكين في تفسيره لرسالة بولس الرسول لأهل رومية:

[أنا أطعم كلَّ جائع في شخص المسيح وكأنه المسيح، وأسقي كل عطشان في شخص المسيح وكأنه المسيح، لأني أحمل روح المسيح وحبه المجاني الذي أحبني به وأنا كنت عدواً له. إن الإنسان المسيحي لابد أن يعلن عن روح المسيح الذي فيه. فمن جهة عدوي أنا أظهر له روح المسيح الذي فيَّ بحبي وإطعامي له وسقيه، إلى هذا الحد أنا أكرز وكل ما أرجوه أن عدوي يحس بروح المسيح الذي فيَّ] (١٢١).

---

[١٢١] الأب متى المسكين: شرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية (١٩٩٢)، ص٥٧٤-٥٧٥.

السيدة المختارة

*****

تتميز رسائل العهد الجديد، وخاصة رسائل بولس الرسول، أنها تبدأ أولاً بتعريف الكاتب بنفسه ثم تذكر أسماء المرسَل إليهم، وهو نفس الأسلوب الذي كانت تتبعه أغلبية الرسائل اليونانية القديمة. أما رسالتا يوحنا الثانية والثالثة فيشذان عن هذه القاعدة، فهما يذكران لقب الراسل (الشيخ) دون أن يذكرا اسمه. وإن كانت رسالة يوحنا الثالثة تذكر اسم المرسَل إليه وهو غايس الحبيب (٣يو١)، فإن الرسالة الثانية تختلف أيضاً في شيء آخر، إذ أنها لا تذكر اسم المرسَل إليهم صراحة، بل تذكر اللقب فقط (السيدة المختارة). فمَنْ هي هذه السيدة المختارة؟

شغل موضوع السيدة المختارة وأولادها، الذين أرسل لهم القديس يوحنا رسالته، كثيراً من آباء ومفسري الكتاب المقدس منذ العصور المسيحية الأولى. وابتداءً من العلاَّمة كليمندس الإسكندري في القرن الثالث الميلادي، فقد أكَّد بعض المفسِّرين القدامى أن السيدة المختارة كانت سيدة ذات نفوذ في كنيسة أفسس في أسيا الصغرى. بَيْدَ أن كثيراً من المفسرين في العصر الحديث يميلون إلى الاعتقاد أن عبارة السيدة

المختارة ما هي إلا لقب توددي يُطري به الشيخ جماعة من المؤمنين كانت مقيمة في نواحي أسيا الصغرى.

ويرجع سبب تباين الآراء بين الآباء والمفسرين حول شخصية السيدة المختارة إلى ما تحمله العبارة اليونانية (ἐκλεκτῇ κυρίᾳ) من عدة معان مختلفة. فالكلمة الأولى ἐκλεκτῇ تعني "مختارة أو نبيلة أو شريفة" وهي تأتي كصفة لأحد الأشخاص، كما يمكن إطلاقها كاسم علم "اكلكتي" أي "مختارة". والكلمة الثانية تعني "سيدة" وهي تأتي أيضاً كصفة، ولكن يمكن أيضاً أن تأتي كاسم علم "كيريه"، وهكذا وردت في الترجمة البيروتية: "اَلشَّيْخُ، إِلَى كِيرِيَّةَ الْمُخْتَارَةِ".

هناك خمسة آراء مختلفة اقترحها الشرَّاح والمفسرون لتلك العبارة. يُنسب الرأي الأول للعلامة كليمندس الإسكندري، وقد وافقه بعض الشرَّاح في ذلك الرأي، وهو أن السيدة المختارة هي شخصية حقيقية ذات نفوذ كانت تعيش في منطقة أسيا الصغرى، وقد ترجموا هذه العبارة إلى "السيدة مختارة". وكان يعتقد العلاَّمة كليمندس أن رسالة يوحنا الثانية قد كُتبت إلى (سيدة بابلية تسمى مختارة "اكلكتي"، وأن هذه السيدة ترمز إلى اختيار الله للكنيسة المقدسة)[١٢٢].

[122] Brown, *The Epistle of John*, p.652.

هناك بعض الاعتراضات على هذا الرأي، ففي نفس الرسالة يقول الرسول: «يُسَلِّمُ عَلَيْكِ أَوْلاَدُ أُخْتِكِ الْمُخْتَارَةِ (اكلكتي)» (٢يو ١٣). فلو كانت كلمة "اكلكتي" تأتي هنا كاسم علم، كما يقترح العلاَّمة كليمندس، لكان هناك أُختان لهما نفس الاسم (مختارة)، وهذا يبدو بعيد الاحتمال. وأيضاً لو كانت الرسالة مرسلة إلى "السيدة مختارة"، فإن قواعد اللغة اليونانية تقتضي ورود أداة التعريف "أل" قبل كلمة سيدة، وهذا غير موجود في الرسالة، إذ أن عبارة "سيدة مختارة" تأتي بدون أداة تعريف. لذلك يرجِّح العلماء أن كلمة مختارة هنا هي صفة وليست اسماً.

الرأي الثاني، وهو أكثر احتمالا من الرأي الأول، إذ يرى أن يوحنا "الشيخ" كتب هذه الرسالة لامرأة مسيحية تدعى "كيريه" أي "سيدة". وقد خاطبها بكل احترام ملقِّباً إياها بالنبيلة أو المختارة "اكلكتي". وهناك إثباتات كثيرة من الأدب اليوناني القديم لشيوع اسم "كيريه" أكثر من اسم "اكلكتي".

ويواجه هذا الرأي اعتراضٌ أيضاً، وهو عدم وجود أداة التعريف قبل الاسم. بالإضافة إلى ذلك، ففي الكتابات المسيحية الأولى كان من المألوف ذكر الأسماء الشخصية مُعرَّفة بأداة التعريف مع تمييزها بأحد الألقاب المسيحية مثل: «غَايُسَ الْحَبِيبِ» (٣يو١)، و«بَرْسِيسَ الْمَحْبُوبَةِ»

(رو١٦: ١٢)، و«رُوفُسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ» (رو١٦: ١٣)[١٢٣].

الرأي الثالث، يرى أن المرسل إليها شخصية معروفة ومتميزة كانت موجودة في إحدى الكنائس التي كان يرعاها يوحنا "الشيخ"، وهو لم يُرِدْ أن يخاطبها باسمها، بل اكتفى بأن يلقبها بلقب احترامي "إلى السيدة النبيلة". ويرى كثيرٌ من المفسرين أنه في حالة لو كان المرسل إليه شخصاً معيناً يكون هذا الرأي هو الأكثر قبولاً من الرأيين الأولين.

وهذا اللقب كان من الألقاب الشائعة في الكتابات القديمة عامة كما في المراسلات المسيحية. وعدم ذكر أداة التعريف قبل اللقب يدعم هذا الرأي وخاصة في حالة عدم ذكر اسم المرسل إليه. وقد حاول البعض تخمين مَنْ هي هذه الشخصية، فمنهم مَنْ قال إنها العذراء القديسة مريم، خاصة أن الرب يسوع كان قد تركها في رعاية تلميذه يوحنا الحبيب (يو ١٩: ٢٧)، كما أن التقليد يؤكد أنها عاشت بقية حياتها في أفسس، وهو المكان الذي كرز فيه القديس يوحنا. والبعض الآخر يرى أنها مرثا أخت مريم ولعازر، وخاصة أن اسمها يعني "سيدة" في اللغة الأرامية. وبالطبع هذه محض افتراضات وليس هناك ما يسندها من التقليد أو من كتابات الآباء.

---

[123] *Ibid.*, p. 653.

الرأي الرابع، يميل إلى جعل "السيدة المختارة" شخصية عامة اعتبارية. فالبعض يرى أن هذا اللقب يشير إلى الكنيسة الجامعة (جميع المسيحيين في أنحاء الإمبراطورية الرومانية). ولكن ذكر السلام الذي يرسله إليها "أولاد أختها المختارة" (آية ١٣) يجعل هذا الرأي غير مناسب. فذكر أختين في نفس الرسالة يرجح إما أنهما شخصيتين حقيقيتين، أو كنيستين تخضعان لرئاسة الرسول؛ وهما يرسلان التحيات لبعضهما البعض، أكثر من كونهما شخصية أو كنيسة محلية ترسل السلام للكنيسة الجامعة. وقد حاول البعض تعديل هذا الرأي واعتبر أن رسالة يوحنا الثانية كانت رسالة دورية مرسلة لعدة كنائس، ولكن الرسالة لا تحتوي على ما يوحي أنها كانت رسالة دورية مرسلة لعدة تجمعات مسيحية.

أما الرأي الأخير، والذي يحبذه كثيرٌ من الشرَّاح والمفسرين في العصر الحديث، فهو أن لقب "السيدة المختارة" كان رمزاً لإحدى الكنائس المحلية، وأولادها هم أعضاء هذه الكنيسة، والقديس يوحنا "الشيخ" هو الأب أو المسئول الروحي عن هذه الكنيسة. ولأن الرسول كان يكتب لكنيسة معينة فلم يكن هناك من داعٍ لأن يذكر اسم الكنيسة. والذي يرجِّح أن المقصود بكلمة كيريه الكنيسة وليست امرأة بهذا الاسم، أن الرسالة تبدأ أولاً في مخاطبة المُرسل إليهم بأسلوب المخاطب المفرد، ثم

تنتقل إلى المخاطب الجمع ثم تعود للمخاطب المفرد مرة أخرى[١٢٤].

أما استعمال الرسول لاسم مؤنث (كيريه) ليشير به إلى الكنيسة، فهناك كثير من الشواهد الكتابية التي استعملت مثل هذه الألقاب المؤنثة والتي رمزت بها إلى شعب الله. فإسرائيل دُعِيَت عذراء: «ارجعي يا عذراء إسرائيل» (إر٣١:٢١)، كما سميت: «ابنة صهيون» (إر ٦:٢٣)، وامرأة متزوجة: «كَمَا يَتَزَوَّجُ الشَّابُّ عَذْرَاءَ، يَتَزَوَّجُكِ بَنُوكِ» (إش ٦٢:٥)، كما دُعِيَت أيضاً: "أماً ولها بنون" (إش ٥٤:١-٣)، و"أرملة مات رجلها" (إش ٥٤:٤). وفي الرسالة إلى أهل غلاطية، يرمز بولس الرسول إلى أورشليم السمائية وأورشليم الأرضية بسارة وهاجر (غل ٤:٢١-٣١). وفي سفر الرؤيا وُصِفَت بابل عدوّة الكنيسة بامرأة زانية قد أفسدت الأرض، كما وُصِفَت الكنيسة بامرأة هيَّأت نفسها لعرس الخروف وأُعطيت أن تلبس بَزًّا نقياً، لأن البز هو تبررات القديسين (رؤ ١٨و١٩).

وقد برع القديس بولس الرسول في وصف شعب الله بعروس المسيح لكي يقرِّب إلى أذهان المؤمنين طبيعة العلاقة بين النفس البشرية وبين المسيح، والواجبات المطالبة بها العروس من نحو عريسها: «فَإِنِّي أَغَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ اللهِ، لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً

---

[124] Foerster, Werner, *κυρία Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. III, p. 1095.

لِلْمَسِيحِ» (٢كو١١:٢). كما أنه وصف اتحاد الرجل بالمرأة في سر الزيجة باتحاد المسيح بالكنيسة (أف٥:٢٧-٣٢). وربما كان القديس يوحنا أيضاً يشير إلى هذه المفاهيم في رسالته الثانية، وخاصة أنه كرر مثل هذه الأوصاف عدة مرات في سفر الرؤيا (رؤ١٢:١-٦؛ ١٩:٧؛ ٢١:٢).

كما أن لوصف القديس يوحنا الكنيسة بلقب "مختارة"، يعتبر من الأوصاف الهامة التي وصف بها الرسل الكنيسة. فالقديس بطرس الرسول في بدء رسالته الأولى يتكلم عن المتغربين العائشين في الشتات هنا على الأرض، ولكنهم في الحقيقة ينتمون إلى "الجماعة المختارة": «الْمُخْتَارِينَ، بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بط ١:١و٢). وفي هذه الآية تتلخص عقيدة الاختيار ودور الثالوث القدوس فيها. وواضح أن المقصود "بعلم الله الآب السابق" هو علم الله الأزلي، والمقصود من استخدام حرف الجر (في ἐν) في عبارة "في تقديس الروح" لكي تفيد التكريس الكامل لله بواسطة الروح، الذي هو واسطة الاختيار. والمقصود من قوله "للطاعة" باستخدام حرف الجر (εἰς) فلكي يشرح لنا الغاية النهائية من التكريس وتحقيق عمل المسيح الذبائحي في حياة المؤمنين.

والقديس بطرس يختار آية هامة من العهد القديم ليطبقها على شعب العهد الجديد ليثبت أن العهود والوعود التي أُعطيت لشعب إسرائيل

قديماً قد وجدت تحقيقها وكمالها في الجماعة المسيحية: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ» (١بط ٢:٩). فإن كان المسيح "حجر مختار من الله وكريم" (١بط٢:٤)، فمن خلاله يصبح المؤمنون هيكلاً وجنساً مختاراً"[١٢٥].

وفي ختام هذه الرسالة يرسل القديس بطرس السلام لهؤلاء المختارين من "المختارة" التي في بابل، وهو نفس اللقب الذي يستعمله القديس يوحنا الرسول. ويرى بعض المفسرين أن المقصود ببابل هنا مدينة روما، كما يرى البعض الآخر أنها مدينة بابليون القديمة بمصر، وفي كلا الحالين يكون الرسول قد رمز إلى الكنيسة المحلية في تلك المدينة باسم مؤنث وهو "المختارة".

كما أن القديس بولس الرسول أيضاً يدعو المؤمنين مختارين: «مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ» (رو٨:٣٣). وهو أيضاً يرى أن اختيار المؤمنين لم يتم داخل الزمن، لأن الله «اخْتَارَنَا فِيهِ (في المسيح) قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ» (أف١:٤).

واختيار الله لنا قبل تأسيس العالم راجع لسبق معرفة الله لنا: «لأَنَّ

---

[125] *Ibid.*, Vol. IV, p. 190.

الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رو٨:٢٩). لذلك عندما دعا يوحنا الرسول الكنيسة بلقب "مختارة"، فهو إنما كان ليؤكِّد على أن الله هو الذي اختار لنفسه الكنيسة، وهو الذي عيَّن المؤمنين ليكونوا أولاداً له مشابهين صورة ابنه في القداسة والحق. وليس يوحنا الرسول إلا أداة في يد الله، كما يقول بولس الرسول: «فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللهِ، وَأَنْتُمْ فَلاَحَةُ اللهِ، بِنَاءُ اللهِ، ... (نحن) خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ...» (١كو٣: ٩و٥).

أما عن المكان الذي كُتبت فيه "رسالة يوحنا الثانية"، فيرى التقليد الكنسي أنها صدرت من إحدى ضواحي أفسس، المكان التقليدي الذي كرز فيه القديس يوحنا الرسول. ويعتقد معظم العلماء أنه كانت هناك مجموعة من الكنائس داخل البيوت التي كانت تقام فيها الخدمة في مدينة أفسس والضواحي التي حواليها، والتي كانت تخضع للتوجيه الروحي للقديس يوحنا. و"السيدة المختارة" كانت إحدى هذه الكنائس، و"أولادها الذين كان يوحنا الرسول يحبهم بالحق" هم أعضاء هذه الكنيسة، أما "أختها المختارة" فهي الكنيسة التي كتب منها القديس يوحنا رسالته. وربما تكون رسالتا يوحنا الأولى والثانية قد كُتبتا لنفس الكنيسة (١يو٢:١٨و١٩، ٢يو٧)، أما الرسالة الثالثة فقد كُتبت إلى غايس،

الذي كان مسئولاً عن قيادة إحدى كنائس أفسس.

أما عن الزمان الذي كُتبت فيه الرسالة، فربما يكون ذلك في أيام حكم الإمبراطور دوميتيان، أي حوالي عام ٩٨م، وذلك لأن عدم ذكر اسم الكنيسة صراحة واستبداله بلقب السيدة المختارة يوحي بأنه كان هناك اضطهاد على الكنيسة في ذلك الزمان. وهو نفس الزمان تقريباً الذي كتب فيه يوحنا الرسول سفر الرؤيا.

لقد اختار الله كنيسته وقدّسها، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ (أف٥:٢٦و٢٧)، وهو القادر أن يحفظها كـ "سيدة مختارة" قادرة به أن ترتفع فوق أدناس العالم، جاذبة معها جميع أولادها المختارين الذين سبق الله فعيَّنهم للحياة الأبدية.

موكب نُصرة المسيح

*****

في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل كولوسي، يقدِّم الرسول الشكر لله الآب الذي «أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ» (١:١٢و١٣). ثم يعقِّب الرسول على ذلك موضِّحاً، فإن كان الله قد أنقذنا من سلطان الظلمة وحررنا من أسر العدو، فيجب علينا أن ننتبه لئلا يحاول أحدٌ أن يعود فيسبينا مرة أخرى بأقوال فلسفية وبغرور باطل وبكلمات منمَّقة تبدو منطقية فنرتد للخضوع للعالم وليس للمسيح (كو ٢:٨). لأنه قبل مجيء المسيح كنا أمواتاً في الخطايا، لكنه بقيامته من بين الأموات، أحيانا معه وسامحنا بجميع الخطايا (كو ٢:١٣). والمسيح بقيامته من بين الأموات انتصر على الموت، وعلى مَنْ له سلطان الموت، أي إبليس.

ولكي يقنع القديس بولس مؤمني كنيسة كولوسي بالنصرة التي حققها المسيح على الموت، بالرغم من كل الضيقات التي يواجهونها، يصف لهم المعركة التي انتصر فيها المسيح، والأعداء الذين دخل المعركة ضدهم، والساحة التي شهدت انتصاره. ثم يصوِّر لهم موكب الانتصار الذي عاد به ظافراً إلى السماء: «إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً

بِهِمْ θριαμβεύσας فِيهِ (في الصليب)» (كو ٢:١٥). فمن أين أتى القديس بولس بهذا التصوير؟

لمحة تاريخية:

الكلمة اليونانية التي أوردها القديس بولس لوصف هذا الموكب الانتصاري هي الفعل θριαμβεύω ومنها الاسم θρίαμβος (ثريامفوس). وهذه الكلمة دخلت إلى اللغة اللاتينية Triumphus ومنها إلى اللغات الأوروبية Triumph[١٢٦].

ويرتبط استعمال هذه الكلمة في الأدب اليوناني الكلاسيكي بمواكب الاحتفال التي كانت تُجرى في أعياد الإله ديونيزوس Dionysus إله الكروم، والذي كان يسمَّى أيضاً الإله باخوس، حيث كانت تجوب المواكب المدن إلى أن تنتهي عند المعابد المخصصة لهذا الإله.

بعد ذلك صارت هذه الكلمة تشير إلى مواكب انتصار القادة الرومان عند عودتهم من المعارك الحربية. فعندما كان يقهر القائد الروماني أعداءه، يقفل راجعاً إلى روما في موكب احتفالي مهيب، وهو محمَّل بالأسلاب التي اغتنمها من العدو، ويجر خلفه الأسرى الذين تم أسرهم في المعركة.

---

[126] Gerhard Delling, θριαμβεύω, in: *Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. III, p. 159,160.

وعند اقتراب هذا الموكب من روما يخرج كل الشعب لاستقباله، حيث يدلف الموكب من بوابات روما ويتقدَّم في شوارعها. يتقدَّم قائدُ الجيش الموكبَ، راكباً على عجلة حربية يجرها زوجان من الخيول، مرتدياً رداءً أرجوانياً، ومتحلياً بالذهب، وعلى رأسه إكليل الظفر، حاملاً في يمينه غصناً، وفي يساره صولجاناً عليه رسم صورة النسر. يتبع القائد في موكبه الجنود وهم يعرضون الأسلاب، وفي بهجة انتصارهم يلوِّحون بالذهب والفضة واللآلئ والمجوهرات التي ظفروا بها. يأتي بعدهم الرومان الذين كانوا أصلاً أسرى وتم إنقاذهم من الأسر، ثم يتبعهم الأسرى من جيش العدو وهم مصفدون بالأغلال. ويكتمل المشهد الاحتفالي بفرق الموسيقى والمغنيين والراقصين، ثم الجموع التي ترافق الموكب.

ويصف لنا المؤرخ اليهودي يوسيفوس كيف كان يزين المواطنون الرومان المدينة بأكاليل الزهور أثناء هذه الاحتفالات. كما يصف لنا المواكب التي سار فيها قادة روما مثل: فاسباسيان وتيطس ودومتيان. فبعد الحصار الذي ضربه القائد تيطس على أورشليم وتم تدمير المدينة، عاد تيطس في موكب احتفالي إلى روما، وكان جنوده يحملون معهم ما تمّ نهبه من هيكل أورشليم مثل: المنارة ذات السبعة سرج، والمائدة الذهبية، مع بعض الألواح والأدراج التي كان مسجَّلاً عليها الناموس والتوراة[١٢٧] .

[127] Josephus, *Jewish Wars,* 7.5.4-5.

وكان من أهم ما افتخر به القائد تيطس في موكبه الانتصاري اقتياده لأهم قادة الثورة اليهودية، ومنهم شخص يُدعى سمعان بن جيوراس كان قد أسره أثناء حصاره لمدينة أورشليم. فقد قام سمعان هذا ـ وقد لقَّبه يوسيفوس بالطاغية ـ بإخفاء كثير من أصدقائه في كهف تحت الأرض أثناء مدة الحصار ليخلِّصهم من بطش الجنود الرومان. ولما نفذ ما لديه من مؤن وأطعمة، خرج من الكهف لابساً ثياباً بيضاء عليها عباءة حمراء. وكان مصيره الوقوع في الأسر ـ مع أصدقائه ـ واقتياده أسيراً إلى روما كأهم أسير تمكَّن الجيش من اقتناصه. وفي روما بعد أن قام الجيش بالتشهير به أمام شعب روما، اقتادوه إلى هيكل الإله جوبيتر حيث أعدموه هناك. وبذلك انتهى هذا الموكب الانتصاري[١٢٨].

عودة إلى القديس بولس:

لقد استعار القديس بولس مشهد احتفالات النصر الرومانية ـ بكل تفصيلاته ـ ليقرِّب إلى أذهان المؤمنين ما فعله المسيح من نصرة على قوات الشر الروحية، إذ نراه يخاطبهم قائلاً: «إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ (في الصليب)» (كو ٢:١٥).

[128] Ibid., 7.2.1; 7.2.6.

"إذ جرَّد الرياسات والسلاطين":

لم تكن معركة المسيح ضد صالبيه من اليهود، أو ضد مَنْ حكموا عليه بالصلب من الرومان؛ بل كانت مع قوات الشر الروحية، أي مع إبليس وأعوانه. أولئك الذين تكلَّم عنهم بولس الرسول قائلاً: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أف ٦:١٢).

وتُصوِّر كلمة "جرَّد"، كيف تعامل الرب يسوع مع أولئك الرؤساء والسلاطين. فهذه الكلمة كانت تُستعمل عندما كان يتم تجريد أحد القادة من رتبته. كما أنها كانت تُستعمل في قاعات المحاكم عندما يتم الحكم على أحد الأشراف بالخيانة، فيتم تجريده من النياشين والأنواط الحاصل عليها مع حرمانه من درجته ومكانته التي يتمتع بها[١٢٩]. هكذا عندما اصطدم الرب مع هذه القوات وهو على الصليب، جرَّدهم من قوتهم ونزع سلاحهم الذي اتَّكلوا عليه. أليس هذا هو ما قاله الرب عن هذه القوات قبل أن يتم معركته معهم:

+ «حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحاً، تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ. وَلكِنْ

---

[129] Peter T. O'Brien, *Word Biblical Commentary, 44, Colossians, Philemon*, p. 127.

مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ» (لو ١١: ٢١و٢٢).

+ «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ» (لو ١٠:١٨).

يقول القديس أثناسيوس في كتابه عن حياة القديس أنطونيوس:

[إن الشياطين في غاية الجبن، وتخشى جداً علامة صليب الرب، لأن الرب قد جرَّدها في الصليب حقاً، وأشهرهم جهاراً][١٣٠].

ففي الصليب انتهى زمن تسلُّط هذه القوات على الخليقة، وتم إخضاعها للابن، ليس طوعاً وعن إرادة، بل غصباً أمام قوة لم يقدروا على مقاومتها. لقد تم إخضاعها، ولم يتم إبادتها، فهي ما زالت موجودة تقاوم الإنسان وتحاربه، لكنها لا تستطيع أن تؤذي الإنسان الثابت في المسيح: «سِمْعَانُ سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لو ٢٢:٣١و٣٢).

يوضح القديس أثناسيوس دور الصليب في هزيمة الشيطان وكل أعماله:

---

[130] PG 26, 899C.

[بعلامة الصليب يبطل كلُّ سحر وتتلاشى قوة العقاقير السامة،
وتصير الأوثان خربةً ومهجورةً، وتبطُل كل الشهوات الدنيئة،
وتتحوَّل أنظار الجميع من الأرض إلى السماء!
وهذا هو ما قاله هو نفسه (أي الرب)
مشيراً إلى أيَّة ميتة كان مزمعاً أن يفدي بها الجميع:
«وأنا إن ارتفعتُ
أجذب إليَّ الجميع» (يو١٢: ٣٢).
فقد جاء الرب ليطرح الشيطان إلى أسفل ويطهِّر الهواء،
ويهيِّئ لنا الطريق الصاعد إلى السماء،
«عبر الحجاب أي جسده» (عب١٠: ٢٠) كما قال الرسول (بولس).
وهذا كان يجب أن يتم بالموت.
ولكن بأي موت إلا بالموت الذي يتم في الهواء أعني الصليب؟
لذلك كان لائقاً أن يحتمل الرب مثل هذا الموت،
لأنه إذ رُفِعَ هكذا طهَّر الهواء من شر إبليس وجميع الشياطين،
كما يقول: «رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق» (لو١٠: ١٨)
وكرَّس الطريق الصاعد إلى السماء].[١٣١]

[١٣١] تجسُّد الكلمة ٣١ و٢٥

"**أشهرهم جهاراً**":

أي فضحهم علانية. ومعنى أن الرب شهَّر بالرؤساء والسلاطين، أنه أظهر ضعفهم وعجزهم بعد أن جرَّدهم من سلاحهم وحطَّ من كرامتهم ورتبتهم، وفضحهم أمام العالم كله[١٣٢]. وبذلك أعطى للمؤمنين باسمه القوة على زجر إبليس وكل أعوانه: «هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَاناً لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ» (لو ١٠:١٩)، «قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ» (يع ٤:٧).

يقول القديس الروسي يوحنا كرونستادت:

[إن الشياطين ترتعب من منظر الصليب، وحتى من مجرد الإشارة به باليد. لأن السيد المسيح له المجد ظفر بالشيطان وكل قواته ورئاساته على الصليب، وجرَّدهم من رئاساتهم وفضحهم علناً. فصارت علامة الصليب تذكيراً لهم بالفضيحة وإشارة إلى العذاب المزمع أن يُطرحوا فيه][(١٣٣)].

"**ظافراً بهم فيه**":

الكلمة "ظافراً"، هي محور الآية كلها، وهي الكلمة التي تشير إلى

[132] Heinrich Schlier, δειγματίζω, *Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. II, p. 31.

[١٣٣] الأب متى المسكين، حياة الصلاة الأرثوذكسية، الطبعة الخامسة (١٩٨٦) ص ٥٧٢.

مواكب النصر. والترجمة الحرفية لهذه الكلمة تأتي هكذا: "قائداً إياهم في موكب نصرته". فبعد أن جرَّد الربُّ الرؤساءَ ثم فضحهم علانية أمام القوات السماوية، ها هو يقودهم كأسرى في موكب نصرته وهو في طريق عودته ليجلس إلى الأبد عن يمين الآب.

لقد أراد القديس بولس بهذه الكلمة أن يُصوِّر المعركة التي جازها المسيح من أجلنا، لكنه يعود ويستخدم نفس هذه الكلمة مرة أخرى مظهِراً دورنا نحن في هذا الموكب الانتصاري:

+ «وَلكِنْ شُكْراً للهِ الَّذِي **يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ** θριαμβεύοντι فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ» (٢كو ٢:١٤).

كان يجب على قادة روما الاحتفال بمواكب النصر مراراً كلما أحرزوا نصراً على أعدائهم، أما الرب يسوع فقد سار في موكب نصرته مرة واحدة، لأنه حقَّق فداءً أبدياً، ثم جلس عن يمين العظمة: «لَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا» (عب ٩:١٢).

وكان قادة روما يصطحبون معهم الرومان الذين كانوا أسرى وتم تحريرهم. هكذا يقودنا الرب يسوع في موكب نصرته بعد أن عتَقَنَا من سلطان إبليس ونقلنا إلى ملكوته. ونحن لا نسير خلفه في موكبه، بل نحن

نسير معه وفيه: «أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف ٢:٦).

وكان قادة روما في زهوهم وكبريائهم يضعون على رأسهم أكاليل الغار، ويلبسون الملابس الملوكية الحمراء وهم راكبون مركباتهم الحربية. أما الرب يسوع ففي اتضاعه كان تاجه من الشوك ومركبته هي الصليب الذي من فوقه حقَّق لنا الفداء الأبدي، أما رداؤه الأحمر فكان دمه الذي تخضَّب به جسده، ونضح منه على المؤمنين.

البوق الأخير

*****

اعتاد سكان أورشليم الاستيقاظ كل صباح على صوت الأبواق الفضية التي تُعلِن لهم بداية اليوم الجديد. فخلال اليوم كله كانت الأبواق تدوِّي واحد وعشرين مرَّة معلنةً عن تقديم الذبائح وداعيةً الشعب للعبادة. وكانت أصوات الأبواق ما تزال ترنُّ في آذان التلاميذ في ذلك اليوم عندما سألوا الرب عن علامة مجيئه وانقضاء الدهر (مت ٢٤_٢٥).

فعندما تكلَّم الرب يسوع عن البوق عظيم الصوت الذي سيُصاحِب مجيئه الثاني (مت ٣١:٢٤)، لم يكن كلامه غريباً على آذانهم. فكل شعب إسرائيل كان يتوقَّع باشتياق صوت الأبواق السماوية التي ستُعلِن نهاية هذا العالم الشرير. وكانوا ينتظرون اليوم الذي سيُعاقِب فيه الربُّ الأُممَ الشريرة، ويجازي الشعب البار. وقد أيقظت كرازة يوحنا المعمدان النارية هذا التوقُّع في قلوبهم بقوة. أما بشارة الرب يسوع ووجوده في وسطهم فقد أقنعهم أكثر باقتراب هذه النهاية. كان الجو مشبَّعاً برجاء استعلان النهاية، وكانت أولى علامات تحقُّق هذا الرجاء سماع صوت البوق الأخير.

الأبواق في العهد القديم:

استعمل اليهود قديماً آلتَيْن للتنبيه وهما: البوق والقَرْن. وكان البوق (חֲצֹצְרָה حَاصوصرا) عبارة عن أنبوبة مستقيمة من الفضة أو النحاس طولها حوالي قدمين، ينتهي أحد طرفيها بانتفاخ متَّسع يشبه القمع، والآخر بفم أو مبسم. كان للبوق صوت حاد مرتفع مناسب لجذب الانتباه أو لترويع الأعداء.

أما القرن (שׁוֹפָר شوفار) فكان يُصنع من قرون الظباء أو الكباش، وكانوا إما يحتفظون بشكل القرن الطبيعي المنحني، أو كانوا يسوون هذا الانحناء بالنار. وكان صوته غليظاً يشبه صوت آلات النفخ الغليظة أو صوت نفير السيارة الآن.

ومن كتاب العهد القديم نجد هناك اختلافاً واضحاً بين الآلتَيْن خاصة في اللغة العبرية أو الآرامية التي كُتِبَ بها العهد القديم، وإنْ كان هذا الاختلاف قد اختفى في الترجمة اليونانية للعهد القديم، وكذلك في العهد الجديد لاستعمال كلمة واحدة لكليهما وهي كلمة σάλπιγξ (سالبنكس)، ومنها الفعل يُبوِّق σαλπίζω (سالبيزو)[١٣٤].

وبالرغم من أن البوق والقرن كانا آلتين مختلفتين، فإن وظيفتهما

[134] Gerhard Friedrich, *σάλπιγξ* in: *Theological Dictionary of the New Testament,* Vol. VII, p. 71-88.

كانت واحدة. فكل منهما آلة تنبيه تُستعمل للإعلان عن الحرب أو عن مواعيد الاجتماع للعبادة مثلاً. ولم يكونا يُستعملان كآلة موسيقية تشتركان في العزف أثناء الصلاة أو أثناء الغناء أو ما شابه ذلك. ولكن الفرق بينهما كان في موعد استعمالهما وفي مَنْ يقوم بهذا الاستعمال. فالقرن كان الآلة المفضَّلة عند اللاويين وعند الجنود، أما البوق المعدني فكان آلة الكهنة أولاد هارون رئيس الكهنة.

كان القرن يُستعمل في تنظيم مسيرة الجنود، وفي دعوة الناس للاجتماعات، وفي التحذير من الأخطار؛ كما كان يُستعمل في الاحتفال بحضور الرب وسط الجماعة. ففي سفر اللاويين (٢٣:٢٤؛ ٢٥:٩)، أَمَرَ الله موسى النبي أن يحتفلوا بعيد الكفَّارة كعيد سنوي، وأمره قائلاً: «تُعَبِّرُ بُوقَ الْهُتَافِ (القرن-شوفار) فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ. فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ تُعَبِّرُونَ الْبُوقَ فِي جَمِيعِ أَرْضِكُمْ». كما أمره باستعمال القرن للإعلان عن احتفالات بدء السنة والاحتفال بسنة اليوبيل أو السنة الخمسين، والتي كانت تسقط فيها الديون عن الشعب وتعود الأراضي لأصحابها. وعندما حاصر الشعب مدينة أريحا كان صوت القرن هو وسيلة الإعلان عن سقوط أسوار أريحا (يشوع ٦)، كما كانت الوسيلة التي استعملها الشعب بقيادة جدعون للقضاء على المديانيين (قضاة ٧).

كما أمر الله موسى بعمل "بوقين من فضة" يضرب بهما الكهنة

للإعلان عن اجتماع الجماعة كلها، كما أوضح له قائلاً: «بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ يَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ، فَتَكُونُ لَكُمْ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ» (عد ١٠:١-١٠). أما بعد ذلك، فصار استعمال الأبواق المعدنية قاصراً على العبادة الهيكلية والاحتفالات الملكية. وفي هيكل سليمان، وفي هيكل ما بعد السبي؛ كانت أصوات الأبواق تُسمع يومياً لتعلن عن مناسبات العبادة المختلفة، مثل: وقت فتح باب الهيكل الرئيسي صباحاً (يُضرب بالبوق ثلاث مرات)، ووقت تقدمة ذبيحة الصباح وذبيحة المساء (يُضرب بالبوق تسع مرات في كل تقدمة)، كما كانت تُضرب الأبواق وقت إنشاد المزامير، وبدء يوم السبت، وفي رؤوس الشهور، وفي بداية العام الجديد.

وهكذا بسبب استعمال الأبواق يومياً، صار صوت البوق جزءًا من التقليد اليهودي الديني اليومي، وأصبح صوتها يحمل دلالات روحية. ففي سفر إشعياء النبي نرى أن صوت الأبواق في الهيكل سوف يعلن عن نهاية الأزمنة وعن عودة الأبرار واجتماعهم من أقاصي المسكونة: «وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّهُ يُضْرَبُ بِبُوقٍ عَظِيمٍ فَيَأْتِي التَّائِهُونَ فِي أَرْضِ أَشُّورَ وَالْمَنْفِيُّونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَيَسْجُدُونَ لِلرَّبِّ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ فِي أُورُشَلِيمَ ... وَيَكُونُ مِنْ هِلاَلٍ إِلَى هِلاَلٍ وَمِنْ سَبْتٍ إِلَى سَبْتٍ أَنَّ كُلَّ ذِي جَسَدٍ يَأْتِي لِيَسْجُدَ أَمَامِي قَالَ الرَّبُّ» (إش ٢٧:١٣؛ ٦٦:٢٣).

وبدلاً من استعمال صوت البوق للإعلان عن اجتماع الشعب داخل الهيكل، صار صوت البوق العظيم إشارة لعودة الشعب إلى الله بالتوبة، وإلى خضوع كل الشعوب وسجودها للرب الإله. وفي وقت الرب يسوع، ربط اليهود بين صوت البوق وبين نهاية الأزمنة ووقت ظهور المسيَّا مرة ثانية وحُكم الله الأبدي ودينونة الأشرار.

الأبواق في العهد الجديد:

ذُكِرَت الأبواق في العهد الجديد في عدة مناسبات، بعضها كان مجرَّد تعليق على التقليد اليهودي القديم، والبعض الآخر كان له مفهوم رمزي اسخاتولوجي (أُخروي). وهذا المفهوم الأخير كان عالقاً في أذهان التلاميذ عند سؤالهم للرب يسوع عن علامات مجيئه ونهاية الدهور. ومن هذه المناسبات:

١ - **الإعلان عن الحرب:** فعندما كان بولس الرسول يناقش موهبة التكلُّم بألسنة، أورد ذِكْر صوت الأبواق كرمز يُفهم منه أهمية وضوح الرسالة التي ينطق بها أصحاب موهبة التكلُّم بألسنة، وإلاَّ صارت الموهبة بلا أي فائدة: «فَالآنَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ مُتَكَلِّماً بِأَلْسِنَةٍ، فَمَاذَا أَنْفَعُكُمْ، إِنْ لَمْ أُكَلِّمْكُمْ إِمَّا بِإِعْلاَنٍ، أَوْ بِعِلْمٍ، أَوْ بِنُبُوَّةٍ، أَوْ بِتَعْلِيمٍ؟ ... فَإِنَّهُ إِنْ أَعْطَى الْبُوقُ أَيْضاً صَوْتاً غَيْرَ وَاضِحٍ، فَمَنْ يَتَهَيَّأُ لِلْقِتَالِ؟» (١كو ١٤:٦و٨).

٢ ـ **الإعلان عن عطايا الأغنياء**: وهذه المناسبة ذكرها الرب يسوع ـ وقد أدانها بشدة ـ وذلك في معرض حديثه عن وجوب إتمام أعمال الرحمة في الخفاء. فقد كان هناك عادة عند توزيع الأطعمة والهبات على الفقراء، أن يتقدَّم عملية التوزيع صوت الأبواق لتشجيع الأغنياء للقيام بنفس أعمال الرحمة، وكتأكيد أن صيت هذه التقدمات قد وصل إلى أُذُني الرب. أما الرب يسوع فقد أمر أن تكون الصدقة في الخفاء، بدون إعلان أو ضجيج: «فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!» (مت ٦:٢)

٣ ـ **للإعلان عن ظهور الله وسماع صوته**: فيُقارِن كاتب الرسالة إلى العبرانيين بين ما رآه الشعب قديماً على جبل سيناء، وبين الأمجاد التي نلناها نحن في المسيح يسوع:

+ «لأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِالنَّارِ، وَإِلَى ضَبَابٍ وَظَلاَمٍ وَزَوْبَعَةٍ، وَهُتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ، اسْتَعْفَى الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تُزَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ ... بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ

رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ» (عب ١٢:١٨-٢٤).

فصوت البوق مع السحاب والظلام والعاصفة من الظواهر التي كانت تُصاحِب ظهور الله؛ بل إن صوت الله نفسه كان يُعبَّر عنه بصوت البوق، إشارةً إلى الوضوح والمهابة في نفس الوقت، كما حدث ليوحنا الرائي:

+ «كنتُ في الروح في يوم الرب، وسمعتُ ورائي صوتاً عظيماً كصوت بوق قائلاً: أنا هو الألف والياء» (رؤ ١:١٠و١١)؛ «بَعْدَ هـذَا نَظَرتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ، وَالصَّوْتُ الأَوَّلُ الَّذِي سَمِعْتُهُ كَبُوقٍ يَتَكَلَّمُ مَعِي قَائِلاً: اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لاَبُدَّ أَن يَصِيرَ بَعْدَ هذَا» (رؤ ٤:١)

٤ - **المعنى الأُخروي لصوت البوق**: وكما استُعمِل صوت البوق للإعلان عن مناسبات هامة أو كوصف لصوت الله عندما يتكلَّم مع الإنسان، فإنَّ لصوت البوق أيضاً معنى رمزياً يشير إلى نهاية الزمن والدخول في الأبدية:

(أ) فصوت البوق يرمز إلى الدينونة العامة في نهاية الأيام. فكما رأينا في التقليد اليهودي أنه في نهاية الأيام سيُبوِّق الملاك ببوق عظيم ليجتمع التائهون والمنفيون في أقاصي الأرض (إش ٢٧:١٣)؛ نجد أن الإعلان عن الدينونة الأخيرة سيتم ليس بصوت بوق واحد، بل بواسطة سبعة أبواق الملائكة، كناية عن أن العالم كله سوف يجوز هذه الدينونة. فعندما

يُسمع صوت الأبواق الأولى، يصدر حكم الله في صورة كوارث طبيعية تحلّ على كافة أرجاء المسكونة: على الأرض مكان سُكنى الإنسان (رؤ ٨:٧)، وعلى البحر (٨:٨)، وعلى الأنهار (٨:١٠)، وعلى النجوم (٨:١٢). هذه الكوارث هي إنذارات الله الأخيرة للإنسان لدعوته إلى التوبة، ولكنها ليست العقاب الأخير. فالكوارث لم تلحق بالإنسان بعد، كما أنها لم تُصِب إلاَّ ثلث العالم فقط، وما زال للإنسان إمكانية الحياة والرجوع إلى الله.

ثم يأتي صوت البوق الخامس لتحل الضيقة بالإنسان نفسه (رؤ ٩:٤). وليس الهدف من هذه الضيقة أيضاً القضاء على الإنسان، بل إنذاره وإيقاظه لعلَّه يرجع ويتوب إلى الله. ولكن الإنسان للأسف سيطلب الموت بدلاً من الله، والفناء بدلاً من الحياة (رؤ ٩:٦).

وعندما يُبوِّق الملاك السادس ستشتد الضيقة جداً على الإنسان، عسى الإنسان أن يفيق ويترك عنه عبادة الأصنام التي بناها لنفسه في عصره الأخير، ويرجع إلى إلهه الذي خلقه (رؤ ٩:٢٠و٢١)، ولكن للأسف أيضاً لن توقِظ هذه الكوارث الإنسان وسوف يستمر في غيِّه وبُعده عن الله.

أما عند سماع البوق السابع، فلم يخبرنا سفر الرؤيا عمَّا سيحدث من كوارث، لكنه يحدِّثنا عن تحقيق وعد الله لخلاص عبيده الأتقياء (رؤ

٧:١٠). إنه لم يعلن لنا عمَّا سيحدث على الأرض، لكن عن تأثير هذه الأبواق السبعة في السماء. فهناك سوف نسمع ترنيمة الفرح والنصرة، لأن الله ومسيحه سوف يملكون على كل ممالك العالم إلى أبد الآبدين:

+ « ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ السَّابِعُ فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ قَائِلَةً: «قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخاً الْجَالِسُونَ أَمَامَ اللهِ عَلَى عُرُوشِهِمْ، خَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا للهِ قَائِلِينَ: «نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، لأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكْتَ» (رؤ ١١:١٥-١٧).

(ب) وصوت البوق - كما أوضح الرب يسوع لتلاميذه - سوف يعلن عن مجيء ابن الإنسان في نهاية الأيام، حيث يُرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من أقصاء السموات إلى أقصائها (مت ٢٤:٣١). وتعبير "بوق عظيم الصوت"، يدل على أن جميع المختارين سوف يسمعونه، أي أن مجيء الرب سوف يكون معروفاً لكل إنسان على وجه كل الأرض.

(ج) وأخيراً، فإن قيامة الأموات والتغيير الذي سيلحق بالأحياء، سوف يتم عند سماع البوق الأخير: «فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ» (١كو

٥١:١٥و٥٢). والبوق الأخير ليس أخيراً في سلسلة من الأبواق، لكنه الأخير بمعنى أنه ليس بعده بوق آخر، أو أنه الأخير الذي عنده ستكون النهاية:

+ «لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ» (١تس ٤:١٦و١٧).

إننا نشعر الآن أننا في نهاية الأيام، حيث العلامات التي ذكرها الرب إشارةً إلى قرب مجيئه تتحقق يوميًا أمام أعيننا، لذلك نقول مع بولس الرسول:

+ « هذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا. قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ» (رو ١٣:١١و١٢).

فلنستعد لسماع ذلك البوق الأخير، الذي سيسمعه كل إنسان، إما بالحزن أو بالفرح. بالحزن على إنذارات كثيرة مضت ولم توقظنا من النوم للتوبة؛ أو بالفرح لأن آنيتنا ممتلئةٌ بالزيت، ومصابيحنا موقدةٌ تنتظر

بشوق لحظة سماع البوق الذي سيُعلن لنا اجتماعنا بالرب إلهنا:

+ «وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ. لِذلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِهذَا الْكَلاَمِ» (١تس ٤:١٧و١٨).

كتب لنفس الكاتب

القداس الباسيلي، النص اليوناني مع الترجمة العربية، دير القديس أنبا مقار، طبعة أولى ٢٠١٢، طبعة ثانية ٢٠١٥.

القداس الغريغوري، النص اليوناني مع الترجمة العربية، دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٣.

قداس القديس مرقس، القداس الكيرلسي، النص اليوناني مع الترجمة العربية، دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٥.

خولاجي الدير الأبيض، مدرسة الإسكندرية، القاهرة ٢٠١٤.

الخولاجي المقدس، القداسات الثلاثة يوناني عربي، حسب مخطوط دير القديس أنبا أنطونيوس، مدرسة الإسكندرية، ٢٠١٧.

الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، سفر التكوين، يوناني عربي. دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٢.

الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، سفر التكوين (عربي فقط). دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٢.

الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، سفر الخروج، يوناني عربي. دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٣.

الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، سفر الخروج (عربي فقط). دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٣.

بستان الرهبان، دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٣.

سير تعليمية للقس بطرس السدمنتي، دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٦

تفسير سفر الرؤيا (أبو غالمسيس) للأنبا بولس البوشي أسقف مصر، دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٧.

أعطوا ما لقيصر لقيصر، ومقالات أخرى، مقالات سبق نشرها بمجلة مرقس، دير القديس أنبا مقار، ٢٠١٧.

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

إذن، أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله.

أعطوا لقيصر الضريبة أو الجزية من مال هذا العالم، فهو مِلكٌ لكم، والمال وما تحصلونه به من أمور أرضية هو إلى زوال: «فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمُ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ» (رو١٣:٧). أما الله فأعطوه قلوبكم وأنفسكم وأرواحكم، فهذه ليست مِلكاً لكم: «لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ» (١كو ٦: ٢٠).

أعطوا لقيصر الاحترام والتكريم والخضوع والطاعة: «لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ» (رو ١٣: ١). أما الله فأعطوه العبادة والسجود: «لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مت ٤: ١٠).

أعطوا لقيصر الدينار الذي يحمل صورته، أما الله فأعطوه أنفسكم لأنكم تحملون صورة ابنه (رو٨: ٢٩).

الثمن خمسون جنيه

[اتصل بنا](#) [سياسة الخصوصية](#) [اتفاقية استخدام](#) DMCA Policy [اقصر تجربوب ماذا أقرأ هذه الأيام (السنة المسيحية؟)](#) [الربح للخدمة](#)

مكتبة الكتب المسيحية

الرئيسية | الكتاب المقدس | آبائيات | التربية و النعمة | لاهوت و عقائد | روحية | سير و روايات | تاريخ الكنيسة | طقوس | فلسفة و علم نفس | أخرى

أحدث الكتب

روحية

كتاب لاهوت المرض – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الأرثوذكسية – تحميل pdf

مارس 24, 2018

العهد الجديد

كتاب شبهات وهمية حول الكتاب المقدس – إعداد الدكتور القس منيس عبد النور – تحميل الكتاب pdf

مارس 24, 2018

روحية

كتاب الأيادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الأب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf

مارس 24, 2018

مقالات

لا تموت قبل أن تقرأ هذه الكتب – ترشيحات الفيلسوف بيتر كريفت Peter Kreeft

مارس 23, 2018

كتب روحية

روحية

كتاب الباحث عن الله – مذكرات كتبها الفيلسوف المصري المشهور توستردامبيس – د ق لبيب مشرقي pdf

آبائيات

كتاب من اخبار و حكم الآباء النساك – نقله عن اليونانية الأب منيف حمصي – تحميل الكتاب pdf

اسكاتولوجيا

كتاب يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس – بول تورنييه – مكتبة دار الكلمة LOGOS – تحميل pdf

روحية

كتاب لاهوت المرض – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الأرثوذكسية – تحميل pdf

روحية

كتاب الأيادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الأب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf

روحية

كتاب صوم يونان و الصوم الكبير – الأب متى المسكين – سلسلة عظات مختارة على أناجيل القداسات pdf